الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

**قسم**: التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ عنوانها

# إمارة برغواطة بتامسنا وآثارها على بلاد المغرب من القرن الثاني هجري (2هـ) إلى القرن السادس هجري (6هـ) الميلادي (ق8/12)

مـن إعـداد الطالـب
**عبـد الغـني متشـاط**

تحـت إشـراف
**أ.د غـربي بغـداد**

**أعضاء لجنة المناقشة:**

| | | | |
|---|---|---|---|
| أ.د مغـزاوي مصـطفى | أسـتاذ التعلـيم العـالي | جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف | رئيسـا |
| أ.د غـربي بغـداد | أسـتاذ التعلـيم العـالي | جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف | مقـررا |
| أ.د بـن داود نصـر الـدين | أسـتاذ التعلـيم العـالي | جامعـة تلمسـان | عضـوا |
| د معـروف حفصـة | أسـتاذ محاضـر أ | جامعـة الجزائـر | عضـوا |
| أ.د مـالكي فاطمـة الزهـراء | أسـتاذ محاضـر أ | جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف | عضـوا |
| أ.د قـاسمي بختـاوي | أسـتاذ التعلـيم العـالي | جامعـة تلمسـان | عضـوا |

**السنة الجامعية**: (1445-1446هـ/2023-2024م)

بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وعرفان

إن من تمام شكر الله تعالى وحمده أن نتوجه لشكر عباده والامتنان لهم، مصداقا لقول نبي الله ﷺ "لايشكر الله من لايشكر الناس" فالشكر عبارة عن معروف يقابل النعمة، ويكون باليد واللسان والجنان، ومن تمام فعله أن يذكر المحسن بعمله واحسانه؛ لأن عمل المعروف شيء جميل والأجمل فيه أنه يتعلق بالعلم الذي به تحيا القلوب وتضاء، وهو مخلد الذكر باق وان غاب صاحبه؛ فلذلك نتوجه لأستاذنا المشرف الدكتور غربي بغداد نظير صبره وسعة صدره وحسن عطائه وتوجيهه، فقد كان منارة اهتدينا بها طوال سنوات دراستنا، وكهفا لجأنا إليه في رحلة بحثنا، وكنا كلما خبت نارنا وذهبت رحلتنا وجدناه جذوة قبسنا وشراع مركبنا، فكانت لهضتنا من جديد بساعديه وانطلاقتنا بين يديه، فله كل الامتنان والشكر الجزيل.

كما لا يفوتني أن أتوجه بشكري الخالص لأستاذنا الكبير عميد كلية العلوم الإنسانية بجامعة "أبو بكر بلقايد" الأستاذ بن داود نصر الدين، فقد كان له الفضل بعد الله ﷻ في التحاقي بشعبة التاريخ بجامعة تلمسان المرموقة، ولم يبخل علينا بنصحه وتشجيعه وحثه لنا على إكمال دراستنا العليا واخلاصه في ذلك، ثم الفضل بعد ذلك للأستاذ مغزاوي مصطفى الذي طالما استفدنا منه طيلة سنوات دراستنا عليه في طور الماستر والدكتوراه، سواء من الناحية المنهجية العلمية والأخلاقية، فله منا خالص الشكر والامتنان.

وبهذه المناسبة نتوجه للأستاذة الخبيرة والمربية القديرة حفصة معروف حسينة على تفانيها في التعليم وجديتها في البحث والتكوين وحسن توجيهها مذ كنا في طور الليسانس إلى حين تخرجنا في طور الماستر، فلها خالص الشكر والامتنان، دون أن ننسى أستاذنا الفاضل قاسمي بختاوي، فله منا أسمى عبارات الود والعرفان.

والى كل أعضاء لجنة المناقشة الذين تعبوا من أجل تصويب هذا العمل البسيط المتواضع، وقبلوا تحمل عبء قراءته ومناقشته وتصحيحه، فلهم منا أوفى دلالات الشكر والامتنان.

# إهـــــداء

إلى والدي الكريمين. . .

والدي الذي غرس في قلبي محبة العلم والتاريخ والأدب، فطالما عهدناه محبا للشعر والخطابة معتنيا بالتاريخ والأنساب.

والدتي التي لا تتحمل وصفها عبارات أي لسان، فهي نور أعيننا ووجاء أفئدتنا .

رفيقة الدرب وشريكة العمر شعلة حياتي وشجرة ثماري، لأولادي تاشفين، أويس، قنيبة، ورتخناتي من الدنيا ميسون، وصفية.

إلى إخوتي وأخواتي ولكل فرد من بقعة القواسم. . .الى روح جدي أبوبكر رحمه الله

لكل أساتذة التاريخ بجامعتي الشلف وتلمسان أهدي عملي المتواضع.

لأسرة الخزينة قاطبة وخاصة عمال خزينة ولاية الشلف لهدي بأكورة عملنا، ولكل عمال مركز التكوين المهني "أجيرة عبد القادر" بتنس.

لروح أخي الطيب الباحث يونس بن قادة عليه رحمات الله تترى.

لاخواننا المرابطين ببيت المقدس وبأكناف بيت المقدس أعاده الله للاسلام.

لكل فرد في أسرة آل منشاط، ولكل طاقم سفينة الصيد"TN404" ومالكها الأخ اسماعيل

قوادري هني لهدي لهم عملنا البسيط، راجين من الله سبحانه أن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

# قائمة المختصرات

**1- المختصرات العربية**

| الرمز | الكلمة |
|---|---|
| ص | الصفحة |
| ج | الجزء |
| مج | المجلد |
| ط | الطبعة |
| غ.مط | غير مطبوع |
| د.ط | دون طبعة |
| د.ت | دون تاريخ |
| ر.مخ | رقم المخطوط |
| تح | تحقيق |
| تع | تعليق |
| تق | تقديم |
| تخ | تخريج |
| تص | تصحيح |
| غ.م | غير منشور |
| مر | مراجعة |
| إش | إشراف |
| تر | ترجمة |
| ع | العدد |
| ر.ح | رقم الحديث |
| ق.م | قبل الميلاد |
| ت | توفي |
| م | ميلادي |

| هـ | هجري |
|---|---|

## 2- المختصرات الأجنبية

| الكلمة | الرمز |
|---|---|
| page | p |
| tom | t |
| edition | ed |
| mort | m |

# مقدمة

عرفت بلاد المغرب أحداثا جسيمة، كان من نتائجها تسرب الكثير من الأفكار والأهواء المختلفة، التي قَدِمت من المشرق؛ هروبا من الضغوطات التي مارستها سلطة الخلافة على زعماء ومتبوعي الملل والنحل المناوئة لها، فكان أن ظهرت الحركات والدول ذات التوجه العلوي، والخارجي بفرعيه؛ الإباضي، والصفري، والتي كان من زعمائها: ميسرة المطغري، وطريف بن شمعون البرغواطي، حيث لم يلبثا إلا يسيرا حتى قبضا على ناصية الدعوة الصفرية، وبقيا جنبا إلى جنب إلى غاية مقتل ميسرة، وتولية خالد بن حميد الزناتي، الذي أثخن في بني أمية وهزم جيوشهم.

بعد هزيمة الأمويين خرجت أقاليم شاسعة عن سلطة الخلافة الأموية بدمشق، ومن إفرازات انكماش رقعة الخلافة؛ أن ظهرت بعض الدعوات الغريبة ذات الطابع المحلي، والتي تدعوا للتحلل من كل ما يمت للإسلام بصلة، وفي ثنايا هذه الدعوات شعوبيةٌ مقيتة وإلحاد ظاهر، لا يكاد يخفى على صاحب بصيرة، فكان أهم الأقاليم وأولها خروجا من ربقة الخلافة الإسلامية؛ إقليم تامسنا الفسيح، الذي يعتبر موطن قبائل برغواطة المنسوبة إلى قبائل مصمودة البرنسية.

يعتبر المجتمع البرغواطي مجتمعا قبليا، يعيش على التحالفات التي تحتكم للدم، والولاء للأرض والعادات الاجتماعية المتوارثة، فتعددت قبائلهم بين عشائر ذات توجه ديني برغواطي، وأخرى مسلمة متحالفة مع بني صالح، وقد اتصفت بالقوة والمنعة وشدة المراس والقلاء نصرة لنحلتهم، ودفاعا عن بلادهم ومقومات وطنهم، الذي امتاز بأراضيه الخصبة، وسعة سهوله، وكثرة مياهه، وجريان أنهاره، ووفرة محاصيله، وتنوع ثروته النباتية والحيوانية، حيث كان بحق زهرة الأقاليم وأحسنها.

بعد انكسار جيوش الصفرية الجرارة في معركتي القرن والأصنام سنة 124هـ، سارع زعيمهم طريف بن شمعون البرغواطي (122-131هـ/740-749م) لأخذ بيعة قبائل برغواطة القوية، وإعلان انفصاله ضمنيا عن الخلافة الأموية بدمشق، لم تدم إمارة طريف بن شمعون (122-131هـ/740-749م) إلا بضع سنوات، اشتهر خلالها ببقائه على معتقد الصفرية، التي نشأ عليها مذ أن كان يجلس في حلقات كبار الصفرية، يأخذ من تعاليمهم ومعتقدهم مطلع القرن الثاني للهجرة، فلذلك لم يؤصل للبرغواطية منهجا، ولا وضع

لهم تشريعا خاصا، لكنه قام بنقض أصل كبير من أصول الخوارج؛ ألا وهو توريث الحكم لعقبه، وكذا فعلت كل دول الخوارج والذي يعتبر هدما صريحا لأصولهم التي وضعوها للإمامة.

لما تولى صالح بن طريف (131-174هـ/749-790م) حكم إمارة برغواطة، خلفا لوالده طريف (122-131هـ/740-749م) الذي هلك في سنة 131هـ، وذلك بعد رجوعه من رحلته إلى المشرق سار بوصية والده في العمل بالتقية، وإخفاء ما يبطنه من عقائد ومعتقدات باطنية؛ كادعاء ختم النبوة مع العصمة، وإشاعة معتقد الرجعة في حكم سابع أمرائهم، ثم سار إلى المشرق بعد قرابة نصف قرن من حكمه، وترك الأمر لابنه إلياس (174-227هـ/790-842م)، والذي لم يحد عن نهج والده في الجنوح للسرية، وإظهار موالاته للأمويين، ومحاربة الأدارسة، والدفاع عن أراضي أجداده، مع إظهار الصلاح، والتعفف عن الحرام، والزهد في ملذات الدنيا، وكان هذا آخر من عمل بالدعوة السرية، ليأتي بعده أربعة أمراء، كلهم جهروا بديانة جدهم صالح ودعوا إليها، فذبحوا الناس بسببها؛ حتى أفنوا مدناً وحصونا كثيرة، وكان هذا سببا وجيها جعل الدول المجاورة تنقم عليهم، وتسعى لإسقاطهم، بدءاً بالأدارسة، فالزيريين، ثم دولة الحاجب المنصور وفتيانه العامرية؛ من أجل القضاء على ملتهم أولا، والسيطرة على الطرق التجارية التي تربط بين الأندلس، والسودان الغربي ثانيا، ومع توالي الحملات العسكرية على بلادهم؛ بدأت مخايل الضعف تدب إليهم، وخاصة بعد مقتل أميرهم أبي المنصور عيسى بن أبي الأنصار (341-368هـ/952-978م) على يد بلكين بن زيري الصنهاجي، ممثل دولة بني عبيد بالقيروان.

بعد مقتل هذا الأمير دخلت دولة بني صالح نفقا مظلما، وغاب عن أهل التاريخ خبر من حكمها، حتى استفحل أمر دولة اللثام وطار الركبان بخبرها وانتشر في الأفق خطرها، فزحفت بجحفلها وحدّها وحديدها على بلاد تامسنا موطن البرغواطيين، فكان بينهما التلاحم والتصادم وقُتل آخر ملوكهم أبو حفص عبد الله (-، 452هـ/-، 1060م)، وسقطت بذلك دولتهم وانطفأت شمعتهم وصاروا إلى تباب.

نسعى من خلال هذا البحث لتسليط الضوء على إمارة برغواطة ووصف موطنها، من خلال كتب الجغرافيين وأوصاف الرحالة، وبيان تأثيرات نحلتهم وتأثرها بالإسلام وبالديانات والملل القديمة والمحدثة، والكشف عن أصولهم الفكرية والعقدية وبسط عام لنظرتهم الفقهية والسلوكية، من خلال استقراء المصادر والدراسات العربية والغربية التي تناولت هذا الموضوع قديما وحديثا.

يعتبر هذا الموضوع جديرا بالاهتمام والدراسة؛ لتوفره على كل أسباب وعوامل البحث العلمي، كموضوع لا يزال خصبا يخفي الكثير من نقاط الظل التي لم تلق عناية كافية من طرف الباحثين والمؤرخين، رغم تناوله بالدراسة من طرف ثلة من الأكاديميين عربا كانوا أو مستشرقين.

على هذا الأساس بزغت فكرة الاهتمام بدراسة إجمالية للمجتمع البرغواطي من جوانب كثيرة، فكانت هذه الدراسة التي وسمناها بـ: **إمارة برغواطة بتامسنا وآثارها ببلاد المغرب من القرن 2 للقرن 6هـ**. سنستعرض من خلال هذا البحث مسحا عاما للحالة الفكرية، الجغرافية، والاقتصادية لوطن برغواطة، ثم نتدرج للكلام حول المعتقد الذي اعتنقته قبائل برغواطة خلال حقب التاريخ المتتابعة، وذلك لغاية وضع صالح بن طريف وبنيه نحلتهم – التي عليها مدار بحثنا– مع عرض نماذج من الصراعات التي أنشبها البرغواطيون مع الكيانات المجاورة.

أما عن الدراسات السابقة فقد تم إحصاء عددا لا بأس به من الأعمال العلمية، سواء مقالات منشورة في المجلات العلمية المحكمة، أو رسائل الماجيستر والدكتوراه، ناهيك عن بعض الإصدارات التي وضعها جمع لا بأس به من الباحثين والأكاديميين العرب والأجانب، منها ما هو متاح ومنها ماهو غير متاح.

❖ دراسة محمود إسماعيل عبد الرزاق، التي وسمها بـ: "**حقيقة المسألة البرغواطية أضواء جديدة**"، والذي يعتبر من أبرز من تناول المسألة البرغواطية، حيث قام بنشرها بمجلة مغربيات سنة 1977م، ناقش فيها المسألة البرغواطية مركزا على الجانب التاريخي والعقدي، والملاحظ على هذه الدراسة أن صاحبها حاول أن يجعل مخارج وأعذار لمؤسسي هذه النحلة

مؤولا كل الانحرافات العقدية والفقهية التي ساقها كبار المؤرخين، مدعيا أنه محض تحامل وعدم فهم لنصوص التاريخ، منفردا بتفسير غريب لما نقله كبار الإخباريين، ورغم هذا الغلط الفاحش إلا أنه يعتبر من أوائل الأكادميين العرب تناولا للمسألة البرغواطية حيث أفرد لهذه النحلة دراسة تفصيلية، استعمل في بسطها قراءات من سبقه من المؤرخين المتأخرين؛ كعبد العزيز سالم، وسعد زغلول عبد الحميد، ومن المستشرقين من أمثال دوزي، وناحوم سلوش، والبارون الفرنسي ديسلان الذي يعتبر أول من تطرق لبرغواطة في العصر الحاضر.

❖ دراسة رجب محمد عبد الحليم التي نشرتها دار الثقافة للنشر والتوزيع، طبعة 1991م والتي جاءت في نحو مائة وخمسين صفحة، ووسمها بعنوان: "**دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى**"، تطرق فيها لقضية برغواطة، مراعيا التأصيل التاريخي للوقائع والأحداث التاريخية، وقد تطرق لبعض جوانب المجتمع البرغواطي، متكلما عن الإطار الجغرافي للوطن البرغواطي، وكيف انتقلت قبائله للإسلام، ثم اعتناقهم للمعتقد الصفري الخارجي، لينتقل بسلاسة في ذكر حكومات بني طريف في دوري القوة والضعف، ثم السقوط والأفول بعد انتشار الدعوة المرابطية بالأراضي المغربية، ثم ذكر موقفهم من دعوة ابن تومرت، وقيامهم على خليفته عبد المؤمن بن علي الكومي، وأنهى الأستاذ رجب دراسته بالحديث حول المظاهر الحضارية والعمرانية، ومقومات الحياة الاقتصادية بتامسنا حاضرة البرغواطيين، الا أنه قلد بن خلدون في الكثير من أرائه دون بسط للأدلة التي اعتمدها ولا مناقشتها، كما أنه لم يتطرق للتشكيل القبلي للكيان البرغواطي ولا كانت له التفاتة للأثار التي ذكرها الجغرافيون والتي كانت ولاتزال ماثلة بوطنهم الى اليوم.

❖ دراسة الأستاذة سحر عبد العزيز سالم الموسومة بعنوان: "**من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي**"، والتي صدرت عن مؤسسة شباب الجامعة بمصر سنة 1993م، تعتبر من أهم الدراسات في بابها، إذ أنها تحلت بالموضوعية في طرحها، مستعملة القرائن والشواهد التاريخية في إثبات الحقائق التي قفز عليها الكثير من المنافحين عن برغواطة، فابتدأت بحثها بالتطرق لمنازل برغواطة بالمغرب الأقصى، وذكر قيام كيانهم السياسي، وملامح من فكرهم العقدي، لتنتقل للكلام عن أمرائهم وما حققوه خلال فترات حكمهم التي تميزت بطول المدة، مستعرضة للعلاقات السياسية بين برغواطة والكيانات التي

جاورتها وعاصرتها، وقبل أن تتطرق لمناقشة العقيدة البرغواطية تكلمت في عجالة عن إمارة منصور البرغواطي بسفاقص التونسية، وكذا دولة الحاجب سكوت البرغواطي الناجم بسبتة، والمستغرب أن الحكومتين اللتين ذكرتهما لا تمتان بصلة لآل طريف البرغواطي من حيث المعتقد، فالمنصور كان سنيا من عمال المعز بن باديس على سفاقص، وكذا كان سكوت المنتزي على سبتة، فقد ثبت أنه بايع للخليفة العباسي القائم لله، فلا مجال لإلحاقهما ببحث الدولة البرغواطية، وعلى العموم فإن ما قامت به الأستاذة سحر عجز عنه الكثير من الأكاديميين، ممن قيدتهم عصبيتهم أو انحرافهم عن الأموية، فلم تحاول إيجاد مسوغات لانحراف البرغواطيين عن الدين الحنيف.

❖ دراسة إبراهيم العبيدي ومحمد الطالبي الموسومة بـ: "**البرغواطيون في المغرب**"، والتي أصدرتها مطبعة النجاح الجديدة في طبعتها الأولى سنة 1999م، والحقيقة أنها دراستين مطبوعتين في كتاب واحد، الأولى للأستاذ محمد الطالبي عنوانها: "**البربر البرغواطيون، البدعة والمثاقفة والنزعة الوطنية**"، والأصل أنها بالفرنسية وقام الأستاذ عبد الجليل الأزدي بترجمتها، كما هو مثبت تحت عنوان الكتاب الذي أصدرته مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، افتتح فيها الأستاذ الطالبي كلامه بالتطرق لأقدم الروايات التي تناولت تاريخ برغواطة، كعائلة حكمت جزءاً مُهمّا من بلاد المغرب الأقصى، ولخصها في ثلاثة روايات أساسية بسطها في ثنايا بحثه وناقش محتواها وقيمنها التاريخية.

لقد تطرق محمد الطالبي بكل جرأة لنسب طريف وبت فيه، مثبتا أنه من بني إسرائيل من يهود الأندلس، وإن ذلك شرف له إذ أنه ينحدر من نسب سامٍ سليل الملوك والأنبياء، وعلى نفس المنوال أثبت أن قبائل برغواطة هذه من بطون بربرية شتى، تجمعهم النحلة التي اتخذها لهم بنو طريف، والتي لم تكن في البداية سوى نحلة الصفرية التي جاء بها رؤوس الخوارج من المشرق؛ بغية ترميم الكبرياء البربري الجريح، فأضيفت لها تمويهات السحرة، وتأويلات الشيعة، وتخرصات الديانات القديمة، وبعض متعلقات من النصرانية واليهودية.

وأما إبراهيم العبيدي فقد افتتح دراسته التي عنونها بـ: "**البرغواطيون في المغرب**" بنقده لبحث الأستاذ محمود إسماعيل، رغم تثمينه لدراسته التي انتقد فيها أعمال سابقيه، لكنه حط عليه من كونه وضع افترضا، وأراد الوصول إليه ولو على حساب نصوص التاريخ.

وعلى غرار من سبقه من الباحثين فإنه تعرض ابتداءً لنسب برغواطة، مناقشا آراء الباحثين قديما وحديثا، ليجنح أخيرا في منتهى التقليد لرأي ابن خلدون، دون توضيح شافٍ لاختياره، ثم انتقل لذكر بلادهم في اقتضاب شديد، وأتى بعدها على ذكر معتقدهم، وذلك باستعراض ما ذكره ابن حوقل والبكري من نصوص تخص عقيدتهم وعباداتهم، لكن دراسته تميزت بمناقشة المستشرقين الأوائل فيما ذهبوا إليه من حيث تأويلاتهم في نسبة المعتقد البرغواطي لديانات القدماء، فرد بعض أرائهم وقبِل بعضها، مستشهدا بدراسة الدكتور إبراهيم حركات والتي لا تقل قيمة عما خطته أنامله.

❖ مقال الدكتور إبراهيم حركات والتي عنوانها: "**المجتمع الدكالي والفكر الديني**"، حيث قام بنشرها في العدد 224 من مجلة دعوة الحق، الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب الأقصى سنة 1982م، فرغم أنها دراسة قصيرة إلا أنها حوت بعض القرائن المهمة التي تضفي إشارات واضحة عن التأثيرات السلوكية للمجتمع البرغواطي، والتي ترسخت في المعتقد الدكالي، كما وضع مقاربة تشرح تأثير الديانات السماوية في النحلة البرغواطية، ورغم تأثره بابن خلدون في إلحاق نسب برغواطة بمصمودة البرنسية – متخذا من مجاورتهم للمصامدة سببا وجيها في استلحاقهم بهم– إلا أنه لم يجد دليلا شافيا يدعم اختياره، ذاكرا أنهم إنما استحدثوا نحلتهم ردا على ظلم عمر بن عبد الله المرادي عامل عبيد الله بن الحبحاب(116–123هـ/734–741م)، فأرادوا أن يستقلوا عن الخلافة في كل مناحي حياتهم حتى من الناحية الروحية.

❖ مقال الأستاذ إسماعيل سامعي والتي وسمها بـ: "**مدعي النبوة في بلاد المغرب الإسلامي تحدي واستجابة**"، قام بنشرها في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر سنة 2003م، حيث ركز الباحث على ظاهرة التنبؤ وأسباب الردة، وقد حصرها في ستة أسباب رئيسية، وبسط فيها كيف حصل الاصطدام بين الشريعة الإسلامية والموروثات الثقافية القديمة التي زخر بها المجتمع المغربي، لينتقل للحديث عن المتنبئين البرغواطيين في ترتيب متسلسل زمنيا، ويواصل الأستاذ سامعي مناقشة النحلة البرغواطية في باب العبادات مرتبة كما ذكرها البكري.

❖ مقال الأستاذ طارق بن زاوي التي عنونها بـ: "**من مظاهر الزندقة في بلاد المغرب النبوة في بلاد المغرب بين الحقيقة والادعاء**"، وهي منشورة بمجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة في عددها الثاني عشر والتي صدرت في جوان 2017م، حيث استهل الباحث عمله بالتعريف ببرغواطة ومساكنهم وبسط مقتضب لديانتهم، ثم انتقل لمناقشة آراء المكذبين لادعاء أمراء برغواطة للنبوة والمنافحين عن نحلتهم المبتدعة، ليخلص في الأخير للقول بأن دعوى الردة وادعاء النبوة ثابتة فيهم، وأنهم اتخذوا ديانة غير الإسلام، وذلك للبحث عن مجدهم الضائع بين قبائل البربر، وإن هذا أمر مشتهر من زمن الجاهلية الأولى، وإنما حاكوا قريشا بزعمهم في اكتساب الشرف من وراء بعث محمد نبيا مرسلا، فقام صالح وبنيه بادعاء النبوة؛ ليصير لهم الشأن نفسه وسط البرابرة كما كان لقريش وسط العرب.

❖ رسالة ماجيستر للطالب حمود بن سعد الأكلبي والتي عنوانها "**إمارة برغواطة في تامسنا**"، وقد ناقشها الطالب في سنة 2017م في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ولقد ألم الطالب ببعض جوانب المسألة البرغواطية، بدءا من ذكر الأوضاع السياسية للمغربين الأوسط والأقصى قبيل قيام إمارة برغواطة، مدرجا فيه وصفا عاما لجغرافية الإقليم مع ذكر لأهم مدن الإقليم، بينما تطرق في المبحثين الأخرين لسياسة بني أمية بالمغرب، والثورات التي اندلعت كردة فعل عن تلك السياسة التي لم تتسم بالرشد والسداد، ثم راح الباحث ينقل لنا وصفا عاما لمضارب برغواطة، مبرزا لعدد كبير من حكامها، وفي الفصل الذي تلاه تناول الكاتب الفكر العقائدي لبرغواطة، متطرقا لمراحل تشكل نحلتهم، وفي الفصل الرابع قام الباحث بالتطرق لذكر الحياة الاجتماعية والاقتصادية لإمارة برغواطة، إلا أنه لم يواصل حديثه عن النشاط السياسي والعسكري لإمارة برغواطة تبعا للشق الديني والعقدي، بل فصل بينهما بتناوله للجانب الاقتصادي والاجتماعي الذي كان من الأجدر أن يتبع الحديث عن جغرافية الإقليم فلا يفصل بينهما.

❖ دراسة أحمد سراج وخديجة الخديري الصادرة عن دار أبي الرقراق بالرباط في طبعتها الأولي سنة 2019م، وهي من أحدث الدراسات وأجودها، حملت عنوان: "**بصمات برغواطية دراسة حول حضارة برغواطة المنقرضة بتامسنا**"، فرغم الإشكال المطروح حول

كلمة "حضارة" الواردة في العنوان، قياسا بالانحرافات الفكرية والعقدية لهذه النحلة يوهم به القارئ أن برغواطة أسست لحضارة خاصة بهم، إلا أن الباحثَين استعملا في دراستهما المفاهيم الأثرية، وعادوا بالمجتمع البرغواطي لمرحلة ما قبل التاريخ، ثم العهود القديمة، فالعصور الوسطى، وبداية العصر الحديث، وهذا من أجل بناء جسر التواصل التاريخي.

لم يغفل الباحثان النصوص التي أوردها البكري، فقاموا بتصنيف قبائل برغواطة لجذمين كبيرين، أحدهما اندمج في نحلة برغواطة واعتنقها ونافح عنها، بينما الجذم الآخر بقي على الإسلام لكنه كان متحالفا معهم.

العنصر الفارق في هذا البحث، هو نشره لعمل غير مسبوق يتعلق بحفريات أثرية تخص الشواهد الجنائزية، وأهم المواقع التي وجدت بها تلك الشواهد، والتي رجح الباحثان أنها لقبائل برغواطة لوجود قرائن تثبت ذلك.

❖ مقال عباس جبير سلطان التميمي الموسومة بـ: "**برغواطة دراسة في نشأتها وعقائدها**"، والتي نشرت بمجلة الدراسات التاريخية والحضارية لكلية التربية قسم التاريخ بجامعة كربلاء في عدد خاص صدر في عام 2012م، أفصح في مقدمتها عن موقفه من البرغواطية، واصفا نحلتهم بالفلسفة المتناقضة والشعوذة، وأنها ليست إلا مزيجا من مختلف الملل والنحل والثقافات والديانات، ناعتا إياهم بالجهل والسذاجة والردة عن الإسلام والزندقة.

لقد بدأ الباحث دراسته بالحديث عن علاقة الصفرية كحركة ببرغواطة كقبيلة، ثم تطرق لأسباب ارتداد البرغواطيين عن الإسلام جملة، مناقشا بعض من دافع عنهم، ورد شبههم التي أوردوها لحجب الوجه الحقيقي للبرغواطيين، ثم انتقل لذكر اختلاف المؤرخين في نسبهم، مكتفيا بنقل الخلاف في ذلك دون ترجيح لرأي طرف دون الآخر، بينما خصص القسم الثاني من دراسته لذكر الدعوة البرغواطية، فقام بتقسيمها لمرحلتين؛ سرية، وجهرية، وذكر حكام وأحداث كل مرحلة من مراحل دعوتهم.

قام الباحث في القسم الثالث من دراسته بالتعرض لديانتهم، مبتدئا بالطهارة والصلاة أسوة بكتب الفقه، ثم تدرج للكلام عن تشريعاتهم، وكان من الأحسن أن يبادر بمناقشة أمر

العقيدة إذ عليها مدار الاختلاف، وبسببها خرجوا من الإسلام وقوتلوا من طرف الدول المجاورة، وأزيلت دولتهم على يد المرابطين.

❖ دراسة الأستاذ عبد الله بنفور الحديثة وهي بالفرنسية عنوانها: "**البرغواطيون**"، وقد صدرت عن مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء سنة 2022م، جاءت في جزئين متوسطي الحجم، عنوان الجزء الأول: "**المصادر النصية المتعلقة بتاريخهم**"، تكلم في الجزء الأول من الكتاب عن مسح عام للمصادر التي تكلمت عن تاريخهم وبلادهم تامسنا وقام بوصفها وانتقادها، بدءا بكتاب صورة الأرض لابن حوقل، الذي يعتبر أول مصدر تطرق لبرغواطة ووصف أحوالهم باقتضاب، ثم جاء كلامه فيما يخص المصادر الأخرى متسلسلا، وهكذا تدرج الباحث في انتقاده لجل كتب التاريخ والجغرافيا، فكان مجموع ما تطرق إليه من كتب انتقدها في جزئه الأول من بحثه ما بين مصدر ومرجع سبعة عشرة كتابا، بينما الجزء الثاني جاء تحت عنوان: "**اللغة الديانة، المجتمع**"، بدأ فيه إلى التطرق للبعد التاريخي واللغوي والديني للبرغواطيين، فتجده افتتح بحثه في قسمه الأول من هذا الجزء بالكلام على تاريخ وأصل لفظة "برغواطة"، وبسط القول في أصل التهجية ودلالتها الإثنية، ثم راح يخوض في القسم الثاني حول كرونولوجيا الحدود الجغرافية لإمارة برغواطة، متطرقا في نفس الوقت إلى القبائل التي قطنت بهذا الإقليم الذي اتخذته برغواطة وطنا لها، ثم عرج على التحديد الجغرافي لوطنهم وتأثره بالفتوحات الإسلامية، وفي القسم الثالث عالج التركيبة الاجتماعية للمجتمع البرغواطي، وتكلم عن القبائل البرغواطية والقبائل المسلمة المتحالفة معهم، وفي القسم الرابع من الدراسة تناول الجانب اللغوي والديني لبرغواطة، ويعتبر هذا القسم من الدراسة هو الأهم، إذ استغرق منه ما يربو عن الثمانين صفحة كاملة.

إن خوضنا لهذا الموضوع وراءه دوافع كثيرة ومتعددة منها:

• الميول الشخصي والاهتمام بالفرق والملل والنحل، إذ أنه من التخصصات القليلة التي تربط الباحث بمادة العقيدة، التي تعتبر لب الدين الإسلامي وجوهرُه التوحيد، فمعرفة تاريخ الفرق يحيل الباحث لمعرفة عقيدة الإسلام الصحيحة بأدلتها من الكتاب والسنة، ويدعوه هذا للبحث فيها والتعمق في معرفتها، إذ أنها الفيصل في معرفة صحيح المناهج من سقيمها، فبدون دراسة العقيدة لا يمكن تمييز الفرق ولا كشف شبهاتها.

• الكشف عن نشاط الحركات والمذاهب في بلاد المغرب الإسلامي وإعطائها حقها من الدراسة والبحث الأكاديمي، إذ أن المشرق الإسلامي حضي بدراسات كثيرة متنوعة على خلاف المغرب، فارتأينا الاهتمام بهذا الجانب حتى يستوفي هذا الجزء من الوطن الإسلامي حقه من الدراسة.

• محاولة أخذ الباحثين الجزائريين حقهم في تناول هذا الموضوع بالبحث ومناقشة الأدلة وبسط الروايات التاريخية، فارتأيت أن أكون من هذه الفئة التي أولت الاهتمام بالمسألة البرغواطية من شتى الجوانب.

• معرفة حقيقة الفكر البرغواطي مع بيان أراء بعض الباحثين ممن دافع عن البرغواطية معتبرا إياها مكسبا حضاريا وتراثا فكريا، ومحاولة الكشف عن حقيقتها التاريخية على ضوء النصوص التاريخية التي سيقت في موضعها.

لقد عرف المغربان الأوسط والأقصى تغيرات وأحداث كبرى وتحولات جوهرية، كان من إفرازاتها اقتطاع مناطق واسعة من أرض الخلافة الأموية من طرف الحركة الخارجية بفرعيها الصفري والإباضي، تمهيدا باستقلالها عن الخلافة الإسلامية بالمشرق، وتشكل إمارات ذات توجه خارجي تحتمي تحت عصبية العنصر المحلي، حيث ظهرت بتيهرت إمارة بني رستم الإباضية(160-297هـ/777-910م)، وبسجلماسة دولة بني مدرار الصفرية (140-366هـ/757-976م)، بينما ظهرت ببلاد الريف دويلة تزعمها أحد قادة الثورة الكبرى التي ترأسها ميسرة الحقير، والتي هي موضوع دراستنا هذه، انطلاقا من إشكالية حقيقة الدولة وأفقها الفكري والسياسي، ومجالات تأثيرها على بلاد المغرب؟ فماهي حيثيات وملابسات تشكل نحلتهم، وتحولهم من العقيدة الصفرية للبرغواطية؟ وما حقيقة انسلاخهم من تعاليم الإسلام؟ وإلى أي مدى تأثرت الديانة البرغواطية بتعاليم الديانات والثقافات الغابرة؟ وما مدى التأثير الاجتماعي للتشريع البرغواطي؟

ومن أجل دراسة هذا الموضوع تم وضع خطة من أربعة فصول، يندرج تحت كل فصل محاور أساسية مقسمة لعناصر تختلف حسب طبيعة الموضوع المعالج.

جاء الفصل الأول تحت عنوان أوضاع بلاد المغرب قبيل قيام إمارة برغواطة، وقد قسمته لمحورين رئيسيين: الأول عالجت فيه الأوضاع السياسية، وقد جعلته قسمين، الأول تطرقت فيه لسياسة الولاة ببلاد المغرب، وطريقتهم التي انتهجوها في تسيير شؤون ولايتهم، ثم تدرجت للحديث عن سياستهم اتجاه الفتوحات، من تسييرهم لغزوات الفتح في البحر، بينما القسم الثاني من هذا المحور، فأفردته للحديث عن ثورات البربر التي اندلعت في عهدة ابن الحبحاب، مما دفعه لتوقيف عملية الفتح واستدعاء الجيش لمواقفة الثوار ورد عاديتهم، مع ذكر لأسباب الثورة وعرض عام لنتائجها.

تركز موضوع المحور الثاني من هذا الفصل حول الأوضاع الفكرية والمذهبية للمغرب، وذكرت فيه المذاهب الفكرية التي انتشرت قبيل قيام برغواطة، وكانت البداية بعد الانتهاء من عملية فتح بلاد المغرب، مبتدئا بمذهب أهل السنة، وذكر جهود الصحابة والتابعين في تثبيته في قلوب البربر كأمة حديثة عهد بالإسلام، ثم دخول مذهب الاعتزال، وتلاه مذهب الخوارج بشقيه الصفري والإباضي، وبالتالي استطعنا إعطاء صورة واضحة عن أوضاع بلاد المغرب من الناحية السياسية، الفكرية والمذهبية، حتى نتمكن من تحديد مذهب برغواطة على الخريطة المذهبية عند قيام إمارتهم مطلع القرن الهجري الثاني.

أما الفصل الثاني فقد تناولت قبائل برغواطة؛ موطنها، ونسبها، في ثلاثة محاور أساسية: الأول تناولت فيه موطن برغواطة وحدوده، وذكر أهم مدنه وحواضره، بينما تطرقت في المحور الثاني لأهمية هذا الإقليم، وذكر جغرافيته المتنوعة والغنية، ومقوماته الاقتصادية، وأما المحور الثالث فتناولت فيه القبائل المشكلة للجذم البرغواطي، حيث قسمته لعنصرين، تطرقت في أولهما للتركيبة الثيولوجية أو العقدية، والتي قصدت بها البطون التي اعتنقت البرغواطية وشكلت لبنتها الأساسية، بينما العنصر الثاني ذكرت فيه القبائل المسلمة، والتي لها ولاء الدم لا العقيدة، والتي دخلت في حلف قبلي معهم.

بينما تمحور الفصل الثالث حول الآثار الدينية والعقائدية لإمارة برغواطة، وقد قسمته هو الآخر لثلاثة محاور: أولها ديانة قبائل برغواطة قبل الإسلام، وقد جعلته عنصرين: أولهما الديانات الأرضية التي كان لها نصيب من تأثر البرغواطيين بها؛ كالوثنية، والمجوسية، وأما العنصر الثاني فجعلته لتأثير الديانات السماوية في نحلة برغواطة وهي:

اليهودية والنصرانية والإسلام، حيث ذكرت في معرض حديثي عن الإسلام كيف اعتنقت قبائل برغواطة الدين الإسلامي، ثم انتقلت لاعتناق المذهب الخارجي الصفري، لتنسلخ جملة من تعاليم الدين الحنيف، والمحور الأخير من هذا الفصل خصصته لدراسة الجانب العقدي والفقهي والسلوكي لآل طريف البرغواطي، وبسطت الحديث فيه حول التأثيرات التي ظهرت في أحكام الديانة البرغواطية في باب المعتقد والعبادات والمعاملات، وحتى الجانب السلوكي الذي لم يسلم هو الآخر من التأثير.

وأما الفصل الرابع والأخير فأفردته للحديث عن التأثير السياسي والعسكري لبرغواطة على أوضاع بلاد المغرب، وقمت بتقسيمه لثلاثة محاور كبرى: أولها تأسيس الإمارة، وذكر الخلاف الناشب في نسب وأصل مؤسسها، كما تطرقت لقيام هذه الإمارة والمراحل التي مرت بها.

في المحور الثاني ذكرت أمراء كل مرحلة من هذه المراحل، وتعرضت لذكر عمل كل أمير وسياسته التي سار عليها، حتى وصولنا لحكم آخرهم الذي تم قتله على يد المرابطين، وبالتالي نهاية برغواطة بعد قرابة القرنين ونصف من الوجود.

كما عالجت في المحور الثالث لهذا الفصل: العلاقات السياسية للإمارة البرغواطية مع الدول والكيانات المجاورة لها خلال كل طور من أطوار حياتهم، وذكر المعارك التي قامت بها في وجه مناوئيها، والتي انتهت بهزيمة البرغواطيين وسقوط دولتهم إلى غير رجعة، حيث لم تخب ريحهم حتى خرجوا على عبد المؤمن بن علي الكومي، فقام بإبادتهم عن بكرة أبيهم، وقام بتهجير قبائل برغواطة وتغريبهم عن وطنهم؛ من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار.

وقد تضمنت الدراسة خاتمة أبرزت فيها نتائج البحث المتوصل إليها.

أما عن منهج الدراسة فقد كان اعتمادي على جملة من المناهج البحثية؛ وذلك بسبب تشعب الموضوع، وإيرادي للكثير من الأحداث، وسرد عام لجغرافية المنطقة، وأهم هذه المناهج:

– المنهج الوصفي: من أجل سرد أحداث التاريخ، إذ أن المشتغل بهذا الفن لا يمكنه أن يستغني عنه، باعتبار اعتماده في إيراد أحداث التاريخ على السرد والوصف، خاصة إذا تعلقت تلك الأحداث بجغرافية المنطقة، كذكر أماكن وقوع المعارك، أو في حالة مسح عام لمواطن القبائل، فالمنهج الوصفي حاضر وبقوة في ثنايا البحث.

– المنهج المقارن: وذلك من أجل مقارنة نصوص التاريخ التي أوردها بعض الباحثين على سبيل الاستشهاد، فكان لزاما العودة لأمهات الكتب المصدرية، خاصة إذا تعلق الأمر بالفرق الإسلامية؛ لمعرفة سياق النص، والتأكد من أنه يصلح للاستشهاد، بوضعه في سياقه الصحيح.

– المنهج الاستقرائي: من أجل تتبع نصوص التاريخ، وفهم فحوى الأحداث، وتفسير الظاهرة التاريخية تفسيرا سليما يخدم البحث؛ وذلك يساعد في الحصول على نظرة مستقلة تجنبه الوقوع في التقليد.

لم يخل البحث من وجود صعوبات حالت دون إتمامه في الوقت المطلوب، نذكر منها:

– شح المادة العلمية المصدرية: إذ أن ما كتب عن هذه الإمارة في كتب الجغرافيين والمؤرخين لا يعدو أن يكون عشر صفحات، وبالتالي فالإشارات الواردة بها والمتعلقة بالجانب الفكري شحيحة جدا.

– نقص الدراسات المتعلقة بالموضوع: مما ألجأنا لاعتماد الكتب الإلكترونية، والتي أخذت منا وقتا ثمينا، مع ارتفاع تكلفة الحصول عليها.

– ضيق الوقت: بسبب كثرة الارتباطات المهنية والعائلية، حال دون إتمام العمل بالشكل المطلوب وفي الزمن المحدد له.

– العديد من الدراسات التي تناولت تاريخ إمارة برغواطة لم يلتزم أصحابها بالموضوعية في بحوثهم، بل تجد أغلبهم ينجرون خلف عصبيتهم القبلية، أو وراء قوميتهم، مما منعهم من التجرد للحق في تمحيص وقراءة روايات التاريخ بصدق وأمانة.

**نقد المصادر:**

لقد كان اعتمادنا في وضع هذه الدراسة على جملة من المصادر التي أمدتنا بالمادة العلمية الخام، حيث تتوقف جودة البحث وأهميته على جملة ما استعمله الباحث من مصادر ومراجع، وقد تفاوتت أهميتها حسب درجة استعمالها ونذكر منها:

**1- كتب الجغرافيا:** لقد كان لهذا النوع من الكتب أهمية خاصة، إذ أنها انفردت بذكر تاريخ برغواطة من دون كتب التاريخ، التي اعتمدت على ما نقله البكري بالدرجة الأولى، وابن حوقل في المرتبة الثانية.

❖ **المسالك والممالك:** لأبي عبيد البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ/1086م)، يعتبر هذا الكتاب المصدر الرئيسي لأخبار برغواطة، إذ أنه هو الذي حوى الروايتين اللتين عليهما مدار الأحداث الكبرى للإمارة، وكل مؤرخ جاء بعده إلا كان عالة عليه، فنقل نتفا من تشريعات نحلتهم، وأخبار ملوكهم، وحروبهم، وتعداد جيوشهم، ورغم أهمية الكتاب إلا أنه حوى روايتين بهما من التناقض ما لا يخفى على صاحب بصيرة، إلا أن يكون البكري دونهما على سبيل الجمع، جريا على عادة الإخباريين الكبار؛ حتى يسمحوا لمن جاء بعدهم بالنظر في حقيقة الخبر ومصداقيته.

❖ **صورة الأرض:** لابن حوقل أبو القاسم محمد النصيبي( ت 368هـ/988م)، تكمن أهمية هذا المصدر في كونه أول من تكلم وأرخ لهذه الإمارة في ثنايا رحلته للمغرب، التي بدأها في 330هـ، ورغم قدم ما جاء به من وصف لأحوال المجتمع البرغواطي إلا أن نقله تميز بـ:

- الخلط في ذكر أسماء أمراء برغواطة، ونسبة بعض الأحداث لحكام وهي تخص غيرهم.

- الاختصار المخل في ذكر أحداث التاريخ، واضطرابه في وصف جغرافية إقليم تامسنا.

– عدم قدرته على التوغل داخل وطن برغواطة، بل استشف أخبارهم من بعيد ودَوّن ما سمعه لا ما رآه؛ لذلك كانت روايته أقل أهمية من رواية البكري.

❖ **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:** للإدريسي، محمد بن محمد الحسني (ت 560هـ/1166م)، وقد استعملنا هذا المصدر في وصف إقليم تامسنا، وذكر جغرافيته وتضاريسه وبعض الآثار التي كانت ولا تزال ماثلة، إذ أن الإدريسي المتوفى سنة 560هـ كان قد عاصر أخريات الإمارة البرغواطية؛ فلذلك يعتبر من أهم الكتب في الموضوع.

❖ **وصف إفريقيا:** للوزان، الحسن بن محمد الزياتي(ت961هـ/1554م)، أفادنا الكتاب في وصف جغرافية الإقليم ولو بعد أربعة قرون من سقوط إمارة برغواطة، وذكر بعض الأحداث الخاصة ببرغواطة، والتي جاءت متداخلة وفيها خلط في أسماء الشخصيات والأحداث؛ وذلك بسبب طول المدة.

❖ **إفريقيا:** لمارمول كربخال (ت 1008هـ/1600م)، أعطى هذا المؤرخ الإسباني وصفا لجغرافية الوطن البرغواطي، كما نرجح اعتماده على الحسن الوزان، خاصة في ذكر مدن إقليم برغواطة، وفي إيراد الكثير من أحداث سقوط إمارتهم على يد الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر.

❖ **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب:** لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب السلماني (ت 776هـ/1374م)، وهي تدوين لرحلته للمغرب الأقصى بعد أن فقد ولي أمره أمير غرناطة الغني بالله (755-793هـ/1352-1391م) ملكه في المرة الأولى سنة1359م، فرافقه للمغرب، وقد كانت استفادتنا منه في وصفه لوطن برغواطة من خلال تجواله برفقة الغني بالله (755-793هـ/1352-1391م) بالمغرب الأقصى في كنف دولة بني مرين.

❖ **الاستبصار في عجائب الأمصار:** لكاتب مجهول، اعتنى به وحققه الأستاذ سعد زغلول عبد الحميد، وقد جاء صاحبه على ذكر طرف مهم من تاريخ برغواطة بشكل جد مختصر، وقد صرح أنه إنما نقل عن المسعودي وعن البكري، كما أنه لم يغفل عن ذكر تضاريس تامسنا وبعض مدنهم العامرة؛ كسلا، وأنفا، وآسفي.

**2- كتب التاريخ:** في بسط تاريخ إمارة برغواطة؛ صار كل من كتب من المؤرخين عيال على البكري، وابن حوقل، وبدرجة أقل ابن أبي زرع الفاسي، ومن أهم من كانت له عناية بالغة بالمسألة البرغواطية وله فيها آراء سديدة نجد:

❖ كتاب **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر:** للعلامة أبي زيد ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ)، وقد أسهب في الحديث عن برغواطة في كتابه، خاصة في جزئه السادس، وكانت له فيهم آراء سديدة، إذ وصف بلادهم وحدودها على ساحل البحر المحيط، مثبتا نسبهم في مصمودة البرنسية، كما وصف ديانتهم وادعائهم للنبوة، وممارستهم للكهانة والتنجيم، وقد نقل لنا بعض أخبار ملوكهم، ونتفًا من حروبهم مع بني زيري الصناهجة، ومع المنصور وفتيانه العامرية، نقلا عن البكري وابن أبي زرع وصاحب كتاب "الجوهر".

❖ **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس:** لابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن محمد الفاسي (ت726هـ/ 1326م)، جاء على ذكر برغواطة في معرض كلامه على الحركة المرابطية، ووصف البرغواطيين بالمجوس، ونسب ملوكهم لنسب إسرائيلي من حصن برباط بالجنوب الأندلسي، وحط عليهم منتقدا ديانتهم، واصفا إياها بالكفر والخسة والضلال، وقد أشار ابن أبي زرع أنه ألف كتابا ضخما بسط فيه أخبار برغواطة، لكنه للأسف في عداد المفقود.

❖ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب:** لابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت 659هـ/1260م)، قام ابن عذارى بالاعتماد على البكري بشكل كبير في نقل تاريخ برغواطة مختصرا، ولم يأت بشيء ذي بال، سوى أنه ذكر أن لغاية 251هـ كانت الكثير من القبائل تعتنق ديانتهم، وهو أمر طبيعي؛ إذ أن إمارة برغواطة كانت في أوج قوتها، وكان أمراؤها يبطشون بكل من يعارض نحلتهم الباطلة.

❖ **مفاخر البربر:** لكاتبه المجهول، وقد اعتنى به الأستاذ عبد القادر بوباية وحقق نسخته، ذكر كاتبه بعضا من أخبار مملكة بني صالح، وأدرجهم مرة مع ثوار البربر الذين قاموا بالمغرب، وتارة أخرى ذكرهم من جملة المتنبئين الكذابين الذين نجموا ببلاد غمارة، وقد

عضد كلامه ما جاء عند بقية الإخباريين، من أن ديانتهم ردة عن الإسلام، ومؤسسها يهودي أندلسي، لكنه لم يخل من خلط وتداخل، بجعل حاجب سبتة سقوت البرغواطي آخر ملوكهم.

❖ **أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام:** لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب السلماني(ت 776هـ/1374م)، وقد جمع نتفا من أخبارهم المتناثرة في بطون كتب التاريخ والرحالة، وهذبها وجعل منها مادة تاريخية، وقد ابتدأ ذكرهم بوصفهم منتحلين للإمارة، وشنع عليهم، ولم يقطع بنسبهم في مصمودة كما فعل غريمه ابن خلدون، بل نقل آراء من حكموا بأن جعلوهم أوزاعا شتى جمعتهم نحلتهم المخترعة.

قام ابن الخطيب بإيراد ملوك برغواطة في تسلسل كرنولوجي، ذاكرا أعمال كل أمير ومعتقده، مع اختلاف في ذكر سني حكم كل واحد منهم، كما وقع في خلط بأن جعل إمارة أبي حفص تأتي قبل إمارة اليسع، هذا والحق أن أبا حفص هو آخر من حكم منهم، وبعد مقتله على يد الملثمين انتهت إمارتهم، وأما قبله فقد عميت تلك الفترة عن نقلة أخبارهم، فلم يعرفوا من حكم بعد مقتل أبي المنصور عيسى بن عبد الله، على يد بلكين بن زيري سنة 368هـ.

**3- كتب الفرق:**

❖ **الفصل في الملل والأهواء والنحل:** لابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت 456هـ/ 1064م)، تطرق فيه لبرغواطة وذكر حقيقة معتقدهم، وحكم عليهم بالردة، ناهيك عن ذلك فقد تكلم عن النحل الأخرى؛ كالخوارج والمعتزلة والشيعة، كما تطرق لذكر نتف من الديانات الأخرى كاليهودية والنصرانية.

❖ **الملل والنحل:** للشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ/1153م)، اعتمد الشهرستاني كثيرا على كتاب ابن حزم مع إضافات أخرى، وقد استفدنا منه في التعريف ببعض النحل المنحرفة التي انبثقت عن فرق الخوارج الأول.

❖ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:** للأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 324هـ/936م)، أصَّل الأشعري في كتابه للفرق الإسلامية، وبين اختلاف كل فرقة بالنظر لما يعتقده المسلم من أصول، وقد انتفعت به في ذكر فرق الخوارج.

❖ **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين:** للرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر القرشي البكري (ت 606هـ/1210م)، لم يكن اعتمادي على كتاب الرازي كبيرا؛ إلا على سبيل الاستشهاد على أقوال ابن حزم والأشعري ليس إلا.

**4- كتب التراجم:**

❖ **سير أعلام النبلاء:** للذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز، وقد كان اعتمادي عليه بصورة أساسية، وذلك لتخصص الرجل في علم الحديث والجرح والتعديل ومعرفة الرجال والرواة، فجعلته المصدر الرئيسي في التراجم، خاصة للشخصيات ذات البعد الديني والعقدي من المشارقة والمغاربة على السواء.

❖ **رياض النفوس:** للمالكي، أبو بكر محمد (ت 453هـ/1061م)، كتاب خاص بتراجم من دخل للقيروان من الفاتحين والرواة والمحدثين، وقد كان اعتمادي عليه في الترجمة لبعض الأعلام ممن ورد ذكرهم في ثنايا البحث.

❖ **طبقات علماء إفريقية:** لأبي العرب، محمد بن أحمد بن تميم (ت 334هـ/945م)، انتفعت ببعض من ترجم لهم من الأعلام.

❖ **طبقات المشايخ بالمغرب:** للدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ/1271م)، وهو كتاب نفعني في تراجم أعلام الإباضية، وكذا شيوع استعمال لفظ ياكش كلفظ جلالة عند البربر، خاصة من انتحل الخارجية منهم.

❖ **الوافي بالوفيات:** للصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/1363م)، من أكبر مصنفات التراجم ومعرفة الرجال.

**5- كتب الأنساب:**

❖ **جمهرة أنساب العرب:** لابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت 456هـ/1064م)، تكلم في أنساب العرب، وعرج على الكلام في أنساب البربر فأجاد، وكان لقي كبار نسابيهم فأخذ عنهم، وقد كان ابن خلدون يأخذ باختياراته في النسب، وقد كان اعتمادي عليه بصورة أساسية في هذا الباب نظرا لتضلعه في علم النسب.

❖ **الأنساب:** للسمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت562هـ/1167م)، استبحر فيه صاحبه في علم النسب، وقد استعملته فيما عسر علي إيجاده في بقية مصنفات الأنساب والتراجم.

هذا وأسأل الله ﷻ التوفيق والسداد، وأن يغفر لي الخطأ والزلل، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

# الفصل 1 :

أوضاع بلاد المغرب قبيل قيام إمارة بن غواطة

وفيه:

- الأوضاع السياسية
- الأوضاع الفكرية والمذهبية

## I. الأوضاع السياسية

### 1. سياسة الولاة ببلاد المغرب

انتهى عصر الفتوحات الإسلامية بنهاية ولاية موسى بن نصير (86-96هـ)[1]، وبدأ عصر الولاة[2] الذي تميز في فترته الأولى بالاستقرار، نتيجة للسياسة الرشيدة التي انتهجها عمال بني أمية، والقائمة على الدعوة إلى الله، ونشر الإسلام بين قبائل البربر، وذلك بإرسال خيرة التابعين دعاة وولاة[3].

ثم طفت إلى السطح تقلبات كبيرة كان وقودها الصراع القبلي بين القيسية[4] واليمانية[5]، إذ يَعتبر بعض الدارسين أنّ هذا الصراع من أقوى عوامل الاضطرابات السياسية في بلاد المغرب[6]، بالإضافة لعامل البعد الجغرافي عن مقر الحكم الأموي بدمشق[7]، مما

---

[1] الأمير الكبير أبو عبد الرحمن اللخمي، متولي إقليم المغرب، وفاتح الأندلس، كان أعرجا مهيبا ذا رأي وحزم، حج مع سليمان بن عبد الملك فمات بالمدينة. الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز، **سير أعلام النبلاء**، تح حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، الأردن، المملكة العربية السعودية، د.ط، 2004م، ج3، ص3992.

[2] مصطلح الولاة: اسم يدل على وضع سياسي معين، شهدته البلاد الإسلامية في الجناح الغربي من الخلافة، منذ أن تم للمسلمين فتحها في نهاية القرن الأول هجري الموافق للقرن السابع ميلادي. السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، منشورات مؤسسة شباب الجامعة، ط2، 1982م، ص19.

[3] مؤنس حسين، **فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ط، د.ت، ص296.

[4] هي قبائل قيس عيلان بن مضر بن معد بن عدنان، إخوة إلياس بن مضر، أمهما أسمى بنت سود بن أسلم بن الحارث بن قضاعة، وعيلان عبدٌ حضنه فنسب قيس إليه. ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد بن أحمد الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، نش وتح وتع ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، د.ط، 1948م، ص232.

[5] القبائل اليمانية كلها راجعة لولد قحطان، ولا يصح ما بعد قحطان. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص310.

[6] عبد الرزاق محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، نشر وتوزيع دار الثقافة، المغرب الأقصى، د.ط، 1985م، ص31.

[7] دمشق بكسر أوله وفتح ثانيه، البلدة المشهورة، قصبة الشام. ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله ياقوت الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، د.ط، دار صادر، لبنان، 1977م، ص ص463-464؛ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، **البداية والنهاية**، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، المملكة العربية السعودية، ط1، 1998م، ج9، ص577.

جعل من بلاد المغرب ملاذا لثوار الخوارج الصفرية[1] على حكم بني أمية ببلاد المغرب الإسلامي[2] مطلع القرن الثاني للهجرة[3].

بعد عزل موسى بن نصير وتولية محمد بن يزيد القرشي (97-99هـ)[4]، شرع هذا الأخير باعتباره أول ولاة إفريقية[5] على أصح الأقوال[6] في تتبع آل موسى بن نصير

---

[1] الصفرية أو الزيادية، أصحاب زياد بن الأصفر، خالفوا الأزارقة والنجدات والإباضية في أمور؛ منها عدم إكفار القعدة الموافقين لهم في المعتقد، والإبقاء على حد الرجم، وعدم قتل أطفال المشركين. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تح عبد الرحمن عميرة ومحمد إبراهيم نصر، دار الجيل، لبنان، ط2، 1996م، ج5، ص ص52-54؛ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل**، تح أمير علي مهنا وعلي حسن فاعو، دار المعرفة، لبنان، ط3، 1993م، ج1، ص ص144-146.

[2] البلاد الممتدة غرب مصر عند ضفة النيل بالإسكندرية وبرقة إلى إفريقيا، وناحية تنس إلى سبتة وطنجة لغاية بلاد برغواطة، ويضم ثلاث مناطق: أدناها منطقة إفريقية، ثم منطقة المغرب الأوسط ومنطقة المغرب الأقصى. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، لبنان، د.ط، 1992م، ص64؛ البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز، **المسالك والممالك**، د وتح زينب الهكاري، تق أحمد العزاوي، مطبعة نت المغرب، المغرب، د.ط، 2012م، ص53؛ ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح ومر ج.س كولان وليفي بروفنسال، مطبعة دار الثقافة، لبنان، ط3، 1983م، ج1، ص5؛ الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز، **الأمصار ذوات الآثار**، تح عبد القادر الأرناؤوط ومحمد الارناؤوط، دار ابن كثير، سوريا - لبنان، ط1، 1985م، ص ص54-56.

[3] ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج1، ص52.

[4] محمد بن يزيد القرشي بالولاء، أمير إفريقية، أرسله سليمان بن عبد الملك من الشام واليا عليها سنة 97هـ، امتاز عصره بالهدوء والسكينة بسبب اعتدال سياسته وحسن سيرته، كانت الأندلس تابعة له، قيل توفي سنة 101هـ، ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تع محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1992م، ج1، ص253.ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تح أحمد محتار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ط، 1964م، ص28.

[5] شذ ابن أبي دينار عندما ذكر عبد الله بن كريز كأول ولاة إفريقية بعد عزل موسى بن نصير في كتابه المؤنس، خلافا للمصادر القديمة التي سبقته. ينظر: الثعالبي عبد العزيز، **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، جم وتح أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، تق ومر حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1990م، ص117.

[6] لقبال موسى، **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص103.

(86-96هـ)، وفتك بهم بأمر من الخليفة سليمان بن عبد الملك (96-99هـ)[1]؛ من أجل استخلاص أموالهم[2]، حيث تم قتل عبد الله بن موسى بن نصير (96-97هـ)[3] على يد خالد بن أبي حبيب القرشي، فأهينت اليمانية في أيامه[4].

كان محمد بن يزيد القرشي(97-99هـ) عدلا في نفسه، مرضي السيرة، لا يتوانى في إرسال السرايا إلى ثغور إفريقية، فما أصابه قسمه عليهم بالسوية[5]، وقد أسلمت قبائل كثيرة من البربر، نتيجة لاستتباب الأمن والهدوء والألفة بين المتساكنين، والالتزام بالعدل والمساواة بين المسلمين[6]، وهو ما أوصاه به الخليفة غداة اختياره لولاية المغرب باشارة من التابعي الجليل رجاء بن حيوة(ت 112هـ)[7].

استمرت ولاية محمد بن يزيد القرشي (97-99هـ) على إفريقية والمغرب لغاية وفاة أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك (96-99هـ) في صفر من سنة 99هـ[8]، وبعد مبايعة

---

(1) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو أيوب القرشي الأموي، بويع له بعد أخيه الوليد سنة ستة وتسعين، كان دينا فصيحا مفوها عادلا محبا للغزو، وكان أبيضا كبير الوجه مقرون الحاجب جميلا، مات بذات الجنب يوم عاشر صفر سنة تسع وتسعين. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص1920.

(2) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص47.

(3) عبد الله بن موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد، من بني لخم ويقال أنه مولى لخم، وقيل أنه من أراشة من بلي، وقيل من بكر بن وائل، فتح جزر البليار سنة 89هـ، ثم واليا لأفريقية نيابة عن والده موسى، عزله سليمان بن عبد الملك سنة 97هـ، وجعل مكانه محمد بن يزيد مولى قريش. خطاب محمود شيت، **قادة فتح الأندلس**، مؤسسة علوم القرآن، لبنان، منار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2003م، مج2، ص ص64-78.

(4) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، **تاريخ اليعقوبي**، تح عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ط، 2010م، مج1، ص218.

(5) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص48.

(6) لقبال موسى، المغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص103

(7) رجاء بن حيوة بن جرول بن جندب أبو المقدام الإمام القدوة، الوزير العادل، أبو نصر الأزدي الكندي الفقيه، من جملة التابعين، حدث عن: معاذ بن جبل، وأبي الدرداء، وعبادة بن الصامت، قال يحيى بن معين أدرك معاوية ومات في أول إمرة هشام. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص1689.

(8) ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي المصري، **فتوح مصر والمغرب**، تح شارلز توري، شركة الأمل للطباعة والنشر، مصر، د.ط، 1999م، ج2، ص213.

عمر بن عبد العزيز (99-101هـ) بالخلافة، عزله عن ولاية المغرب، وعيَّن مكانه تابعيا جليلا، هو إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر دينار (99-101هـ)[1]، مولى بني مخزوم، وكان موصوفا بالفقه والزهد والصلاح، فوصلها في المحرم من سنة 100هـ متقلدا حربها وخراجها وصدقاتها، نظرا لتقواه وشجاعته في تقرير الصدق وقول الحق[2]، وقد ورث صفات الحزم والحكمة وحسن التدبير عن جده[3]، فكان خير وال وخير إمام، ومازال حريصا على دعوة البربر للإسلام، فأسلم بقية البربر على يديه[4]، وهو الذي علّم أهل إفريقية الحلال والحرام[5]، وعاضده أمير المؤمنين إذ أرسل إليه عشرة من خيرة التابعين[6]، وأمرهم أن يبذلوا قصارى جهدهم لتفقيه البربر في علوم الدين؛ حتى يقوم إسلامهم على أساس متين، فتولى إسماعيل بن عبيد الله (99-101هـ) توزيع هؤلاء الفقهاء على أقطار البلاد[7]، وقد أسهموا في نشر الإسلام والعربية وبناء المساجد ودور العلم في مختلف أنحاء المغرب[8].

---

(1) إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر بن أبي المهاجر الدمشقي، الإمام الكبير أبو عبد الرحمن الدمشقي مولى بني مخزوم، من الثقات العلماء، روى عن جمع من الصحابة، متولي إقليم المغرب زمن عمر بن عبد العزيز، أسلم عامة البربر في مدة ولايته، ثم عزله عنها يزيد بن عبد الملك، مات سنة 132هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص1114.

(2) الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تع أبو القاسم ابن ناجي التنوخي، تح محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس- مكتبة الخانجي، مصر، د.ط، 1978م، ج1، ص203. سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال**، منشأة المعارف، د.ط، 1993م، مصر، ج1، ص263. ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج2، ص213.

(3) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص204.

(4) الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تح عبد الله العلي زيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1990م، ص62.

(5) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص56.

(6) المالكي، أبو بكر محمد بن عبد الله، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية**، تح بشير البكوش، مر محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1994م، ج1، ص99.

(7) سالم السيد عبد العزيز، مرجع سابق، ص ص204-205.

(8) سوادي عبد محمد - صالح عمار الحاج، **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، ط1، 2004م، ص56.

توفي عمر بن عبد العزيز (99-101هـ) لست خلون من شعبان عام 101هـ بدير سمعان[1]، وخلفه ابن عمه يزيد بن عبد الملك (101-104هـ)[2] بعهد من أخيه سليمان، ولم يُقرّ سياسة التسامح واللين التي اعتمدها الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز (99-101هـ)[3]، بل كان يرى أن سياسة الترهيب والعنف أجدى للدولة، كذلك نظرته من انتقال البربر للإسلام، الذي فوت على بيت مال المسلمين موردا هاما وهو الجزية التي كانت تفرض على المعاهدين وأهل الذمة فأعاد فرضها على من أسلم منهم[4]، فجاء تعيين يزيد بن أبي مسلم (102هـ)[5] تجسيدا لهذه السياسة، ولأنه يليق بمزاجه ويحقق أطماعه ويشبع نهمه من المال[6].

قدم يزيد (102هـ) المغرب في سنة 102هـ[7] عازما على تطبيق سياسة الجور والعسف على البربر[8]، تأسيا بأستاذه الحجاج بن يوسف (75-95هـ)[9] في العراق، وتنفيذا

---

(1) الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص62.

(2) أبو خالد القرشي الأموي الدمشقي، استخلف بعهد أخيه سليمان، وأراد أن يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز فما قدر، كان معروفا بشغفه بالجواري وعدم أهليته للخلافة، مصروف الهمة للهو والغواني، توفي عام 105هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص4227.

(3) سالم السيد عبد العزيز، مرجع سابق، ص ص207-208.

(4) ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، **الكامل في التاريخ**، مر محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1987م، مج4، ص166. فرج محمد الهونى، **النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية**، مطابع الثورة، ليبيا، د.ط، 1396هـ، ص257.

(5) أمير المغرب، أبو العلاء يزيد بن دينار الثقفي، مولى الحجاج، وكاتبه، ومشيره، وقد استخلفه عند موته على أموال الخراج، فكان ضابطا للأمور فأقره الوليد بن عبد الملك على ذلك، ولما مات الوليد واستخلف سليمان استقدمه من العراق مغلولا في جامعة وحاسبه وأهانه وعزله، ثم استعمله يزيد بن عبد الملك على إفريقية فثارت عليه الخوارج وفتكوا به؛ لظلمه سنة اثنين ومائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج3، ص4230.

(6) دبوز محمد علي، **تاريخ المغرب الكبير**، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، د.ط، 2010م، ج2، ص196.

(7) الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص62.

(8) ابن الأثير، مصدر سابق، مج4، ص354.

(9) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي مولده في سنة 39هـ، كانت فيه شهامة عظيمة، وفي سيفه رهق، وكان كثير قتل النفوس البريئة، ظلوما جبارا ناصبيا خبيثا، سفاكا للدماء، وكان شجاعا مقداما ذو مكر ودهاء وفصاحة وبلاغة وتعظيم للقرآن، تولى الحرمين ثم العراق =

لتوصيات يزيد بن عبد الملك (101-104هـ) التي أرسلها لعماله على الأمصار[1]، مظهرا فيها ضجره من إصلاحات عمر بن عبد العزيز (99-101هـ)، وهذا ما أكد ابن الجوزي نقلا عن الطبري فيقول: "عزم أن يسير بهم بسيرة الحجاج بن يوسف (75-95هـ) في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار، ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فأسلم بالعراق، فردهم إلى قراهم ورساتيقهم، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم"[2]، زاعما أن بلاد المغرب فيئ لبني أمية ومغنم لهم، لأنها فتحت بحد السيف[3]، وقد علم البربر أن ابن أبي مسلم (102هـ) لا يعتبر إسلامهم، وأنه يعاملهم معاملة الكفرة، بفرض الجزية على رقابهم والخراج على أراضيهم[4]، بل لم يسلم من تعجرفه أهل الذمة المستأمنين من الأساقفة والرهبان، وعوض أن يدعوهم إلى الإسلام بسماحة ولين، على غرار من سبقه من الولاة، راح يتشدد معهم ويعنفهم، فضاقوا به ذرعا وقالوا إنه سلك طريق الشيطان وحاد عن طريق الله[5].

بدأ يزيد بن دينار (102هـ) عمله بتتبع أموال الولاة الذين سبقوه، فقام بتخميس موالي آل موسى بن نصير (86-96هـ) من البربر، وجعل منهم حرسه وبطانته، ثم أخذ محمد بن يزيد القرشي (97-99هـ) فسامه عذابا، حيث سجنه وضيق عليه وألبسه جبة من

=

أكثر من عشرين عاما، هلك في رمضان من سنة 95هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص1371؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص ص506-514.

[1] فرج محمد الهونى، مرجع سابق، ص257.

[2] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مر نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1992م، ج7، ص82.الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1971م، ج6، ص617.

[3] مسألة تخميس أرض المغرب وقع فيها خلاف مشهور بين الفقهاء، نقله السلاوي عن أبي الحسن القابسي في شرحه للموطأ في باب الجهاد، وبسط القول فيه على ثلاثة أوجه. ينظر: السلاوي أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، جم لغليطي عبد الحميد وسويسي جمال، مكتبة نبراس الصفا التاريخية، د.ط، د.ت، ج1، ص ص41-42.

[4] محمد علي دبوز، مرجع سابق، ج2، ص202.

[5] لقبال موسى، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971م، ص27. سيد إسماعيل كاشف، **مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، د.ت، ص27.

صوف ختمها بالرصاص، ثم جلده وسقاه رمادا[1]، انتقاما لعرب الفتح وإمعانا في إذلال اليمانية[2]، وقام بالتشدد في معاملة حرسه من البربر البتر، وكانوا هم حرس الولاة قبله[3]، واستبد مع البربر مستخفا بهم، متوسعا في جباية أموالهم وسبي نسائهم مسرفا في ذلك، وقد أوغر صدورهم[4].

ساق ابن عذارى عبارة بليغة تدل على ظلمه للرعية وطغيانه وتعجرفه في التعامل معهم، فيقول: "كان ظلوما غشوما، وكان البربر يحرسونه، فقام على المنبر خطيبا: إني رأيت أن أسِم اسم حرسي في أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسها، فأرسم في يمين الرجل اسمه، وفي يساره حرسي، ليُعرفوا بذلك من بين سائر الناس، فإذا وقفوا على أحد أسرع لما أمرت به، فلما سمعوا منه ذلك –أعني حرسه– اتفقوا على قتله، وقالوا: جَعلنا بمنزلة النصارى، فلما خرج من داره إلى المسجد لصلاة المغرب قتلوه في مصلاه"[5]، وقد علّق الأستاذ سعد زغلول على هذا الكلام قائلا: "أراد أن يُخضع حرسه هذا إلى تنظيمات دقيقة، تجعل له كيانه وشخصيته وهيبته، وذلك باتباع التقليد البيزنطي، الذي كان يميز قوات الحرس بكتابة اسم الرجل بالوشم في راحة اليد"[6]، فكان هذا سببا في قتله وسفك دمه بعد شهر من توليه إمارة المغرب[7]، ثم كاتبوا أمير المؤمنين في شأنه قائلين: "إنا لم نخلع يدا من طاعة، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يُرضي الله ورسوله فقتلناه وأعدنا عاملك،

---

(1) ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج2، ص214.

(2) البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى، **فتوح البلدان**، تح عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1987م، ج1، ص173.

(3) سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج1، ص268.

(4) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ج2، ص208.

(5) ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج1، ص48.

(6) سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج1، ص268.

(7) محمد علي دبوز، مرجع سابق، ج2، ص203.

فكتب إليهم يزيد: "إني لم أرض بما صنع ابن أبي مسلم"، وأقر محمد بن يزيد على المغرب وذلك سنة 102هـ"[1].

كان قتل يزيد بن دينار (102هـ) لجوره وعدم عدله وظلمه وغطرسته وتعدي حدود الله في سياسته، وقد علم يزيد بن عبد الملك أن البربر لا يُحكمون إلا بالعدل في السياسة، والإنصاف في المعاملة، ولا يكون انقيادهم إلا لرجل رزين عاقل، وحازم شجاع، يتصف بالحنكة والدهاء والسهولة في الخلق، واللطف في المعاملة، فاختار لهم بشر بن صفوان الكلبي (102-109هـ)[2].

استخلف بشر بن صفوان (102-109هـ) أخاه حنظلة (124-127هـ) على مصر[3] وجدّ في السير لبلاد المغرب، فاستصفى بقايا آل موسى بن نصير (86-96هـ)[4]، وقد كان من غلاة اليمانية، حيث أسرف في إذلال القيسية زمنا[5]، ثم اصطنع معهم سياسة تقوم على المساواة بين العرب والبربر وحسن المعاملة والعدل تهدئةً لخواطرهم، فهمد المغرب وسكنت أرجاؤه[6] بحسن سيرته ولينه وساد البلادَ فترة من الهدوء والسلم[7]، فبشر بن صفوان (102-109هـ) من طينة الولاة الأكفاء ومن الرجال الصناديد، فكان عاقلا رزينا شجاعا محنكا مخلصا للدولة رؤوفا بالرعية[8]، خاصة وأنه اقتفى سبيل محمد بن يزيد مولى قريش

---

(1) السلاوي أحمد بن خالد الناصري، مرجع سابق، ج1، ص47؛ ابن الأثير، مصدر سابق، مج4، ص354؛ الطبري، مصدر سابق، ج6، ص617.

(2) بشر بن صفوان بن تويل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شراحيل بن عزيز بن خالد، والي مصر ثم إفريقيا زمن يزيد بن عبد الملك سنة 102هـ، توفي عام 109هـ بالقيروان. ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص49؛ السلاوي أحمد بن خالد الناصري، مرجع سابق، ج1، ص47.

(3) ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج2، ص215.

(4) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص49.

(5) اليعقوبي، مصدر سابق، ج3، ص59.

(6) ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مر سهيل زكار وخليل شحادة، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ط، 2000م، ج4، ص240.

(7) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ج2، ص210؛ سوادي عبد محمد وصالح عمار الحاج، مرجع سابق، ص55.

(8) محمد علي دبوز، مرجع سابق، ج2، ص207.

(97-99هـ)، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر (99-101هـ) في تعليم البربر أمور دينهم والاهتمام بتعمير بلاد المغرب وجهاد أعدائه[1].

في سنة خمس ومائة للهجرة، وفد بشر بن صفوان (102-109هـ) على الخليفة[2] يزيد بن عبد الملك (101- 105هـ) بهدايا، من طُرف وأموال وجواري كان قد أعدها له، ليطلعه على أحوال البلاد[3]، فألفاه قد هلك في ربيع الأول منه[4]، أو لأربع ليال بقين من شعبان من نفس السنة، فقدِم بتلك التحف والهدايا على هشام بن عبد الملك (105-125هـ)[5]، فرده على إفريقية سنة 106هـ[6].

اهتم بشر بن صفوان بعد منصرفه من دمشق بأمر الجهاد، وقام بتنظيم حملات بحرية كبيرة على بعض الجزر الواقعة ببحر الروم، ففي سنة مائة وستة للهجرة أغزى بشر بن صفوان (102-109هـ) وهو على إفريقية محمد بن أبي بكر مولى بني جمح

---

(1) محمد علي دبوز، مرجع سابق، ج2،.ص208.

(2) السلاوي، مرجع سابق، ج1، ص47.

(3) سعد زغلول عبد الحميد، مصدر سابق، ج1، ص271.

(4) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص49.

(5) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الخليفة، أبو الوليد القرشي، ولد بعد السبعين، واستخلف بعهد معقود له من أخيه يزيد، استخلف سنة 105هـ إلى أن مات سنة 125هـ وله أربعة وخمسون عاما، وكان حريصا جماعا للمال عاقلا حازما سائسا فيه ظلم مع عدل. ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص4085.

(6) ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج2، ص215.

فأصاب قرسقة[1] وسردانية[2]، ثم في سنة مائة وتسعة للهجرة عاود بشر بن صفوان (102-109هـ) غزو جزيرة سردانية، فأرسل حسان بن محمد بن أبي بكر فغنم وسلم[3].

بقي بشر بن صفوان (102-109هـ) في ولايته إلى شوال من سنة تسع ومائة، حيث توفي من مرض اسمه الدبيلة[4] بعد عودته من غزو صقلية[5]، أين أصاب سبيا كثيرا، ومات معظم جيشه غرقا في البحر[6]، ولما هلك استخلف نغاش بن قرظ الكلبي[7] لغاية شهر صفر من العام 110هـ، وكان قحطانيا متعصبا، فأسرف في البطش بالقيسية[8]، ثم

---

(1) قرسقة، جزيرة خصيبة، حولها أركان وهي أجوان، شرقيها البحر الذي يسمى بالعجمية طرانة، وبها مدينة حسنة متوسطة عامرة وهي منها في الغربي، وطولها مائة وخمسون ميلا، وعرضها سبعة وعشرون ميلا، كثيرة العمارات، وأهلها يتجولون في أرض الروم، وهم أكثر الروم سفرا. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، تح سيكيتوسيفاندا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، 2002م، مج1، ص585.

(2) سردانية، جزيرة كبيرة القُطر كثيرة الجبال قليلة الماء، طولها مائتان وثمانون ميلا، وعرضها مائة وثمانون ميلا، وطولها مار من الجنوب إلى الشمال، وأهلها روم أفارقة متبربرون ومتوحشون من أجناس الروم، وهم أهل نجدة وحزم لا يفارقون السلاح، وبها معدن الفضة يخرج منها إلى كثير من بلاد الروم. الشريف الإدريسي، مصدر سابق، مج1، ص584.

(3) خليفة بن خياط بن أبي هبيرة أبو عمرو الليثي العصفري، **تاريخ خليفة بن خياط**، تح أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1985م، ط2، ص ص336-339.

(4) تجمع قيحي حاد في تجويف طبيعي في جسم الإنسان، محمد هيثم الخياط، **المعجم الطبي الموحد**، منظمة الصحة العالمية، مكتبة لبنان- ناشرون، بيروت، ط4، 2006م، ص395.

(5) صقلية، وهي جزيرة على شكل مثلث متساوي الساقين، زاويته الحادة من غربي الجزيرة، طولها سبعة أيام في أربعة أيام، وهي في شرق الأندلس في لج البحر، وتحاذيها من بلاد المغرب بلاد إفريقية وباجة وطبرقة إلى مرسى الخرز، وغربيها في البحر جزيرة قرسقة، ومن جنوب صقلية جزيرة قوسرة، وعلى ساحل البحر شرقيها من البر الأعظم الذي عليه قسطنطينية مدينة ريو ثم نواحي قلورية. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، مصدر سابق، ص113.

(6) ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج2، ص216.

(7) ينقل ابن عذارى أن بشر بن صفوان استخلف عند وفاته العباس بن باضعة الكلبي، خلافا لما رواه خليفة بن خياط وابن عبد الحكم، حيث نقلا أنه استخلف نغاش بن قرظ الكلبي. ينظر ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص49؛ ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج2، ص216؛ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص339.

(8) اليعقوبي، مصدر سابق، ج3، ص59.

قـدِم عبيـدة بـن عبـد الـرحمن السـلمي (110-114هـ)[1] واليـا مـن قبـل أميـر المـؤمنين هشام بن عبد الملك (105-125هـ)[2].

ابتـدأ عبيـدة بـن عبـد الـرحمن السـلمي (110-114هـ) عملـه بالإسـاءة لعمـال بشر بن صفوان (102-109هـ)، فحبسهم وأغرمهم وعذب بعضهم[3]، متوسعا في استخدام العنف والشدة في حكم البلاد، خاصة مع كبار العمال[4]، مما حذا بأحد زعماء اليمانية وهو أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي لاستصراخ الخليفة هشام بن عبد الملك في قصيدة له يشكو ظلم الوالي[5]، ولقد كان عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (110-115هـ) رغم حسن رأيه إلا أن له حزماً شديدا في معاملة البربر، فأسرف في غزو قبائلهم وسبي نسائهم وبالغ في التعسف والجور معهم[6]، ثم يمم وجهه لمواصلة غزو الجزر البحرية، فتوالت الحملات على صقلية سنوات، 111هـ بقيادة المستنير بن الحبحاب الحرشي، وفي سنة 112هـ بقيادة ثابت بن خيثم الأردني، وفي 114هـ بقيادة عبد الملك بن قطن الفهري، ثم حملة أخرى في

---

(1) عبيدة بن عبد الرحمن السلمي، كان واليا على بلاد المغرب من سنة 110هـ لغاية 114هـ، كان قيسيا متعصبا، نكل بعمال بشر بن صفوان الكلبي، عزله هشام بن عبد الملك لعصبيته وجعل مكانه عبيد الله بن الحبحاب. الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص64.

(2) نفسه، ص67.

(3) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص50؛ الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص69.

(4) سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج1، ص274.

(5) القصيدة أوردتها عدة مصادر تاريخية، بعضها بزيادة أبيات عن بعض، يقول في مطلعها الأمير أبو الخطار الحسام بن ضرار مخاطبا هشام بن عبد الملك:

أفـــأتم بنـــي مـــروان قيســـا دماءنـــا *** وفـــي الله إن لـــم تعـــدلوا حكـــم عـــدل

ينظر: الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص ص69-70؛ ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عبد الرحمن، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، بيروت- القاهرة، 1989م، ط2، مج2، ص ص42-43؛ النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م، ج24، ص ص31-32.

(6) الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص 64. السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ج2، ص211.

السنة التي بعدها بقيادة بكر بن سويد، وأما سردانية فقد توجه لها عبد الله بن زياد الأنصاري في صائفة 114هـ[1].

في شوال سنة 114هـ توجه عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (110-115هـ) إلى الشام ومعه الهدايا والتحف العظيمة والإماء والدواب الكثير[2]، وقد أفصح ابن عبد الحكم عن حجم هذه الهدايا وقيمتها وعدد الإماء اللواتي ساقهن إلى الشام فيقول: "وكان فيما خرج به من الهدايا والإماء ومن الجواري المتخيرة سبع مائة جارية وغير ذلك من الخصيان والخيل والدواب والذهب والفضة والآنية."[3]، واستخلف على إفريقية حين خرج عقبةَ بن قدامة التجيبي، فقدم على هشام بن عبد الملك (105-125هـ) بهداياه واستعفاه فأعفاه، وكتب إلى عامله على مصر وهو عبيد الله بن الحبحاب (116-121هـ) يأمره بالمسير إلى إفريقية، فاستخلف على مصر ابنه القاسم[4]، وسار إليها في رجب من سنة ستة عشرة ومائة[5].

تولى ابن الحبحاب (116-121هـ) شؤون بلاد المغرب، من منطلق الثقة التي كان يتمتع بها عند الخليفة، وكذا لكفاءته التي تجلت في حسن إدارته خلال إشرافه على خراج مصر، منذ تولي هشام بن عبد الملك (105-125هـ) الخلافة، إلى أن ولاه شؤون المغرب عام 116هـ، وكانت له حرية كبيرة في التصرف مع سلطة واسعة في جباية الخراج، لأن سلطته امتداد لسلطة الخليفة بدمشق، فاتخذ إجراءات دقيقة تتعلق بإحصاء الناس والبهائم وقياس الأراضي زراعية كانت أم بورا، وأمر بختم رقاب الناس، ووشم النصارى الذين تجب عليهم الجزية[6]، متشددا في مضاعفة تحصيل الخراج وفرض الضرائب[7]، واستمرت محنة

---

(1) خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص ص341، 343، 345.

(2) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص50.

(3) ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج2، ص217.

(4) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ج2، ص212.

(5) ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج2، ص217. خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص347.

(6) سيد إسماعيل كاشف، مرجع سابق، ص207.

(7) تريتون أس، **أهل الذمة في الإسلام**، تر وتع حسن حبشي، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1949م، د.ط، ص231.

اليمانية في المغرب في عهده، ولاقى أشياعُهم على يديه عنتا شديدا[1]، باعتباره قيسيا متعصبا، لا يكاد يقيم وزنا لغير العرب، فامتد أذاه لهم وجعل يعسف بالبربر لا يأبه بهم، وأسرف في قيسيته فلا يكاد يعفي اليمانية من شر[2].

لقد طبق عبيد الله بن الحبحاب (116-121هـ) نفس السياسة التي سار بها في أهل مصر على بلاد المغرب، يبتغي بذلك تحقيق ثلاثة أهداف: أولها تقوية سلطان العرب في المغرب الأدنى، والعمل على إخضاع الأقاليم أو القبائل في المغرب الأوسط والأقصى، وثاني هذه الأهداف هو الاستمرار في سياسة الغزو البحري المنظم بشكل مرتب وبإمكانيات أكبر، وثالثها الاجتهاد في جمع أكبر قدر من الأموال، للقيام بأعباء الجهاد، واستكمال عمليات الفتح، وتلبية مطالب الخلافة في دمشق[3].

ابتدأ عبيد الله بن الحبحاب (116-121هـ) بإرسال عماله إلى جهات المغرب، فأخرج المستنير بن الحبحاب من السجن وولاه تونس[4]، واستعمل على الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي، وعلى طنجة[5] وما والاها من المغرب الأقصى ابنه إسماعيل بصحبة عمر بن عبد الله المرادي[6]، وفي سنة 116هـ جهز جيشا بقيادة حبيب بن أبي

---

[1] محمود إسماعيل عبد الرزاق، مرجع سابق، ص33.

[2] مؤنس حسين، **فجر الأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، 2008م، ط4، ص ص145-146.

[3] سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج1، ص279.

[4] مدينة عظيمة بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام، وبينها وبين البحر حوالي أربعة أيام، وبينها وبين قرطاجنة حوالي عشرة أيام، ومرساها واحد يسمى رادس، وهي قديمة البناء لها سور عظيم ويدور بها حفير، يقال أن دورها أربع وعشرون ألف ذراع. مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نش وتع سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، الكويت، د.ط، د.ت، ص120.

[5] مدينة قديمة أزلية، على جبل مطل على البحر، وسكنى أهلها منه في مسند الجبل إلى ضفة البحر، وهي مدينة حسنة لها أسواق وصناع وفعلة، وبها إنشاء المراكب، وبها إقلاع وحط، وهي على أرض متصلة بالبر، فيها مزارع وغلات، وسكانها برابر ينسبون إلى صنهاجة. الإدريسي، مصدر سابق، ص529.

[6] ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص240.

عبدة بن عقبة بن نافع الفهري لغزو السوس الأقصى فقاتل مسوفة[1]، ثم سار حتى بلغ أرض السودان، وظهر على من هنالك، وأصاب سبيا عظيما وذهبا ثم انصرف سالما[2].

لقد أولى عبيد الله بن الحبحاب (116-121هـ) أهمية كبيرة للنشاط البحري، فقام بالعناية بتونس[3]، بصفتها قاعدة الأسطول الذي كان عليه أن يمتد نشاطُه باستمرار إلى ما وراء البحر، فقام بتشييد دار الصناعة بتونس، والحقيقة أنه ربما وسعها وجددها، لأن الذي بناها أول مرة هو حسان بن النعمان الغساني (74-86هـ)[4]، واعتنى بها موسى بن نصير (86-96هـ)، كما قام بتعمير مدينة تونس وتجديد مسجدها الجامع[5] الذي عرف فيما بعد بجامع الزيتونة.

ففي سنة 116هـ أغزى ابن الحبحاب (116-121هـ) عثمان بن أبي عبيدة، فأصاب ناحية من صقلية وقفل، فلقيته مراكب الروم في البحر فهزمهم الله وأصابوا من المسلمين أسارى[6]، وتوالت الحملات البحرية حيث أرسل عبيد الله بن الحبحاب (116-121هـ) حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، فأصاب قرية من سردانية وأثخن في القتل والسبي، ثم في السنة التي بعدها أغزى قثم بن عوانة الكلبي، فأصاب أولية من صقلية فأحاطوا به ثم خلوا عنه[7].

---

(1) السلاوي، مرجع سابق، ج1، ص53.

(2) الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص104.

(3) سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج1، ص279.

(4) أمير المغرب، حسان بن النعمان بن المنذر الغساني، كان بطلا شجاعا غزاء، افتتح في المغرب بلادا، وقد مكث في إمارته عشرين عاما، ثم عزله الوليد بن عبد الملك، فقدم عليه بتحف وجواهر وأموال عظيمة، وقال له يا أمير المؤمنين إنما خرجت مجاهدا وليس مثلي من يخون، ثم امتنع من أن يلي لهم عملا. الذهبي، مصدر سابق، ج1، ص1386.

(5) سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج1، ص280.

(6) خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص347.

(7) نفسه، ص348.

وفي سنة 119هـ كانت غزوة سردانية بقيادة قثم بن عوانة، فنازلها واحتل الكثير من مدنها وأصاب منها غنائم وسبي كثير فرجع عنها، لكن في طريق عودته هاج عليهم البحر فأغرقهم جميعا[1]، وربما هذا هو سبب امتناع عبيد الله بن الحبحاب (116-121هـ) من إرسال حملة بحرية في العام الذي تلاه، خاصة وإن أولى بوادر ثورة البربر الكبرى على الخلافة بدأت في الظهور[2].

### 2. ثورات البربر

لقد كان هدف الإسلام الأسمى من فتح الأمصار والبلدان هو نشر كلمة التوحيد، وإخراج الناس من عبادة الأصنام وهيمنة الجبابرة إلى عبادة الله الواحد القهار، ومحاربة الظلم والتسلط ونشر قيم العدالة والمساواة بين العباد، فقد جرفت سياسة التسامح وقيم الزهد والتعفف التي اتصف بها الفاتحون الأوائل فئات كبيرة من البربر، فدخلوا في دين الله أفواجا، وساروا في الصفوف الأولى منافحين عن الإسلام بأموالهم ومهجهم، وأصبحوا في ركب الفاتحين حتى صاروا سادة وقادة.

إلا أن بعض ولاة بني أمية غلبت عليهم العصبية البغيضة وشحنهم الصراع القبلي، فولوا بلاد المغرب بعض العمال ذوي العصبية القيسية من أجل الانتقام من اليمنية، فتناولوا البربر -باعتبارهم حلفاء العرب البلديين- بشيء من الظلم والجور في المغرم وعدم السوية في الفيء بينهم وبين العرب، حتى بلغ بهم الأمر إلى سبي كل جميلة من بناتهم، والاستيلاء على أموالهم، والتنكيل بشيوخهم وكبرائهم، فلما لمس البربر منهم هذا الجفاء والظلم في المعاملة وعدم السوية في قسمة المغنم، لجؤوا لاعتناق أفكار ومبادئ معادية للخلافة الأموية، خاصة وإن المذهب الصفري وجد أرضا خصبة للانتشار ببلاد المغرب الأقصى، وبدأت إرهاصات الثورة وبوادرها في الظهور.

---

[1] محمد علي دبوز، مرجع سابق، ج2، ص217.

[2] سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج1، ص282.

لكن قبل التطرق لذكر أهم الثورات التي حصلت في بلاد المغرب على ولاة وعمال بني أمية، وجب التطرق لذكر أهم الأسباب التي عجلت باندلاعها على الخلافة.

**أ. أسباب ثورات البربر على الخلافة**

**1.** السياسة الجائرة لبعض عمال بني أمية[1]، وكذا الممارسات السلبية لعمال النواحي ببلاد المغرب الإسلامي، وتسلطهم على البربر سبيا لبناتهم وتخميسا لأموالهم[2]، باعتبار أن بلادهم فيئ للأمويين، وإدراك البربر أن تعاليم الإسلام مخالفة لما جاء به هؤلاء[3].

**2.** عصبية بني أمية للعرب[4]، حيث كانوا ينظرون للجنس غير العربي نظرة دونية فيها الكثير من الاستعلاء على الموالي[5]، وعدم الأخذ في الحسبان طبيعة وخصوصية المجتمع البربري، الذي يتميز بالأنفة وعدم الإذعان للظلم والتسلط[6].

3. اضطرام نار العصبية القبلية بين القيسية والقحطانية من جهة [7]، وأشياعهم البربر من جهة أخرى[8]، وما تسببت فيه من إذلال لكبراء البربر ومقدميهم ممن تقلدوا مناصب في

---

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص ص240-241؛ الطبري، مصدر سابق، ج6، ص617؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج4، ص354؛ السلاوي الناصري، مرجع سابق، ج1، ص ص47-48؛ ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص48-51.

(2) موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص156؛ محمد علي دبوز، مرجع سابق، ج2، ص221؛ ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، **الإمامة والسياسة**، مطبعة النيل، مصر، د.ط، 1904م، ج2، ص106.

(3) محمود إسماعيل عبد الرزاق، مرجع سابق، ص40.

(4) موسى لقبال، المغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص ص107، 149.

(5) حسين مؤنس، فجر الأندلس، مرجع سابق، ص204.

(6) حمود بن سعد بن مهدي الأكلبي، **إمارة برغواطة بتامسنا**، رسالة ماجيستر، إش عبد الحليم بن علي رمضان، غ.مط، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الملك فيصل، الهفوف-المملكة العربية السعودية، 2017م، ص38.

(7) محمود إسماعيل عبد الرزاق، مرجع سابق، ص31.

(8) الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص64.

الدولة الأموية[1]، التي ظهرت عليها مخايل الضعف والشيخوخة[2].

**4.** انتشار فكر الخروج والشراية لدى البربر[3]، نتيجة لتسرب دعاة الخوارج الإباضية والصفرية من المشرق، هروبا من بطش خلفاء بني أمية بدمشق[4]، واستقرارهم ببلاد المغرب[5] لبعدها عن مركز الخلافة، وقد وجد البربر في مبادئ الخوارج متنفسا لهم من جور عمال الأمويين.

لقد تضافرت هذه الأسباب على تنوعها واختلافها، ومهدت لإشعال نار الثورة على الخلافة الأموية من قبل قبائل البربر، التي انضوت على شكل تحالفات قبلية[6]، وما أفرزته من نتائج كان لها عظيم الأثر في تضعضع مركز الخلافة ببلاد المغرب الإسلامي كما سيأتي بيانه:

**ب. أهم الثورات**

**1) ثورة ميسرة المدغري 122هـ**

لقد بلغت بلاد المغرب درجة من الاحتقان والفوضى على كل الأصعدة، خاصة خلال فترة حكم عبيد الله بن الحبحاب، بالرغم من حسن بلائه في إدارة شؤون مصر، إلا أن ذلك لم يشفع له باعتباره لم يراع خصوصيات المجتمع البربري، ناهيك عن فرط تعصبه لقيسيته،

---

(1) ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص293.

(2) محمد علي دبوز، مرجع سابق، ج2، ص221.

(3) الشراية من الشراة وهم من فرق الخوارج، تسموا بذلك لأنهم شروا أنفسهم من الله تعالى، أي أنهم باعوها بالجنة حين فارقوا الحكام والأمراء الظلمة بزعمهم، وقد كتب الحجاج لعبد الملك بن مروان في طلب عمران بن حطان قائلا: "أما بعد، فإنّ رجلا من أهل الشّقاق والنّفاق، قد كان أفسد عليّ أهل العراق وحبّبهم بالشّراية.." الأصبهاني أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي، **الأغاني**، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1415هـ، مج18، ص331. ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص144.

(4) الطبري، مصدر سابق، ج4، ص245.

(5) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ج1، ص214.

(6) بوزياني الدراجي، **دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس**، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط3، 2007م، ص133.

التي جعلته يولي على نواحي بلاد المغرب أقرب الناس إليه، كما فعل مع ولده لما ولاه طنجة بصحبة عمر بن عبد الله المرادي، الذي كان غاليا في تعصبه ومبغضا للبربر[1].

وبالرغم من الظلم الذي مورس على جهات كثيرة من بلاد المغرب، إلا أن البربر حاولوا على طريقة أهل السنة[2] أن يجدوا مخرجا لجور عمال بني أمية، فقاموا بإرسال وفد لمقر الخلافة بدمشق بزعامة ميسرة[3] المدغري[4] لملاقاة هشام بن عبد الملك، إلا أن الأبرش[5] وزير الخليفة كان له رأي مخالف، حيث حجبهم عن لقاء الخليفة، وسوّفهم حتى ملت نفوسهم ونفذت نفقاتهم[6]، فقاموا بكتابة أسمائهم في الرقاع ورفعوها للوزراء، وقالوا هذه أسماؤنا وأنسابنا، فإن سألكم عنا أمير المؤمنين فأخبروه، وانصرفوا لبلادهم[7]، ولم تسجل لنا

---

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص241.

(2) تمثل موقف عامة البربر في عدم شق عصا الطاعة لمّا دعاهم الخوارج للثورة فأبوا وقالوا: "إنا لا نخالف الأئمة بما تجني العمال، ولا نحمل عليهم ذلك."، ثم مسيرهم للخليفة من أجل رفع شكواهم وتظلماتهم من عامل عبيد الله ابن الحبحاب. ينظر: الطبري، مصدر سابق، ج4، ص254.

(3) ميسرة المدغري أو المطغري نسبة لقبيلته مطغرة البترية، ويسمى بالسقاء لاشتهاره بسقي الماء في سوق القيروان، وقد سماه العرب ميسرة الحقير وقالوا الفقير، من زعماء البربر وشيخ مطغرة، خرج عن طاعة الأمويين بعد مرجعه من المشرق في الرحلة المشهورة لملاقاة الخليفة هشام بن عبد الملك، قتله البربر بسبب أمور نقموها عليه بعد الثورة على عامل عبيد الله بن الحبحاب سنة 122هـ. ينظر: مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم**، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1989م، ص40؛ ابن خلدون، ج4، ص ص241-242، ج6، ص ص156، 276؛ ابن القوطية، مصدر سابق، ص39؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج4، ص416؛ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص353.

(4) مطغرة أو مدغرة بطن من بني فاتن بن تامصيت بن ضري بن زحيك بن مادغيس الأبتر، مواطنهم التلية ببلاد المغربين الأقصى والأوسط، محاذية لكومية كما سكنوا أحواز سجلماسة، وشيدوا حصن لهم بتاونت، وحاولوا إقامة إمارة قرب ندرومة. السلاوي، مرجع سابق، ج1، ص48؛ بوزياني الدراجي، **القبائل الأمازيغية**، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط، 2010م، ج1، ص186.

(5) أبو مجاشع، سعيد بن عبد الله الأبرش الكندي الكلابي، كان يكتب لهشام بن عبد الملك، وكان غالبا عليه ثم صار وزيرا له، وقد طعن جماعة في نسبه. الطبري، مصدر سابق، ج7، ص36 الصفدي؛ صلاح الدين خليل بن أيبك، **الوافي بالوفيات**، تح أبو عبد الله جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010م، ج12، ص180؛ الطبري، مصدر سابق، ج7، ص36.

(6) محمد علي دبوز، مرجع سابق، ج2، ص245.

(7) الطبري، مصدر سابق، ج4، ص ص254، 255.

كتب التاريخ مصير شكوى وفد البربر، هل أبلغها الأبرش للخليفة أم حجبها عنه كما حجب وفد البربر[1].

بعد فشل لقاء الخليفة وانصراف وفد البربر إلى بلاد المغرب، صمم ميسرة على الثورة ضد الأمويين، بعدما تيقن من تواطؤ الخلافة مع عامل بلاد المغرب ضد البربر، وإن الظلم إنما وقع برضا الخليفة، خاصة بعدما شاهده من إعراض الأبرش الكلابي حاجب الخليفة عنهم، ومنعهم من رفع شكواهم والمطالبة بحقوقهم العادلة والمشروعة[2].

امتعض ميسرة من عسف عمال عبيد الله، وحمل ممن بايعه من قبائل البربر[3] على الفتك بعمر بن عبد الله المرادي –عامل طنجة لابن الحبحاب–، فاغتنموا فرصة غياب الجند العربي في حملتهم على صقلية[4]، فقتلوه بسبب سوء سيرته، وإقدامه على تخميس[5] البربر[6]، وولوا بدلا منه عبد الأعلى بن جريج الإفريقي[7]، حيث سارع للقاء إسماعيل بن عبيد الله الذي كان منظَّما، أين استطاع أن يقضي على حركة ابن جريج

---

[1] حمود بن سعد بن مهدي الأكلبي، مرجع سابق، ص39.

[2] الطبري، مصدر سابق، ج4، ص 255.

[3] بايعه بربر مكناسة وغمارة وبرغواطة، وانضم إليه الأفارقة وهم بعض أهالي مملكة قرطاج المعروفين بالفينيق مضاف اليهم بعض العناصر الوندالية والرومانية البيزنطية. الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص73؛ السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ج1، ص218؛ عبد الواحد دنون طه، **الفتح والاستقرار العربي في شمال افريقيا والأندلس**، دار المدار الاسلامي، ليبيا. د ط، 2004م، ص102 Gautier Emile Félix, le passé de l'afrique du nord ; les sciecles obscurs, bibliothèque historique, paris, payot, 1937, p05.

[4] ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص52.

[5] التخميس بأن يأخذ منهم خُمس محاصيلهم، وقد كان الولاة يفرضونه على من لم يؤمن منهم. ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص241.

[6] الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص67.

[7] ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص52.

وقتله[1]، وتداعت برابر المغرب بأَسرها وعظم البلاء[2]، ثم زحف ميسرة بمن معه إلى لقاء إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب بالسوس، فقتل إسماعيل بن عبيد الله، وبايع البربر ميسرة المدغري، وخاطبوه بأمير المؤمنين[3].

بسبب هذه الأحداث تنبه عبيد الله بن الحبحاب إلى خطورة الوضع، فوجه خالد بن حبيب الفهري فيمن كان قد بقي معه من الجيش مواقفا لميسرة[4]، واستقدم أباه حبيب بن أبي عبدة الفهري[5]، الذي خرج لغزو صقلية[6]، فنزل بجيشه على مصب وادي الشلف بينما، مضى ابنه خالد للقاء جيش ميسرة قرب طنجة، فالتقى الجيشان ثم تحاجزا ورجع ميسرة إلى طنجة منهزما[7]، لكن البربر استضعفوه وثاروا عليه وقتلوه لسوء سيرته وأمور نقموها عليه، ثم ولوا مكانه أحد غلاتهم وهو خالد بن حميد الزناتي[8].

---

[1] كان عبد الأعلى بن جريج قد خرج على الخلافة الأموية سنة 122هـ، والتقى عمرو بن عبد الله العبسي بالقرب من طنجة فهزمهم عبد الأعلى وبدد جيشهم وقتل عمرا. خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص ص352-353؛ محمد علي دبوز، مرجع سابق، ج2، ص ص248-250.

[2] ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص52؛ الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ج2، ص73؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج4، ص416.

[3] ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص293؛ سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج1، ص289؛ السلاوي،مرجع سابق، ج1، ص49.

[4] نفسه، ص49.

[5] حفيد عقبة بن نافع الفهري ووالد عبد الرحمن الفهري الذي استولى على إفريقية وأخرج منها حنظلة بن صفوان، كان من قادة الأمويين هو وولده خالد بن حبيب، توفي سنة 122هـ في مواجهة قوات البربر بزعامة ميسرة المدغري. ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص52.

[6] نفسه، ج1، ص53.

[7] محمود إسماعيل عبد الرزاق، مرجع سابق، ص65.

[8] وقع ابن عبد الحكم في وهم وخلط أحداث المغرب مع أحداث الأندلس، إذ جعل عبد الملك بن قطن هو من خلف ميسرة المدغري، وهذا غلط إذ أن عبد الملك بن قطن كان حينها واليا على الأندلس. ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص294؛ ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص53؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج4، ص117؛ السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ج2، ص220؛ مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، دار الكتاب العربي، الجزائر، د.ط، 2007م، ج2، ص526.

### 2) ثورة خالد بن حميد الزناتي[1]

- **وقعة الأشراف 122هـ**

أدى مقتل ميسرة إلى انقسام البربر إلى فرقتين، فرقة بقيادة خالد بن حميد الزناتي، وفرقة أخرى بزعامة أبي يوسف سالم الهواري[2]، وقد استغل خالد بن حميد الزناتي الموقف، وقام بتقسيم قواته لنصفين، واجه بإحداهما قوات خالد بن حبيب قرب وادي الشلف[3]، بينما قامت القوات الأخرى بالالتفاف حول قوات حبيب بن أبي عبدة[4] لمنع دعم قوات ابنه خالد[5].

تفاجأ العرب بهذا الكمين المحكم وتكاثر عليهم البربر فانهزموا، وكره خالد بن أبي حبيب الهرب وألقى بنفسه وأصحابه إلى الموت، فمات في هذه الواقعة حماة العرب وفرسانها وكماتها، فسميت الغزوة بغزوة الأشراف[6] وانتقضت البلاد[7].

لقد كانت نتائج غزوة الأشراف خطيرة على الخلافة الأموية ببلاد المغرب، حيث عجلت بعزل عبيد الله بن الحبحاب من طرف أعيان العرب بالقيروان[8]، ولما علم الخليفة

---

(1) خالد بن حميد الهتوري الزناتي الخارجي أمير الصفرية بعد ميسرة المدغري، أوقع بجيوش بني أمية في معركتي الأشراف وبقدورة. السلاوي الناصري، مرجع سابق، ج1، ص49

(2) يسميه خليفة بن خياط الأزدي وهو عبد الواحد بن يزيد الهواري نسبة لقبيلة هوارة البرنسية. خليفة بن خياط، مصدر سابق، ج2، ص370 ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص296؛تابليت عمر، **هوارة ودورها في تاريخ المغرب**، الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2011م، ص49؛ ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص296.

(3) السلاوي الناصري، مصدر سابق، ج1، ص49.

(4) لاذ حبيب بن أبي عبدة بتلمسان بعد خروج عاملها عبد الرحمن بن المغيرة العبدي المعروف بالجزار، حيث بلغه تواطؤ عاملها موسى بن أبي خالد مولى معاوية بن حديج الكندي ﷺ مع البربر فعاقبه بقطع يده ورجله. ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص294؛ سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج1، ص292.

(5) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص53؛ الرقيق

(6) نفسه، ج1، ص ص53-54.

(7) ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص242.

(8) السلاوي الناصري، مصدر سابق، ج1، ص49.

الأموي هشام بن عبد الملك (105-125هـ) بالأمر غضب وقال قولته الشهيرة[1]، وكتب لابن الحبحاب بالقدوم فخرج في جمادى الأولى سنة 123هـ[2].

- **معركة بقدورة 123هـ**

بعد عزل عبيد الله بن الحبحاب، عين الخليفة هشام بن عبد الملك رجلا متعصبا من غلاة القيسية هو كلثوم بن عياض القشيري[3]، وسير معه جيشا كثيفا قوامه سبعة وعشرون ألف مقاتل[4]، وأرسل معه ابن أخيه بلج بن بشر القشيري ينوب عنه إن نابه أمر، وإن أصيب بلج فالأمير بعدهما ثعلبة بن سلامة العاملي[5].

تحرك الجيش من دمشق، وقد انضم إليهم ثلاثة آلاف من جند مصر سوى المطوعة، وجعل معهما الأدلاء ممن له دراية ببلاد المغرب، فسار معهم هارون القرني مولى معاوية بن هشام ومغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك، وأمر أمير المؤمنين باستشارتهما لمعرفتهما بمسالك البلاد وبطباع البربر[6]، وكتب هشام إلى والي مصر وعامل برقة وطرابلس بدعم الجيش بالمقاتلين والمطوعة[7].

---

(1) قال هشام بن عبد الملك لما قتل العرب في وقعة الأشراف: "والله لأغضبن لهم غضبة عربية، ولأبعثن إليهم جيشا أولهم عندهم وآخرهم عندي، ثم لا تركت حصنا بربريا إلا جعلت إلى جانبه خيمة قيسي أو تميمي". الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص68.

(2) السلاوي الناصري، مرجع سابق، ج1، ص49.

(3) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص221.

(4) كان على كل كورة من كور الشام الأربعة؛ دمشق، وحمص، وفلسطين، والأردن، أن تقدم ستة آلاف من الجيش النظامي وثلاثة آلاف من قنسرين وحلب. سعد زغلول، مرجع سابق، ج1، ص293.

(5) ابن القوطية، مصدر سابق، ج2، ص30.

(6) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ص36-37؛ محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ص66.

(7) تضاربت الروايات في عدد من خرج في هذه الحملة، فيقول ابن عذارى والرقيق أن كلثوم بن عياض وبلج بن بشر إنما خرجا في اثني عشر ألفا من دمشق، دون احتساب من انضاف إليهما من الفرسان والمطوعة، إلا أن رواية صاحب أخبار مجموعة كانت أكثر دقة، فيذكر عدد أفراد الحملة التي خرجت من دمشق، ويعطي أرقاما عن كل من انضم لجيش كلثوم بن عياض من الأردن ومصر وطرابلس وبرقة والقيروان حتى وصلوا إلى وادي سبو، وأن تعداد الجيش ناهز السبعين ألفا. ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص294؛ ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص54.

وصل جيش كلثوم بن عياض إلى إفريقية في رمضان من سنة 123هـ[1]، لكنه تنحى عن دخول القيروان[2] ونزل في مكان يسمى سبيبة على مسيرة يوم واحد منها[3]، وكان على طليعته بلج بن بشر القشيري، وكان قيسيا شديد التعصب كعمه[4]، فلقي أهل القيروان بالجفاء والتكبر وأراد أن ينزل عسكره معهم في منازلهم[5]، فكتب أهلها لحبيب بن أبي عبدة وهو مواقف البربر بتلمسان، يشكون إليه بلجا وكلثوم بن عياض، فكتب هو بدوره يتهددهما إن لم يرحلا عن البلد، فاعتذر إليه كلثوم بن عياض وسار إلى لقائه[6] مستخلفا على إفريقية قاضيها عبد الرحمن بن عقبة الغفاري، وعلى الحرب مسلمة بن سوادة القرشي[7].

لما وصل جيش كلثوم بن عياض لمعسكر حبيب بن أبي عبدة استهان بلج بن بشر بحبيب بن أبي عبدة واستخف به[8]، وثارت الفتنة بينهما وصاح الناس السلاح السلاح[9] فاقتتلا ساعة[10]، وقد كان هذا الاختلاف سببا لهلاكهم مع سوء رأي بلج وكلثوم[11]، ثم سُعي بينهما في الصلح، وكان صلحا على دخن[12]، وسار هذا الجيش الكبير الذي كانت

---

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص242.

(2) النويري، مصدر سابق، ج24، ص32.

(3) خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص354؛ ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص295؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج4، ص417.

(4) سيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص221.

(5) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص54.

(6) ابن الأثير، مصدر سابق، ج4، ص417.

(7) الناصري، مرجع سابق، ج1، ص50؛ النويري، مصدر سابق، ج24، ص32.

(8) ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص ص294-295.

(9) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص55.

(10) ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص242.

(11) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص55.

(12) محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ص67.

تنخره الأحقاد والضغائن[1] للقاء ثوار البربر نواحي طنجة[2]، بمكان اسمه بقدورة قرب طنجة على ضفاف وادي سبو[3].

لم يلبث الصراع بين قادة الجيش الأموي حتى تجدد بسبب اختلافهم حول طريقة مجابهة السيل البشري من ثوار البربر[4]، حيث أعرض كلثوم بن عياض عن مشورة حبيب بن أبي عبدة القاضية بقتال الرجالة بالرجالة والخيل بالخيل[5]، واستهان بلج بن بشر بنصيحة هارون القرني ومغيث الرومي وأصر على النزال مستخفا بقوات البربر، لقلة ما لديهم من سلاح[6]، وكانت أعداد البربر هائلة لا يستهان بها رغم تسليحهم البدائي، حيث أقبلوا عراة متجردين ليس عليهم إلا السراويلات[7]، وقد حلقوا رؤوسهم اقتداء بالأزارقة وأهل النهروان، ومعهم الجلود اليابسة فيها الحجارة[8].

اقتحم بلج بن بشر القشيري صفوف البربر بأمر عمه كلثوم معتقدا أن الخيل تحسم المعركة[9]، لكن البربر رموا خيله بالأوضاف[10]، كما عمدوا إلى تعليق القرب والجلود اليابسة في أذناب خيلهم لتنفر منها خيل العرب وتلوذ بالفرار[11]، وهذا ما حصل، حيث

---

(1) سعد زغلول، مرجع سابق، ج1، ص295.

(2) ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص295.

(3) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص32؛ ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص242؛ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص354.

(4) كانت أعداد المقاتلين في جيش البربر أكبر بكثير من جيش الأمويين، إذ قدرها المؤرخون بأكثر من ثلاث مائة ألف مقاتل. سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج1، ص296.

(5) استهان بلج ابن بشر بنصيحة حبيب بن أبي عبدة مخاطبا إياه بكلام فيه إهانة كبيرة، حيث قال له: "ما أغنانا عن رأيك يا ابن أم حبيب". ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص295.

(6) قال بلج بن بشر لعمه كلثوم بن عياض مستخفا بقوات البربر: "لا يرعك كثرة هؤلاء فإن أكثرهم عريان أعزل لاسلاح لهم". مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص32.

(7) ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص295.

(8) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص32.

(9) ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص295.

(10) الأوضاف: الجلود اليابسة بها الحجارة، محمود إسماعيل عبد الرزاق، مرجع سابق، ص68.

(11) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص38.

تساقطت الخيول الأموية هربا من رجالة البربر، وترجل الجند العربي فأحاط بهم البربر من كل حدب وأعملوا فيهم السيف[1]، فقتل كلثوم بن عياض، وحبيب بن أبي عبدة، ومحمد بن عبيد الله الأزدي، وهارون القرني، ومغيث الرومي، وسليمان بن أبي المهاجر ووجوه العرب[2]، وحلت الهزيمة بجيش الخلافة[3]، فثلث مقتول وثلث مهزوم وثلث مأسور[4]، وأما بلج فاستطاع أن يكسر صفوف البربر، لكنهم حالوا بينه وبين جيش الخلافة، وفتكوا بغالب قواته، فسار بفلهم إلى سبتة وتحصن بها، وقامت جحافل البربر بحصاره داخل أسوارها[5].

### 3) ثورتي عكاشة بن أيوب الفزاري وعبد الواحد بن يزيد الهواري 124هـ

بعد هزيمة العرب ومقتل كلثوم بن عياض القشيري بمعركة بقدورة، أسف هشام بن عبد الملك لذلك، وتألم لمقتل فرسانه وقادة جيشه[6]، وصمم على مواصلة صده للثوار في موقف إيجابي حاسم[7]، فأمر عامله على مصر حنظلة بن صفوان الكلبي[8]

---

[1] النويري، مصدر سابق، ج24، ص32.

[2] خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص355؛ ابن القوطية، مصدر سابق، ص40.

[3] ابن الأثير، مصدر سابق، ج4، ص416.

[4] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص39.

[5] ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص55؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص39.

[6] سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج1، ص300.

[7] السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ج1، ص227.

[8] حنظلة بن صفوان بن تويل بن بشر بن حنظلة الكلبي اليماني، شقيق بشر بن صفوان، ووالي مصر لهشام بن عبد الملك أيام كانت الجيوش الأموية تتلقى الهزائم ببلاد المغرب، عينه هشام وال على إفريقية فوصلها سنة 124هـ، فهزم الخوارج، وسكنت البلاد، ثم أخرجه عبد الرحمن الفهري من ولاية إفريقية فكره الفتنة وسفك الدماء لورعه وزهده، فأخذ من بيت المال ألف دينار وانصرف للمشرق في جمادي سنة 127هـ. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، مصدر سابق، ص427؛ الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص68؛ ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص301؛ النويري، مصدر سابق، ج24، ص34.

بالمسير إلى إفريقية[1]، فوصلها في ربيع الآخر أو جمادى الأولى من سنة 124هـ[2] على رأس ثلاثين ألف رجل من جند مصر، ثم أمده هشام بعشرين ألفا من أهل الشام[3].

لما استقر حنظلة بن صفوان بالقيروان لم يمكث فيها إلا يسيرا حتى زحف إليه عكاشة بن أيوب الفزاري، وعبد الواحد بن يزيد الهواري في جمع عظيم[4]، وافترقا ليقصدا القيروان من جهتين[5]؛ لوضعها بين فكي كماشة[6]، وقد أضمرا التنافس بينهما في إمامة الخوارج[7]، فمن سبق منهما للقيروان يغنم[8].

لقد كانت جحافل البربر كبيرة جدا[9]، حيث اجتمعوا على حنظلة من ناحيتين لحصاره بها[10] فلا يمكن لجيش الخلافة أن يواجههم جميعا، فعمد حنظلة بن صفوان إلى حفر خندق كبير على القيروان؛ لحمايتها من الثوار[11]، ثم سارع إلى إخراج جميع ما في خزائن القيروان من سلاح، وعبأ الناس بأن أعطى لكل منهم درعا وخمسين دينارا، فلم يزل ذلك دأبه حتى

---

(1) الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص ص68-69؛ ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص298.

(2) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص58؛ النويري، مصدر سابق، ج24، ص33؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج4، ص417؛ محمد علي دبوز، مرجع سابق، ج2، ص272؛ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص365؛ محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي- العهد الأموي**، المكتب الإسلامي، بيروت دمشق عمان، ط6، 1991م، ص271.

(3) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، مصدر سابق، ص41.

(4) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص58.

(5) ابن الأثير، مصدر سابق، ج4، ص418.

(6) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ج1، ص227.

(7) مصطفى أبو ضيف أحمد، **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية منذ الفتح العربي إلى سقوط الدول المستقلة**، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط1، 1986م، ج1، ص34.

(8) ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص299.

(9) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص58؛ ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص299؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج4 ص418؛ النويري، مصدر سابق، ج24، ص33.

(10) محمود شاكر، مرجع سابق، ص271.

(11) محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ص72.

تكاثر عليه الناس، فأنزل العطاء إلى أربعين دينارا فثلاثين، ولم يقدم إلا شابا قويا فتمكن من تجنيد خمسة آلاف نابل ومثلهم دارع[1].

كان عكاشة بن أيوب قد أخذ طريق مجانة، ونزل عند القرن[2] على ستة أميال من القيروان[3] في مكان مكشوف بعيد عن الأحراش والغابات، فعزم حنظلة على الخروج إلى عكاشة بن أيوب لقربه من القيروان وخيفة أن يجتمعا عليه[4].

التقى الجيشان بالقرن في قتال عنيف انتهى بهزيمة عكاشة بن أيوب الفزاري وفراره ومقتل غالب جيشه، بينما أرسل حنظلة في طلبه حيث تم أسره وقتله[5].

كانت النساء قد ركبن ظهور البيوت بالقيروان، فإذا رأين الغبار سائرا إلى الجبل كبرن وسجدن، وإذا رأينه مقبلا صرخن واستغثن، فبعث حنظلة يبشر بهزيمة البربر، ثم انصرف بجيش الخلافة للقيروان ليستعد للقاء قوات البربر بقيادة عبد الواحد بن يزيد الهواري[6].

تقدم عبد الواحد بن يزيد قرب باجة فأخرج إليه حنظلة رجلا من لخم في أربعين ألفا، لكن اللخمي انهزم بعد شهر من القتال في الخنادق والوعر، ثم رجع إلى القيروان تاركا وراءه عشرين ألف قتيل[7]، مفسحا المجال لتقدم عبد الواحد بن يزيد الهواري، الذي نزل بالأصنام

---

[1] النويري، مصدر سابق، ج24، ص33.

[2] الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص69.

[3] ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص299.

[4] لقد اختلفت رويات المؤرخين في توقيت معركتي القرن والأصنام أيهما كانت أولا، والذي يُفهم من سياق الكلام عند غالب المؤرخين أن حنظلة بدأ بقتال أقربهما إليه وهو عكاشة بن أيوب، ثم لما فرغ من قتاله زحف لغريمه عبد الواحد بن يزيد الهواري. محمد علي دبوز، مرجع سابق، ج1، ص276؛ السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ج1، ص227؛ ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص299؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج4، ص417؛ ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص58؛ الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص80.

[5] السلاوي الناصري، مصدر سابق، ج1، ص51؛ ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص299.

[6] الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص ص80-81.

[7] النويري، مصدر سابق، ج24، ص33.

من جراوة على بعد ثلاثة أميال من القيروان، وكان في ثلاثمائة ألف على مقدمته أبو قرة اليفرني المغيلي[1].

خرج حنظلة للقائه بعدما استنفر عامة أهل القيروان على مختلف طبقاتهم وقد أيسوا من الحياة؛ للذي كانوا يتخوفونه من القتل والسبي وذهاب الأموال على أيدي الخوارج الصفرية[2]، وقد خرج العلماء يحثونهم على الجهاد وقتال جيش الخوارج، فكسر الناس أجفان سيوفهم، وخرج النسوة يحرضنهم، فحمي الناس وحملوا على الخوارج حملة واحدة، ثم إن الله هزم الخوارج والبربر، واستحر القتل فيهم، وهربوا إلى جلولاء[3]، فخر حنظلة ساجدا لهزيمة عدوه ومقتل عبد الواحد، وطير خبر النصر مزهوا للخليفة هشام بن عبد الملك [4]، فسر بذلك سرورا عظيما[5]، فكان الليث بن سعد يقول: "ما غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إلي من غزوة القرن والأصنام"[6].

### 4) ثورة البربر في نفزاوة 125هـ

لما كانت معركتي القرن والأصنام أرسل حنظلة بن صفوان إلى عامله على طرابلس معاوية بن صفوان أن يوافيه بقواته، فخرج إليه حتى إذا كان بقابس بلغه هزيمة عبد الواحد وعكاشة، فكتب إليه حنظلة في بربر خرجوا في نفزاوة وسبوا أهل ذمتها أن امض إليهم، فسار إليهم بجحافله وقاتلهم، قُتل معاوية بن صفوان بعد أن قضى على حركة الخوارج، مستنقذا ما أصابوه من أهل الذمة، فبعث حنظلة زيد بن عمرو الكلبي على ذلك الجيش خلفا لمعاوية بن صفوان وانصرف بهم إلى طرابلس.

---

[1] الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص81.

[2] ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص300.

[3] ابن الأثير، مصدر سابق، ج4، ص418.

[4] النويري، مصدر سابق، ج24، ص34.

[5] ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص59.

[6] الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص85؛ ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص145.

بهذا تمكن حنظلة من القضاء على الثورات، وتسكين الفوضى، وثأر للخلافة الأموية لقتلى معركتي الأشراف وبقدورة، كما أنه أنهى أطماع خوارج البربر الصفرية في الاستيلاء على إفريقية، واستطاع الاحتفاظ بالقيروان لسنوات أخرى، رغم انتهاء الوجود الأموي بالمغربين الأقصى والأوسط، خاصة وإن ملامح تشكل دويلات الخوارج بدأ يلوح في الأفق.

**ج. نتائج ثورات البربر**

لقد تمخض عن القلاقل والثورات التي قادها زعماء القبائل البربرية ضد الخلافة نتائج خطيرة على مختلف الأصعدة، كان لها الأثر الكبير على الوجود الأموي ببلاد المغرب، ففي الشق الاقتصادي أنهكت الثورات مقدرات الدولة ماليا، حيث أن القضاء على أية ثورة يكلف بيت المال مداخيل طائلة، لتسيير الجيوش وتجهيزها، نظرا لبعد المغرب عن مقر الخلافة، وأما عسكريا فقد تسببت الثورة التي اندلعت بعد مقتل عمر بن عبد الله المرادي في كبح جهود الخلافة، من أجل استكمال الحملات على جزر المتوسط، للقضاء على جيوب المقاومة البيزنطية، فكان والي بلاد المغرب يقوم بقطع حملات الفتح في كل مرة تندلع فيها الثورة، ويستدعي الجيش لمواجهة الثوار بغية إخماد التمرد وتسكين الفوضى[1].

في الشق السياسي أدت ثورة البربر الخوارج إلى تقلص نفوذ الخلافة الأموية، وبعدها العباسية في بلاد المغرب، حيث خرجت بلاد المغرب الأقصى بأكملها، وأجزاء واسعة من المغرب الأوسط عن حكم الخلافة الإسلامية، ولم يبق لهم إلا حكم صوري، بينما بقي حكمهم نافذا في القيروان وما جاورها من البلاد، وحل محل الخلافة دويلات متناثرة على امتداد بلاد المغرب، فظهرت دولة بني المدرار بسجلماسة بالمغرب الأقصى، ودولة بني رستم بتيهرت، وقبلهما إمارة بني صالح بتامسنا، وإن كانت أقل قوة وشأنا منهما[2]، ومع توالي السنين واضطرام نار الثورة بالمشرق على حكم العباسيين، فر إدريس وسليمان ابنا عبد الله الكامل الحسني بعد معركة فخ لبلاد المغرب، وأسسا بمساعدة زعيم قبيلة أوربة

[1] ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 53. سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج1، ص 282.

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص ص156، 171، 276.

البرنسية دولة الأدارسة وعاصمتها فاس[1]، كما ظهرت بعض الإمارات العلوية بالمغرب الأوسط، منتهزة فرصة ضعف الحكم العربي، بسبب هذه الثورات التي حصلت جراء تسرب المعتقد الخارجي إليها[2].

على الصعيد الفكري أدت الضربات القوية التي تلقتها فلول الحركات الخارجية بالمشرق الإسلامي، إلى تسرب رؤوس ومنظري الفكر الخارجي والاعتزالي، هروبا من بطش الخلافة إلى المناطق البعيدة عن أعين الدولة، بحثا عن حاضنة شعبية لأفكارهم ومعتقداتهم المنحرفة عن الشريعة الإسلامية، فتساقط لبلاد المغرب أفكار منحرفة متطرفة، وفهوم مخالفة لما عهده المسلمون في صدر الإسلام، وحصلت بسببها حروب طاحنة وثورات كثيرة أنهت الحكم الأموي في جزء كبير من بلاد المغرب[3].

## II. الأوضاع الفكرية والمذهبية

يعتبر الجانب المذهبي والعقدي أبرز الجوانب التاريخية أهمية وتأثيرا، ذلك لأن حركة الفتح وما تلاه بعد ذلك، إنما كان محوره الأساسي هو العقيدة، والتي تحولت إلى نشاط فكري، صار يستقطب أهل المغرب من البربر، كما أنها سبب اختلال التوازن الحاصل، بعد دخول تيارات عقدية أخرى من غير السنة، حيث راج مذهبي الخوارج الصفرية والإباضية، ومذهب الاعتزال؛ لذلك اعتبر فتح المغرب فتحا عقديا علميا[4] وسنحاول استعراض أهم التطورات العقدية والمذهبية في بلاد المغرب الاسلامي قبيل فترة البحث.

---

(1) السلاوي الناصري، مصدر سابق، ج1، ص67.

(2) الطبري، مصدر سابق، ج4، ص245.

(3) موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص153.

(4) يوسف بن أحمد حوالة، **الحياة العلمية بإفريقية منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن الخامس الهجري**، مركز بحوث الدراسات الإسلامية-جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 2000م، ج1، ص86.

### 1. مذهب أهل السنة

نشأ مصطلح أهل السنة والجماعة؛ بعد ظهور البدع والفرق، استنادا الى الأحاديث الداعية للارتباط بالجماعة، والتمسك بالسنة؛ والتحذير من الفرقة والاختلاف في الدين وعماد مذهبهم التمسك بما كان عليه نبي الله وأصحابه من بعده اعتقادا واقتصادا، قولا وعملا[1]. وكان دخول مذهب أهل السنة إلى بلاد المغرب مع حملات الفتح الإسلامي التي أرسلها الخلفاء الراشدون ثم ولاة بني أمية من بعدهم، فكان أول ما دعوا إليه هو كلمة التوحيد، وبذلوا دماءهم ومهجهم في سبيل ذلك، فما إن استقر الإسلام في قلوب البربر، حتى شرع الفاتحون في تعليمهم أصول الدين ومسائل الفقه والطهارة، وقد اضطلع بهذه المهمة جملة من الصحابة وكبار التابعين[2] الذين كانوا ضمن كتائب الفتح، أو أرسلوا خصيصا من طرف الخلافة لنشر المبادئ والأحكام السمحة التي نقلت حياة البربر إلى التوحيد ومكارم الأخلاق، وأخرجتهم من غياهب الشرك والعبودية للأصنام، وامتهان الكهانة والتنجيم

---

[1] عثمان بن علي حسن، **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة**، مكتبة الرشد، الرياض، ط5، 1415هـ، مج1، ص27.

[2] عرفهم الحافظ العراقي في ألفيته بقوله:

والتابع اللاقي لمن قد صحبا *** وللخطيب حده أن يصحبا
وهم طباق قيل خمس عشرة *** أولهم: رواة كل العشرة

علق الحافظ السخاوي هذين البيتين إذ يقول: فـ (التابع) ويقال له: التابعي أيضا، وكذا التبع، ويجمع عليه أيضا، وكذا على أتباع، هو (اللاقي لمن قد صحبا) النبي ﷺ واحدا فأكثر، سواء كانت الرؤية من الصحابي نفسه، حيث كان التابعي أعمى أو بالعكس، أو كانا جميعا كذلك؛ لصدق أنهما تلاقيا، وسواء كان مميزا أم لا، سمع منه أم لا. ينظر: الحافظ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، **ألفية الحديث**، دار الآثار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2002،1م، ص135؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، تح وتع الشيخ علي حسن علي، دار الإمام الطبري، القاهرة، ط2، 1992م، ج4، ص145.

والسحر، والتعبد بديانات الأمم الغابرة، كالمجوسية التي دان بها الوندال[1] إبان حكمهم لبلاد المغرب، أو اليهودية التي أدخلها اليهود القادمون على متن السفن القرطاجية[2]،

وأما الديانة النصرانية فقد اعتنقها نفر من البربر البرانس[3]، الذين سكنوا الساحل[4] باعتبار قربه من مراكز بيزنطة[5].

ورغم شح المعلومات التي تتحدث عن معتقدات البربر الدينية قبيل الفتح العربي، إلا أنه يفهم من القطع المتناثرة التي أوردها الكُتّاب بهذا الشأن أن غالبية البربر كانوا مشركين أو مجوسا؛ أي أنهم لم يكن لهم تصور واضح عن الإله، أو عن مصير الإنسان، باستثناء من تهود منهم أو تنصر[6]، ولما كانت الجبال مناطق انعزال فربما لم يكن من الغريب أن تعيش فيها بعض الجماعات وهي محافظة على شيء من العادات والتقاليد القديمة، التي لم يستطع الفاتحون اقتلاعها من جذورها العميقة تماما خلال هذه المرحلة[7].

---

[1] هم قبائل الجرمان الشرقية، اقتطعوا أجزاء من الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس للميلاد، أسسوا لهم دولة في شمال إفريقيا، مركزها مدينة قرطاج، وضموا إليها جزيرة صقلية والعديد من جزر البحر الأبيض المتوسط، يعتقد أن اسم الأندلس مشتق من اسم هذه القبائل. ينظر: طراد نجيب إبراهيم، **تاريخ الرومان**، تق محمد زينهم عزب، مطبعة الغد، القاهرة، د.ط، 1997م، ص ص20-21.

[2] نسبة لمدينة قرطاج التي أسسها الفينيقيون سنة 814 ق.م، من طرف الملكة عليسا ديدون، لا تبعد عن مدينة تونس إلا بقليل، بناؤها بالحجر الصلب، كان لها دورا تجاريا في البحر المتوسط، وأصبحت خلال العهد الروماني مركزا هاما، دخلت في حرب مع روما عرفت بالحروب البونيقية الثالثة، أدت إلى تدميرها ونهايتها سنة 146 ق.م. البكري، مصدر سابق، ص121.

[3] البرانس هم البربر المستقرون، الذين ينزل معظمهم في المناطق الساحلية القريبة من البحر، والأخرى الجبلية الممتدة عبر بلاد المغرب، وهي مناطق تطيب فيها التربة، وتكثر فيها الأمطار، وتكون الزراعة ميسورة، والحياة مستقرة، وقد تمكنت قبائل البرانس بحكم استقرارها ومجاورتها لسيف البحر أن تتحضر وتتأثل المال. عبد الوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، د.ط، 1968م، ج1، ص301.

[4] إبراهيم العبيدي التوزري، **تاريخ التربية بتونس**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د.ط، 1967م، ج1، ص76.

[5] إمبراطورية رومانية تأسست في القسم الشرقي للإمبراطورية الرومانية المقدسة، أسسها أركاديوس عام 395م، وانتهت بسقوط عاصمتها القسطنطينية. ينظر: إسحاق تاضروس، **عبيد روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين**، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1970م، ص ص12-15.

[6] سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج1، ص113.

[7] الطاهر أحمد الزاوي، **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، مطبعة مؤسسة الخدمات الطباعية، بيروت، د.ت، ص24.

وعلى الرغم من وجود هذه المعتقدات إلا أن انتشارها كان محدودا، فعانت ضعفا كبيرا عند معتنقيها، ومن ثم كانت بلاد المغرب مهيأة لانتشار الإسلام، لاسيما وإن هذا الدين امتاز بالسهولة والوضوح، والتناسب مع عقلية البربر، إذ لم تتمكن من الصمود أمام الانتشار القوي للدين الإسلامي، الذي مكنته خاصيتاه العقدية والعلمية أن يتمكن من نفوس البربر، حتى صاروا دعاة له يحملون لواءه بالسيف والقلم، وهذا بجهود من شاركوا في أول دخول إلى هذه الأرض ومن تبعهم، وبهذا يمكن القول أن أهل المغرب تشبثوا بمنهج السلف من الصحابة والتابعين، فاعتنوا بالفقه في الدين وخاصة بعد مجيء الفقهاء العشرة، وما كان لهم من دور في تركيز المذهب السني[1].

### أ. جهود الصحابة

دخل الصحابة بلاد المغرب مجاهدين فاتحين، فمنهم من قدم أميرا على بلاد المغرب، ومن منهم من كان قائدا لحملات الفتح، وقد طفحت كتب المغازي والسير بأسماء من غزى المغرب منهم على عهد خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ[2]، عند فتح برقة بقيادة الصحابي عمرو بن العاص ﷺ[3]، سنة 22هـ ثم غزوة سبيطلة بإفريقية بقيادة عبد الله بن السعد بن أبي السرح ﷺ[4]، عام 27هـ فغزوة جلولاء عام 45هـ بقيادة

---

[1] محمد غزالي، **النشاط الفكري للمذاهب غير السنية في بلاد المغرب الإسلامي**، أطروحة دكتوراه، إش عمر بلبشير، غ.مط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة مصطفى إسطمبولي، 2016م، ص19.

[2] عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أمير المؤمنين، وثالث الخلفاء الراشدين، أبو عمرو، القرشي الأموي، أحد السابقين الأولين، وذو النورين، وصاحب الهجرتين، وزوج الابنتين، قتل مظلوما محصورا بداره سنة 35هـ ﷺ. شمس الدين محمد بن أحمد بن قيماز الذهبي، **سير أعلام النبلاء – سير الخلفاء الراشدون**، تح ضبط تع بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996م، ص ص149، 183.

[3] عمرو بن العاص بن وائل، الإمام أبو عبد الله وأبو محمد السهمي، هاجر إلى رسول الله ﷺ مسلما في أوائل سنة ثمان، ففرح رسول الله ﷺ بإسلامه، نزل المدينة ثم مصر، افتتح مصر زمن عمر بن الخطاب ﷺ وولاه أياها، ثم زمن عثمان بن عفان ﷺ، ومات بها نائبا لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ. الذهبي، مصدر سابق، ص2955.

[4] عبد الله بن سعد بن أبي السرح بن الحارث، الأمير قائد الجيوش، أبو يحي القرشي العامري، تولى مصر لعثمان ﷺ، غزا إفريقية سنة 27هـ، وقتل صاحبها جرجير، ثم غزا ذات الصواري، اعتزل أحداث الفتنة الكبرى وخرج فارا منها إلى الرملة، فتوفاه الله سنة 59هـ. الذهبي، مصدر سابق، ج2، ص2392.

معاوية بن حديج الكندي ﷺ، إلى غاية حملات عقبة بن نافع الفهري[1] زمن الدولة الأموية السفيانية.

ذكر البلاذري في فتوح البلدان[2]، والمالكي في رياض النفوس[3]، نقلا عن طبقات أبي العرب التميمي[4] أسماء جمع غفير من الصحابة، ساهموا في عملية فتح المغرب ونشر الإسلام فيه، على غرار عبد الله بن عباس[5]، وعبد الله بن عمر بن الخطاب[6]، وعبد الله بن عمرو بن العاص[7]، وعبد الله بن الزبير بن العوام[8]،

---

[1] عقبة بن نافع بن عبد القيس القرشي الفهري، نائب إفريقية لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ، ثم نائبا لابنه اليزيد، بنى القيروان وشيد جامعها، كان شجاعا حازما دينا، توفي مقبلا غير مدبر في موقعة ضد الروم والبربر قرب تهودة عام 63هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص2700؛ خليل بن مأمون شيحا، **وفيات سير أعلام النبلاء**، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2007م، ص81.

[2] البلاذري، مصدر سابق، ص317.

[3] المالكي، مصدر سابق، ص ص60-98.

[4] أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي، **طبقات علماء إفريقية**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، د.ت، ص ص16-20.

[5] أبو العباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الأمير، ترجمان القرآن وحبر الأمة، ولد بالشعب ثلاثة أعوام قبل الهجرة، صحب رسول الله ﷺ نحو الثلاثين شهرا، غزى إفريقية مع ابن أبي السرح، ثم صار أميرا على البصرة زمن علي بن أبي طالب ﷺ، حارب في صفين مع علي ﷺ، مات بالطائف سنة 68هـ. الذهبي، مصدر سابق، ج2، ص ص2409-2415.

[6] عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن العدوي القرشي، الإمام القدوة شيخ الإسلام، استصغره نبي الله ﷺ في بدر وأحد ثم حضر الخندق وبايع تحت الشجرة، شارك في فتح مصر واختط بها، ثم دخل إفريقية مع عبد الله ابن سعد ومعاوية بن حديج الكندي، مات بفخ قرب مكة سنة 74هـ وعمره 84 عاما. الذهبي، مصدر سابق، ج2 ص2434؛ المالكي، مصدر سابق، ص62.

[7] عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل، الإمام الحبر العابد، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، أسلم قبل أبيه وهاجر سنة سبع فسماه رسول الله ﷺ عبد الله بدلا من العاص، رخص له رسول الله ﷺ في كتابة الحديث، وقد اختلفوا في مكان وفاته بين مكة والشام ومصر سنة 63هـ. الذهبي، مصدر سابق، ج2، ص2451.

[8] عبد الله بن الزبير بن العوام، أمير المؤمنين، أحد الأعلام وابن حواري رسول الله ﷺ، أول مولود للمهاجرين بالمدينة، له صحبة ورواية وعداده في صغار الصحابة، شهد اليرموك مراهقا وفتْح المغرب وغزْو القسطنطينية، بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة 64هـ، قتل محصورا بمكة في جمادي الآخرة سنة 73هـ. الذهبي، مصدر سابق، ج2، ص ص2381-2385.

والمسور بن مخرمة بن نوفل[1]، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق[2] ﷺ.

وعلى الرغم من أن كتب التراجم لم تسعفنا بالحديث عن دور هؤلاء الصحابة في النشاط الدعوي بإفريقية، إلا أنه يمكن القول أنّ هؤلاء الصحابة هم من حملوا واجب نشر الدعوة، وتعليم البربر القرآن الكريم والسنة النبوية والعقيدة الصحيحة[3].

**ب. جهود التابعين**

لقد سار التابعون في نفس المسار الذي خطه الفاتحون الأوائل من الصحابة فقاموا بدعوة البربر للإسلام، ولعل أبرز عمل قام به التابعون وعلى رأسهم عقبة بن نافع الفهري هو بناؤه لمدينة القيروان، قاصدا منها أن تكون مركزا للحكم الإسلامي في تلك البلاد[4]، ويدل على ما أضفاه عقبة بن نافع من طابع ديني على تأسيس المدينة سنة 50 هـ[5] أمره أن يبدأ العمل بتشييد المسجد الجامع[6]، ومن هذا المسجد انطلقت الدعوة بين أهالي المغرب، وأقبل الناس عليه لتلقي العلوم الإسلامية، والرجوع إلى أهلهم بعد ذلك لتلقينهم إياها، هذا بالإضافة إلى أولئك المعلمين العرب أو البربر الذين كانت ترسلهم الدولة إلى

---

(1) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب أبو عثمان القرشي الزهري، له صحبة ورواية وعداده في صغار الصحابة، كانت ولادته في العام الثاني للهجرة، لزم عمر بن الخطاب ﷺ وحفظ عنه، غزى إفريقية مع عبد الله بن سعد عام 27هـ، مات بمكة أثناء حصار ابن الزبير ﷺ من طرف الحصين بن نمير السكوني عام 73هـ. الذهبي، مصدر سابق، ج3، ص ص3855-3856.

(2) عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق، شقيق أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها، حضر بدرا مع المشركين، ثم أسلم وهاجر قبيل الفتح كان من الرماة المذكورين ومن الشجعان، حضر اليمامة وأبلى فيها، ذكر أبو سعيد بن يونس أن عبد الرحمن دخل إفريقية، ولم يذكر في أي جيش دخلها. الذهبي، مصدر سابق، ج2، ص2171؛ المالكي، مصدر سابق، ص71.

(3) محمد غزالي، مرجع سابق، ص20؛ يوسف بن أحمد حوالة، مرجع سابق، ص100.

(4) بيل ألفرد، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، تر عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987م، ص93.

(5) محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع للهجرة، ص38.

(6) ألفرد بيل، مرجع سابق، ص94.

الأقاليم المختلفة لتعليم الناس بعد أن تكونوا في العاصمة[1]، وبالرغم من شح المعلومات عن هذا العصر وحتى نهاية القرن الهجري الثاني عن كيفية التعليم الديني في القيروان وغيرها من أمصار المغرب، وعن الدور الذي كان يقوم به المسجد، وهل نالت الضواحي والأرياف البربرية شيئا من الثقافة الإسلامية؟[2]

ثم جاء أبو المهاجر دينار ليكمل ما بدأه عقبة بن نافع الفهري، فواصل سياسة نشر الإسلام وتعريب البربر، وحسبه اكتساب كسيلة وقومه للإسلام واتخاذه حليفا، كما صالح عجم إفريقية وأدخلهم حظيرة الإسلام والعروبة[3]، فصاروا شركاء في الفتح ولمسوا المساواة بينهم وبين العرب الفاتحين، حيث عد أرضهم مفتوحة صلحا لا عنوة[4].

وبعد استشهاده مع عقبة بن نافع بتهودة عام 64هـ وارتداد الكثير من البربر في أنحاء المغرب عن الإسلام، الأمر الذي أقنع حسان بن النعمان (74-78هـ)[5] بأن يركز جهوده الدعوية بإفريقية، وقد استوعب هذا الدرس موسى بن نصير؛ إذ أنه سخر سبعة وعشرين رجلا من العرب ممن ساهموا معه في الفتح؛ لتعليم الناس أمور الدين والدنيا، وقد كان لسياسته الحكيمة أثر طيب في تثبيت الإسلام في قلوب البربر، حيث أشركهم في الحكم، كما أنشأ لهم المساجد ورَتّب لهم المعلمين[6].

---

(1) التهامي إبراهيم، **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت- دمشق، ط1، 2005م، ص ص29-30.

(2) ألفرد بيل، مرجع سابق، ص94.

(3) المالكي، مصدر سابق، ص33.

(4) يوسف بن أحمد حوالة، مرجع سابق، ص97.

(5) حسان بن النعمان بن منذر الغساني، قائد عسكري وأمير الفتح، صالح البربر وأقر عليهم الخراج وهذب إقليمهم ودون الدواوين، كان يدعى بالشيخ الأمين. الذهبي، مصدر سابق، ص269.

(6) التهامي إبراهيم، مرجع سابق، ص30.

بعد استقرار الفتح وبدء مرحلة عصر الولاة، نشطت حركة هجرة العلماء والمحدثين وأهل الصلاح إلى بلاد المغرب[1]، وكانت على شكل بعثات لنشر الإسلام وبث السنة والفقه في الناس، وتعليمهم العربية وكانت هذه البعثات إما تطوعية جاءت ضمن الحملات التي توالت لغاية استقرار الفتح، أو من خلال طلائع الجيوش العربية التي أرسلها بنو أمية لتثبيت حكمهم هناك[2]، فآثر التابعون حياة الزهد والتنسك والدعوة إلى الله بإفريقية، وعقدوا حلق العلم بها، وأقبل عليهم البربر وأبناء الجند العربي المقيمين هناك[3]، وإلى جانب هؤلاء التابعين شهدت إفريقية قدوم أعداد أخرى منهم، توسع المالكي في ذكر تراجمهم متتبعا سيرهم في موطنهم الأصلي ثم بإفريقية، وذكر من دخل من طبقة التابعين ثم عاد لبلاده ثانية[4]، وقد خلدت ذكرهم كتب السير، ووصفت أخلاقهم مع الزهد والورع والتفاني في خدمة الإسلام والدعوة إليه بإخلاص كبير؛ ولعل أبرز من كان له دور معروف من التابعين: خالد بن أبي عمران التجيبي[5]، الذي نشر علم فقهاء المدينة بإفريقية ثم انتقل للإستقرار بتونس[6]،

---

(1) غزالي محمد، مرجع سابق، ص22.

(2) سواعدي عبد محمد – صالح عمار الحاج، مرجع سابق، ص25.

(3) يوسف بن أحمد حوالة، مرجع سابق، ص100.

(4) يوسف بن أحمد حوالة، مرجع سابق، ص102.

(5) خالد بن أبي عمران التجيبي مولى عمرو بن حارثة، الإمام القدوة، قاضي إفريقية، أبو عمر وقيل أبو محمد التونسي، كان أفقه أهل المغرب، ثقة ثبتا صالحا ربانيا مجاب الدعوة، شارك في معركة القرن، توفي سنة خمس وعشرين وقيل سبع وعشرين ومائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج2، ص1601.

(6) عبد المجيد بن حمدة، **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، مطبعة دار العرب، تونس، ط1، 1986م ص35.

عبيد بن فهد الأنصاري[1]، حنش بن عبد الله الصنعاني[2]، ويحيى بن سعيد الأنصاري[3].

وأما البعثات الرسمية فتمثلت في طائفة من الفقهاء والمحدثين ممن انتهت إليهم الإمامة والرياسة في العلم وحفظ السنة واللغة، أرسلهم عمر بن عبد العزيز(99-101هـ) وكانوا عشرة فقهاء من أعلام التابعين[4]، تمثل دورهم في توضيح مبادئ الإسلام وتعليم الحلال والحرام، ابتنى كل واحد منهم مسجدا حول بيته لتحفيظ القرآن وتعليم العربية وعلوم الدين، وكان المتعلمون من أهل المغرب يرحلون في طلب العلم على هؤلاء النفر من التابعين، ثم يعودون إلى قبائلهم ونواحيهم، فيولون وظائف الدين والقضاء، ويعلمون الناس أصول الإسلام[5]، وكانوا مثالا للسلوك القويم، أهل تقوى وورع، قاموا بمهمتهم على أكمل وجه، فتم على أيديهم إسلام بقية البربر وتعريب البلاد، فكان لهم دور في نشر الإسلام السني بإفريقية، كما أنهم التفوا حول والي القيروان إبان ثورة البربر عليه، وكتبوا له رسالة هامة بعث بها إلى أهل طنجة توضح قواعد الدين وطريق النجاة في الدنيا والآخرة، ويمكن اعتبارها أول وثيقة في العقيدة السنية بإفريقية[6].

---

[1] ولد بالمدينة النبوية، ثم دخل إفريقية في نهاية القرن الهجري الأول، اجتمع هناك مع خالد بن أبي عثمان فنشر علمه، واشتهر بدراسة الحديث وروايته. المالكي، مصدر سابق، ص148.

[2] أبو رشدين من أهل الفضل والدين، يروي عن جماعة من الصحابة؛ منهم ابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، غزا المغرب مع رويفع بن ثابت ﷺ وشهد غزو الأندلس مع موسى ابن نصير، نزل بإفريقية مرابطا وله بها آثار ومقامات، سكن القيروان توفي سنة 100هـ. المالكي، مصدر سابق، ص121؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج2، ص1580.

[3] أبو سعيد بن قيس بن فهد، روى عن أنس وواقد بن عمرو والسائب بن يزيد، روى عنه مالك والليث وشعبة بن الحجاج وغيرهم من الأكابر، دخل إفريقية ثم رجع إلى المشرق، ومات سنة ثلاث وأربعين ومائة ببغداد قاض عليها لأبي جعفر المنصور. المالكي، مصدر سابق، ص148.

[4] عبد العزيز الثعالبي، مرجع سابق، ص118.

[5] مؤنس حسين، مرجع سابق، ص297.

[6] عبد المجيد بن حمدة، مرجع سابق، ص34.

## 2. مذهب الاعتزال

ظهر المعتزلة[1] في بداية القرن الهجري الثاني، واعتنق مذهبهم بعض خلفاء بني أمية؛ مثل يزيد بن الوليد[2]، ومروان بن محمد المعروف بالجعدي[3]، وقد راج الإعتزال؛ لاعتماده على العقل وأساليب المنطق والجدل، فمالت إليه الطباع وكثر أنصاره[4]، ومذهب الاعتزال من أعظم الفرق رجالا، وأكثرها تابعا[5]، مع اختلاف كبير في أصل التسمية وتاريخ التأسيس[6].

---

[1] نسبة إلى الفرقة التي انبثقت عن الخلاف الذي حصل بين الحسن البصري وواصل بن عطاء الغزال حول مسألة القدر، والمنزلة بين المنزلتين، ثم انضم إلى واصل بن عطاء في بدعته عمرو بن عبيد بن باب البصري، وقد عرفوا باسم المعتزلة، وكذلك باسم أصحاب العدل والتوحيد، وباسم القدرية والعدلية، وهم قد جعلوا لفظ القدر مشتركا. الشهرستاني، مصدر سابق، ص56؛ ابن حزم، مصدر سابق، ج1، ص51؛ البغدادي، مصدر سابق، ص35؛ بولص وهبة، موسوعة الأديان، مرجع سابق، ص453؛ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص97.

[2] يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، الخليفة، أبو خالد القرشي الدمشقي الأموي الملقب بالناقص، توثب على ابن عمه الوليد واستولى على دار الإمارة، كانت أمه من بنات فيروز بن يزدجر، قال الشافعي رحمه الله: لما ولي يزيد بن الوليد دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه، وقرب أصحاب غيلان، مات يزيد الناقص في سابع ذي الحجة سنة ستة وعشرين ومائة بالطاعون. الذهبي، مصدر سابق، ج3، ص4236.

[3] مروان بن محمد بن عبد الملك بن مروان، أبو عبد الملك الخليفة الأموي، يعرف بالحمار لصبره في الحرب، وبالجعدي نسبة لمؤدبه الجعد بن درهم، كان بطلا شجاعا داهية رزينا جبارا، ولد بالجزيرة سنة 72هـ، ولي بالخلافة سنة127هـ، لم يستقم له الأمر وكانت مدته مضطربة، قتل سنة 132هـ بقرية بوصير بمصر. الذهبي، مصدر سابق، ج3، ص3819.

[4] العمرجي، أحمد شوقي إبراهيم، **المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل**، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط، 2000م، ص ص20-21.

[5] القاسمي، جمال الدين الدمشقي، **تاريخ الجهمية والمعتزلة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1979م، ص56.

[6] حسين أبو لبابة، **موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها**، دار اللواء، الرياض، ط2، 1987م، ص9؛ إبراهيم التهامي، مرجع سابق، ص195.

**أ. مفهوم الاعتزال**

فالمعنى اللغوي للاعتزال لم يكن أبدا محل خلاف بين علماء الفرق وأرباب التاريخ؛ إذ أن معناه هو: الاجتناب والتنحي والابتعاد[1]، وهذا المعنى اللغوي له شواهد كثيرة في كتاب الله؛ كقوله ﷻ: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ [الدخان: 21]، وقوله كذلك: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: 212]، وفي موضع آخر: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: 48]؛ فدل معناه على الانقطاع والتنحي والانفراد، وبهذا اتصف المعتزلة.

وأما المعنى الاصطلاحي: فإن أهل الشأن متفقون على أن المعتزلة فرقة ظهرت في الإسلام أوائل القرن الهجري الثاني على يد واصل بن عطاء[2]، وعمرو بن عبيد[3]، وسلكت منهجا عقليا صرفا في بحث العقائد[4]، وأنهم من القدرية؛ فقد خالفوا الأمة في حكم مرتكب الكبيرة، وإن كان نلينو يرى أنهم ليسوا استمرارا لفرقة القدرية؛ ردا على جولد تسيهر[5]، وأما التسمية وتاريخ الظهور فمختلف فيه على أقوال عدة[6].

---

(1) ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت، مج4، ص767؛ الفيومي أحمد بن محمد بن علي المقري، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، مطبعة التقدم العلمية، القاهرة، ط1، 1322هـ، ج2، ص28.

(2) واصل بن عطاء، البليغ الأفوه، أبو حذيفة المخزومي، مولاهم البصري، مولده بالمدينة سنة 80هـ، هو وعمرو بن عبيد رأسا الاعتزال، طرده الحسن البصري من مجلسه لما قال بالمنزلة بين المنزلتين، فانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا حلقة الحسن البصري، مات سنة 131هـ. الذهبي، مصدر سابق، ج3، ص4116؛ أحمد بن يحيى بن المرتضي، **طبقات المعتزلة**، تح سوسنة ديقلد – قيلزر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ط، 1961م، ص28.

(3) عمرو بن عبيد الزاهد العابد، القدري، كبير المعتزلة وأولهم، أبو عثمان ابن باب البصري، مولى بني تميم، إليه تنسب الطائفة العمروية، ولد عام 80هـ، وهلك عام 144هـ زمن الخليفة العباسي المنصور، الذي كان يقربه ويغتر به لزهده وعبادته، غافلا عن بدعته. الذهبي، مصدر سابق، ج2، ص2965؛ أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت، 1988م، ج3، ص314.

(4) الحفظي، عبد اللطيف بن عبد القادر، **تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره**، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط1، 2000م، ص13.

(5) محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص118؛ البغدادي، مصدر سابق، ص37؛ عبد المجيد بن حمدة، مرجع سابق، ص159.

(6) فأما التسمية فقد اشتهروا بالمعتزلة، وإن كان علماء الفرق قد ذكروا لهم تسميات غيرها؛ مثل أصحاب العدل والتوحيد، والقدرية والعدلية، ويعرفون بالعقليين وكذلك بالجهمية، وأما زمن ظهورهم فقد اختلف فيه على أقوال ثلاث هي:

=

**ب. دخول الاعتزال لبلاد المغرب**

كان إرسال الدعاة إلى الأمصار والأقاليم البعيدة أمرا شائعا من طرف زعماء الفرق الإسلامية؛ هروبا من بطش الخلافة الأموية، وبحثا عن التمكين في مناطق بعيدة عن أعين الدولة، وكانت بلاد المغرب من المناطق التي احتضنت فكر الاعتزال؛ إذ دخل بالتزامن مع دخول فكر الخوارج والشيعة[1]، وفي هذا الصدد يرى جولد تسيهر نقلا عن مجلة جمعية الاستشراق الألمانية أن الاعتزال دخل مبكرا لبلاد المغرب[2]، وكان شاعر المعتزلة قد أشار لذلك في قصيدة له يقول فيها:

له خلف شعب الصين في كل ثغرة *** إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر
رجال دعاة لا يفل عزيمهم *** تهكم جبار ولا كيد ماكر[3]

وقد تولى مهمة نشره عبد الله بن الحارث؛ مبعوث واصل بن عطاء[4]، فيقول البلخي: "وفرّق –واصل بن عطاء– رسله في الآفاق يدعون إلى دين الله، فأنفذ إلى المغرب عبد الله بن الحارث، فأجابه الخلق واستطاع أن يجمع حوله جمعا غفيرا من أهل المغرب."[5] وقد انتشر الاعتزال في بلاد المغرب الأدنى والأوسط، حيث يقول ابن حوقل في

=

– أن بدايتهم زمن الصحابة، وأنه الحق الذي جاء به جبريل، وهو ما ادعته المعتزلة قاطبة.

– أنهم إنما اعتزلوا الحسن بن علي ومعاوية ﷺ، وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة، والاعتزال هنا كان بالمعنى اللغوي فقط.

– قول جمهور الفرق أن الاعتزال إنما ظهر على يد واصل بن عطاء الغزال، لما طرده الحسن البصري بمعية عمرو بن عبيد؛ بسبب حكمهم على مرتكب الكبيرة، وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين. عبد المنعم الحفنى، **موسوعة الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية**، دار الراشد، القاهرة، ط1، 1993م، ص358؛ إبراهيم التهامي، مرجع سابق، ص195؛ ألفرد بيل، مرجع سابق، ص ص117–118.

[1] البلخي أبو القاسم، **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة**، تح فؤاد السيد، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1986م، ص66.

[2] Goldziher, **L'école supérieure des lettres et les médersa d'Alger au XVI congrés des orientalistes**, Vol 52, p232.

[3] الجاحظ، أبو عمرو عثمان بن بحر، **البيان والتبيين**، تح عبد السلام محمد هارون، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، 1423هـ، ج1، ص25.

[4] محمد غزالي، مرجع سابق، ص169.

[5] البلخي، مصدر سابق، ص66؛ المرتضي، مصدر سابق، ص32.

صورة الأرض: "وتجاورهم من البربر زناتة ومزاتة قبيلتان عظيمتان، الغالب عليهما الاعتزال من أصحاب واصل بن عطاء"[1].

ولم تخل كتب التاريخ من إشارات عابرة تدل على أن مذهب الاعتزال انتشر بين أهالي المغرب الإسلامي، فهذا ياقوت الحموي والبكري يذكران أن المعتزلة الواصلية استقروا بالقرب من تيهرت، وقد كان عددهم زهاء الثلاثين ألفا، في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها[2]، وأما ابن أبي زرع الفاسي فيذكر أن إدريس الأكبر[3] لما دخل بلاد المغرب، نزل على إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي، وأنه كان يعتنق مذهب الاعتزال[4]، وعلى فرض أن إدريس دخل وليلي–الواقعة أقصى بلاد المغرب– في حدود 170هـ؛ فهذا يدل على أن مذهب الاعتزال قد دخل قبل هذا الوقت لبلاد المغرب، مع العلم أن الإحاطة بالنشاط الفكري للمعتزلة في بلاد المغرب متعذر وقليل، بسبب السرية التي كان يتصف بها أي مذهب قيد التأسيس، خوفا من القضاء عليه، أضف لذلك قلة نشاطهم في بداية ظهورهم، وتحاشي العلماء الرد على باطلهم، حتى لا يعطونهم هالة أكبر مما يستحقون، بل خلافهم الفقهي لا يعتد به عند فقهاء أهل السنة والجماعة.

---

(1) ابن حوقل، مصدر سابق، ص94.

(2) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص8.

(3) الإمام القائم بالمغرب، إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، سار مع مولاه راشد لبلاد المغرب بعد مقتل أخيه بمعركة فخ سنة 169هـ، بويع بمدينة وليلي في رمضان 172هـ بالإمارة والقيام بالصلاة والجهاد، احتال له الرشيد وأرسل إليه فاتك اسمه سليمان بن جرير ويلقب بالشماخ، فسمه في قارورة مسك، وكان ذلك في ربيع الثاني سنة 177هـ. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، مصدر سابق، ص ص46–49؛ ابن أبي زرع الفاسي، أبو الحسن علي بن عبد الله، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، 1972م، ص19؛ محمود إسماعيل، **الأدارسة حقائق جديدة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1991م، ص105.

(4) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص ص20–21.

### 3. مذهب الخوارج

تميزت سياسة بني أمية في مواجهة الفرق المنحرفة والحركات الثورية بالبطش والقوة، فكان الخلفاء يرسلون الجيوش تباعا لولاة العراق، لوأد كل تحرك ثوري من شأنه أن يزعزع استقرار الأوضاع، وكان للانتصارات العظيمة التي حققتها جيوش الخلافة الأموية في المشرق بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي، والمهلب بن أبي صفرة الأزدي[1] على فرق الخوارج بمختلف مشاربها، أثرا عظيما في تصدع حركتهم، فاختفت فرق كبيرة من ساحة المواجهة على غرار الأزارقة، النجدات والعجاردة، بينما جنحت فرق منهم إلى الأصقاع البعيدة عن مركز الحكم حيث لا تنالهم أيدي البطش[2]. وقبل التطرق لدخول مذهب الخوارج وانتشاره في بلاد المغرب لابد أن نلقي نظرة عامة عن المفهوم اللغوي والاصطلاحي للخوارج، وآراء علماء الفرق فيهم، وأهم فرقهم ودخولهم بلاد المغرب الإسلامي.

#### أ. الخوارج لغة واصطلاحا

فالمعنى اللغوي للخوارج مأخوذ من الفعل خرج من الموضع، وأخرجته، فيقال خرج من مكان ما، ووجد له مخرجا أي مخلصا، وأرض مخرجة[3] بمعنى المحصول والغلة التي تخرج من الأرض[4]، وخارجي اسم مشتق من الخروج وهو نقيض الدخول، يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ [ق: 42] أي من الأجداث بعد البعث، والخارجي هو من يخرج ويشرف بنفسه والخارجية طائفة منهم لزمهم هذا الاسم لخروجهم عن الناس[5]، وأما من

---

(1) الأمير البطل، قائد الكتائب، أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة، ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو الأزدي العتكي البصري، توفي المهلب غازيا بمرو الروذ في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين، وقيل: في سنة ثلاث، وولي خراسان بعده ابنه يزيد بن المهلب. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج4، ص ص384-385.

(2) موسى لقبال، مرجع سابق، ص153.

(3) ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1979م، ج2، ص176.

(4) الفيومي، مصدر سابق، ج1، ص83.

(5) ابن منظور، مصدر سابق، مج2، ص ص1152-1153.

الناحية الاصطلاحية، فقد تباينت أراء علماء التاريخ والفرق الإسلامية في ضبط مفهوم الخوارج، كما اختلفوا في زمن ظهورهم.

يقول الإمام ابن حزم في تعريفهم: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في زمن الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان، ومنهم الوعيدية القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار"[1]، وهو نفس ما ذهب إليه الشهرستاني[2]، وأما البغدادي فقد وضع هو الآخر تعريفا جامعا فيقول فيه نقلا عن مقالات الكعبي: " أنهم فرق شتى، يجمعهم إكفار علي وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل وكل من رضي بتحكيم الحكمين، والإكفار بارتكاب الذنوب، ووجوب الخروج على الإمام الجائر."[3]، لكن أبا الحسن الأشعري كان له رأي مخالف في مسألة إجماعهم على إكفار مرتكب الكبيرة، وهو ما رجحه البغدادي[4].

**ب. ظهور الخوارج**

اختلف علماء الفرق في زمن ظهور الخوارج، فيرى بعضهم أنها نشأت زمن النبوة على يد عبد الله ذي الخويصرة التميمي[5]، وهو قول الحافظ ابن حجر العسقلاني[6] وأبو بكر الآجري في الشريعة[7] وهو ما ذهب إليه ابن الجوزي[8]، بينما مال فريق منهم إلى القول أن

---

[1] ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص ص122-123.

[2] الشهرستاني، مصدر سابق، ج1، ص132.

[3] عبد القاهر البغدادي، مصدر سابق، ص72.

[4] نفسه، ص72.

[5] عبد المجيد بن حمدة، مرجع سابق، ص67.

[6] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري**، تح عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المكتبة السلفية، الرياض، 1379هـ، ج12، ص ص283-284.

[7] الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين، **كتاب الشريعة**، در وتح عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1997م، ج1، ص326.

[8] أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، **تلبيس إبليس**، تح أحمد بن عثمان المزيد، دار الوطن للنشر، الرياض، د.ط، د.ت، ج2، ص544.

الخوارج ظهروا للعلن أواخر زمن الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ﷺ(23-35هـ)، فيما ادعوه عليه من تركه للعمل بالسنة، حيث اتهموه بأنه غير وبدل[1]. بينما قال الأشعري وطائفة كبيرة من أهل العلم: أنهم خرجوا على علي بن أبي طالب ﷺ (35-40هـ)منصرفه من صفين، بعد رفضهم للتحكيم[2]، وبه قال ابن حزم وصوبه البغدادي، وهو ما رجحه الشهرستاني[3] والفخر الرازي[4].

لقد كان لتطرف الخوارج في تأويل نصوص الشرع الحنيف حسب هواهم[5] عظيم الأثر في انقسامهم لفرق شتى، فاختلف العلماء في إحصاء فرقهم وعدها، وقد ظهر التأثير الاعتزالي جليا في معتقدات بعض فرقهم[6]، كما أنهم لم يتوانوا في تكفير بعضهم بعضا[7]، بل نشب الاقتتال بينهم مرارا كثيرة في العراق وخراسان، أحيانا بتأليب من المهلب وأحيانا أخرى لاختلاف فهومهم لكتاب الله وبالتالي اختلاف كلمتهم.

---

(1) عبد المجيد بن حمدة، مرجع سابق، ص68.

(2) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تح محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1990م، ج1، ص206.

(3) ابن حزم، الفصل في الأهواء والملل والنحل، مصدر سابق، ج1، ص124؛ الشهرستاني، مصدر سابق، ص133؛ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، تح محمد عثمان الخشن، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د.ط، 1988م، ص ص73-74.

(4) أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر القرشي البكري الرازي، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، مر علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1982م، ص46.

(5) الآجري، مصدر سابق، ج1، ص325

(6) الحفظي عبد اللطيف بن عبد القادر، مرجع سابق، ص324.

(7) الطبري، مصدر سابق، ج5، ص566؛ ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص131.

## ج. فرق الخوارج

كانت أولى فرق الخوارج ظهورا المارقة[1] أو المحكمة الأولى[2]، وهم ممن اجتمع بالنهروان لقتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ (35-40هـ)[3]، ويسمون الشراة والحرورية؛ لاجتماعهم بحروراء، وقد بقوا على ذلك لغاية 64هـ، ثم تفرقت كلمتهم بعد مرجعهم من عند ابن الزبير الذي كان متحصنا بمكة، وتشعبت آراؤهم[4].

فصاروا فرقا[5] هي: الأزارقة، النجدات، العجاردة، البيهسية[6]، الثعالبة، الصفرية،

---

(1) الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: "سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية". ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مصدر سابق، ج1، ص124.

(2) المحكمة أو الحكمية لترديدهم عبارة لا حكم إلا لله. ينظر: المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، تح خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج4، ص185.

(3) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أمير المؤمنين، أبو الحسن القرشي الهاشمي، روى الكثير عن رسول الله ﷺ، وعرض عليه القرآن وأقرأه، كان من أعلم الصحب وأقضاهم، بويع خليفة بعد مقتل عثمان ﷺ، سابقته معروفة ومناقبه عزيزة فريدة، قتله ابن ملجم ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان عام 40هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء – سير الخلفاء الراشدون، ص ص225-285.

(4) بعد وفاة يزيد بن معاوية، جاء رؤوس الخوارج يسألون ابن الزبير رأيه في عثمان ﷺ، فلما علموا موقفه من تولية عثمان وتبرئه منهم جملة خرجوا من عنده، فسار ابن الأزرق وابن إباض وأبو بيهس وابن صفار ونجدة بن عامر وعبد الله وعبيد الله أبنا الماحوز إلى البصرة، وجعلوا نافع ابن الأزرق أميرا عليهم، لكن بسبب الظروف السائدة بالبصرة ونشوب الاقتتال بين ربيعة والأزد مع بني تميم؛ قام ابن الأزرق وسار بمن بايعه إلى الأهواز، ولما رفض ابن إباض وابن صفار ونجدة بن عامر الخروج معه، قام يكفرهم ويبرأ منهم في كتاب أرسله لهم، فقام نجدة بن عامر بالرد عليه والتبرؤ منه، وخرج بصحبة أبي طالوت وأبي فديك وعطية بن الأسود إلى اليمامة، وأما ابن إباض فإنه كذب ابن الأزرق في دعواه وأحل دماء مخالفيه وحرم أموالهم، فقال ابن صفار برئ الله منك فقد قصرت وبرئ الله من ابن الأزرق فقد غلا، برئ الله منكما جميعا، فرد ابن إباض برئ الله منك ومنه، وتفرق القوم واشتدت شوكة ابن الأزرق وكثرت جموعه. الطبري، مصدر سابق، ج5، ص ص566-568.

(5) يرى المبرد أن فرق الخوارج أربعة؛ وهي: الأزارقة والصفرية والإباضية والبيهسية. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، **الكامل في اللغة والأدب**، تح وتع محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997م، ج3، ص201.

(6) يقول الشهرستاني أن الفرق الخارجية الكبيرة هي ثمانية فرق خلافا لابن حزم، حيث أضاف المحكمة والبيهسية. ابن حزم الفصل في والأهواءالملل والنحل، ج1، ص ص123-124؛ الشهرستاني، مصدر سابق، ج1، ص133.

والإباضية[1].

فأما الأزارقة، فقد كانوا أكثر شوكة وأشد مراسا، وقد أفناهم المهلب بن أبي صفرة وعبيدة بن هلال وتم القضاء عليهم زمن ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي، فخمدت ريحهم، وأما النجدات فإنهم ساروا إلى اليمامة، ثم لم يلبثوا إلا فترة حتى تفرق شملهم، بعد مقتل نجدة بن عامر الحنفي على يد أبي فديك؛ فقام عبد الملك باغتنام فُرقتهم، وأرسل إليهم معمر بن عبيد الله بن معمر[2] ففرق جموعهم، وبعد مقتل أبي فديك ساروا إلى جهات سجستان وخراسان وكرمان وصاروا فرقتين فديكية وعطوية، وأما العجاردة[3] فقد وافقوا النجدات في بدعهم ولم يكن لهم كبير ذكر بين فرق الخوارج، وقد افترقوا أصنافا، وأما البيهسية[4] ففرق متشعبة؛ منهم العونية، وأصحاب التفسير، وأصحاب السؤال، قد كانت لهم صولة زمن صالح بن مسرح التميمي وشبيب بن يزيد الشيباني، وقبل القضاء على حركتهم من طرف عبد الملك بن مروان.

---

[1] أصحاب عبد الله بن إباض التميمي، يرون كفر مخالفيهم من أهل القبلة، ويصححون مناكحتهم ويحلون موارثتهم، وأما غنيمة أموالهم فلا تكون إلا حربا وعدا ذلك فغير جائزة، ولا يرون مباغتة أعدائهم في السلم، وأن دار مخالفيهم دار سلم وتوحيد إلا معسكر السلطان فإنها دار بغي، كما أن مرتكب الكبيرة موحد لكنه غير مؤمن فهو كافر كفر نعمة، وقد تفرقوا إلى حفصية، وحارثية، ويزيدية. ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص ص141-143.

[2] معمر بن عبيد الله بن معمر، الأمير أبو حفص التيمي، من أشراف قريش، كان جوادا ممدحا شجاعا كبير الشأن تضرب بشجاعته الأمثال، له فتوحات مشهورة، وقد ولي البصرة لابن الزبير، وولي إمرة فارس، وفد على عبد الملك، توفي سنة 82هـ بدمشق. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ص2919.

[3] العجاردة وزعيمهم عبد الكريم بن عجرد العطوي، وافق النجدات، وكان يقول برأي أبي بيهس، وقيل من أتباع عطية بن الأسود الحنفي، وقد سار معه بعد مقتل أبي فديك إلى سجستان، يكفرون مرتكب الكبيرة ويرون الهجرة فضيلة لا فريضة، وقد حكي أنهم ينكرون سورة يوسف أن تكون من القرآن؛ بدعوى أنها من قصص العشق، وقد افترقوا أصنافا وهم: الصلتية، الحمزية، الميمونية، الحازمية، الثعالبة. ابن حزم، الفصل في الأهواء والملل والنحل، ج1، ص ص136-141.

[4] البيهسية وزعيمهم أبو بيهس الهيصم بن جابر، طلبه الحجاج أيام الوليد بن عبد الملك، فهرب الى المدينة وبها كان حبسه من طرف عثمان بن حبان المزني، ثم ورد كتاب الحجاج اليه بقتله، ففعل ما أمره به، وكان أبو بيهس يكفر طوائف الخوارج الأخرى ويكفر العامة ممن جهل معرفة الله تعالى ومعرفة ما جاء به نبيه. نفسه، ج1، ص 133.

وأما ما يهمنا من فرق الخوارج فرقتان كبيرتان، كان لهما تأثير سياسي عظيم في أحداث بلاد المغرب، حيث لقيت دعوة الخوارج الإباضية والصفرية –وهما أقل فرق الخوارج تطرفا– قبولا لدى البربر، الذين كانوا مهيئين لذلك؛ بسبب سياسة بعض ولاة بني أمية[1].

### 1) الخوارج الصفرية

ذكر المؤرخون أن البربر كانوا من أحسن الرعية طاعة، حتى داخلهم مذهب الصفرية عن طريق ثوار العراق الفارين، فاستثاروهم وفرقوا شملهم وشقوا عصا الطاعة، يقول الإمام الطبري: فما زالوا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك، أحسن أمة إسلاما وطاعة، حتى دب إليهم دعاة أهل العراق، فلما دب إليهم دعاة أهل العراق واستثاروهم، شقوا عصاهم وفرقوا بينهم إلى اليوم[2]، وهو عين ما نقله ابن خلدون لما قال: لقنوها من العرب الناقلة ممن سمعها من العراق[3].

لقد اختلف المؤرخون وعلماء الفرق في زمن دخول الخوارج لبلاد المغرب، واضطربت الروايات التاريخية في ذكر ذلك[4]، رغم اتفاقهم على أن أول من أدخل المذهب الصفري هو عكرمة مولى ابن عباس[5]، حيث قدم إلى القيروان بصحبة سلمة بن سعد مترادفين على

---

[1] محمود إسماعيل عبد الرزاق، مرجع سابق، ص ص40-41.

[2] الطبري، مصدر سابق، ج4، ص254.

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص144.

[4] تضاربت الروايات بشأن ظهور فكر الخوارج وسط البربر، حيث أن ابن حوقل يرجع بداية الدعوة لما بعد معركة النهروان، وأن عبد الله بن وهب الراسبي وعبد الله بن إباض التميمي هربا لجبل نفوسة، وهذا لا يصح، إذ أن ابن وهب قتل في المعركة، بينما ابن إباض هرب ليعاود الظهور في حصار ابن الزبير، والراجح أن فكر الخوارج إنما دخل بلاد المغرب مطلع القرن الثاني هجري. محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ص44.

[5] عكرمة مولى ابن عباس، العلامة الحافظ المفسر، أبو عبد الله القرشي مولاهم المدني البربري الأصل، سمع من كبار الصحابة ومن ساداتهم، وحدث عنه كبار التابعين، كان كثير الترحال يدخل البلدان يتعرض، فدخل مصر وإفريقية وبها أحدث بدعة الصفرية، وعنه انتشرت فقد كان يرى رأيهم. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص ص2703-2706.

بعير واحد، وكل منهما يدعوا لمذهبه[1]، وقد تسنى له لقاء زعماء القبائل البربرية، مثل ميسرة المطغري زعيم مطغرة، وطريف بن شمعون زعيم قبائل برغواطة، وأبو القاسم سمكو بن واسول زعيم مكناسة، وعبد الأعلى بن جريج زعيم الأفارقة[2].

ومهما يكن من أمر، فإن تاريخ دخول المذهب الخارجي إلى بلاد المغرب لا يمكن تحديده بدقة، وكل الإشارات التي وردت في كتب التاريخ توحي أن وصول معتقد الخوارج كان نهاية القرن الهجري الأول، ومطلع القرن الثاني للهجرة[3]، بواسطة الخوارج الفارين من قمع الولاة الأمويين، إذ وجدوا في بلاد المغرب ملاذا آمنا لهم[4]؛ بسبب بعده عن مركز الخلافة، وتعلق البربر بمبادئ العدل والحرية التي كان الخوارج ينادون بها، ناهيك عن استغلالهم لانشغال الولاة بالصراع القائم بين القيسية واليمانية[5].

كان تستر دعاة المذهب الصفري بالإصلاح وتطبيق مبادئ الإسلام[6]، كما قاموا بإخفاء حقيقة مذهبهم حتى يكسبوا عددا كبيرا من الأنصار؛ فكان لهذه الأسباب دور بارز في نشر المذهب الصفري بين البربر[7]، على عكس ما ذهبت إليه لطيفة البكاي وحسين مؤنس، من نفيهما وجود دعوة خارجية صفرية منظمة ببلاد المغرب؛ حيث اعتبرت غياب إشارات واضحة في كتب التاريخ دليلا قطعيا على عدم وجود تيار صفري منظم[8].

---

(1) الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد، **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، د.ط، 1974م، ص11.

(2) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص ص137، 172؛ السلاوي الناصر، مصدر سابق، ج1، ص48.

(3) محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ص43.

(4) بوزياني الدراجي، مرجع سابق، ص32.

(5) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص214.

(6) حسين مؤنس، مرجع سابق، ص146.

(7) محمد غزالي، مرجع سابق، ص37.

(8) لطيفة البكاي، **حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي**، أطروحة دكتوراه، إش هشام جعيط، مط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، لبنان، ط1، 2001م ص230.

تسارع البربر لاعتناق المبادئ الصفرية؛ بسبب ادعائهم المساواة بين المسلمين جميعا، وقد انتشرت تلك المبادئ بعد جهود كبيرة ودعاية واسعة، كما اتسمت دعوة الصفرية ببلاد المغرب بالسرية والكتمان[1] مستفيدين من أحداث الماضي، كون الدخول في صراع عسكري مع بني أمية قد يعصف بجهودهم في الدعوة لمذهبهم، فجنحوا لأسلوب الدعوة السرية لبناء دولتهم بالمغرب[2].

ومع تغلغل الصفرية بين قبائل البربر؛ قامت الثورات تترى ببلاد المغرب، حيث يقول ابن خلدون في معرض وصفه لانتشار نحلتهم: "ثم نبضت فيهم عروق الخارجية؛ فدانوا بها، ولقنوها من العرب الناقلة ممن سمعها بالعراق ... إلى أن رسخت فيهم عروق من غرائسها، ثم تطاول البربر إلى الفتك بأمراء العرب[3].

## 2) الخوارج الإباضية

الإباضية من فرق الخوارج، أصحاب عبد الله بن إباض الذي خرج أيام مروان بن محمد، وافترقت فيما بينها فرقا، يجمعها القول بأن كفار هذه الأمة –يعنون بذلك مخالفيهم من هذه الأمة– براء من الشرك والإيمان، وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار، وأجازوا شهادتهم وحرموا دماءهم في السر واستحلوها علانية، وزعمت الإباضية كلها أن دار مخالفيهم دار توحيد، إلا معسكر السلطان فإنه دار حرب، افترقت الإباضية لفرق كبيرة؛ مثل الحفصية واليزيدية، الحارثية، النكارية، الوهبية. وكان مذهبهم معتدلا بين فرق الخوارج[4].

---

[1] فاطمة عبد القادر رضوان، **المغرب في عصر الولاة الأمويين**، رسالة ماجيستر، إش أحمد السيد دراج، غ.مط، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى بمكة، 1984م، ص106.

[2] محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ص46.

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص144.

[4] أحمد كفتارو، مرجع سابق، ص20؛ ابن حزم، مصدر سابق، ج4، ص144؛ الشهرستاني، مصدر سابق، ج1، ص ص156–157؛ البغدادي، مصدر سابق، ص95؛ فخر الدين الرازي، مصدر سابق، ص51؛ علي عبد الفتاح المغربي، **الفرق الكلامية الإسلامية مدخل** =

فر كثير من دعاة الخوارج إلى بلاد المغرب هربا من بطش الأمويين، وقد كان هذا الجزء من المغرب قد انتشرت به تعاليم الإباضية، ومما ساعد على ذلك أن هؤلاء الدعاة أخفوا عن البربر حقيقة مذهبهم، متسترين بالإصلاح والعمل بالكتاب والسنة[1].

كان دخول المذهب الإباضي لبلاد المغرب متزامنا مع دخول الصفرية؛ إذ أن داعيتي المذهبين دخلا متعاقبين على راحلة واحدة، وكل منهما يدعو لمذهبه[2]، وإن لم تذكر المصادر سنة دخولهما، ولا فترة مكوثهما هناك[3]، إلا أن المرجح أنهما وصلا بلاد المغرب نهاية القرن الهجري الأول[4].

وقد أشارت مصادر التاريخ إلى أن إرسال سلمة بن سعد الحضرمي[5] كان بإيعاز من أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[6] –المختلف فيه–[7]، فقد كان سلمة حريصا على نشر

=

**ودراسة**، مكتبة وهيبة، القاهرة، ط2، 1995م، ص190؛ علي محمود عبد اللطيف الجندي، **البربر في إفريقية في العصر الأموي**، رسالة ماجيستر، إش حسين يوسف دويدار، غ.مط، كلية اللغة العربية – قسم التاريخ والحضارة، جامعة الازهر، د.ت، ص213.

(1) محمد عيسى الحريري، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي**، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987م، ص55.

(2) الدرجيني، مصدر سابق، ج1، ص11.

(3) عوض محمد خليفات، **نشأة الحركة الإباضية**، مطبعة دار الشعب، الاردن، د.ط، 1978م، ص133.

(4) كانت وفاة عكرمة في حدود 105هـ؛ مما يدل على أن قدومهما كان قبل هذا التاريخ بأعوام قليلة، إذا أخذنا في الحسبان أن أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة تزعم قيادة الحركة الإباضية في حدود 96هـ، وهو من أرسل سلمة بن سعيد إلى بلاد المغرب؛ فنستنتج أن مقدمهما كان بين سنتي 96 و105هـ.

(5) سلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرمي اليمني، أخذ العلم عن جابر بن زيد الأزدي وعن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وضمام بن السائب وغيرهم، وهو أول من جاء بمذهب الإباضية من البصرة لينشره في بلاد للمغرب الإسلامي. سرحان بن سعيد الازكوي، **كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة**، تح وتق محمد حبيب صالح ومحمود السليمي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 2013م، ج3، ص5.

(6) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، حامل لواء العلم والإمامة للمذهب الإباضي للمغرب وحضرموت وعمان، حبس نفسه في التعليم أربعين عاما، كان مولى أعور قفاف، قيل أنه أدرك جابر بن زيد الأزدي، وتلقى عن ضمام بن السائب العماني وجعفر بن السماك العبدي، توفي في خلافة أبي جعفر المنصور سنة 135هـ. سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، **العقود الفضية في أصول الإباضية**، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، د.ط، 1983م، ص141؛ الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص238.

(7) ذهب الأستاذ سعد بن عبد الله الحميد أن أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة المذكور ليس هو المترجم له في كتب أهل السنة، إذ أن اسمه عند أهل الحديث هو عبد الله بن القاسم ويلقب بكورين، وأنه لم يسمع من جابر بن زيد بل يروي عنه من طريق ضمام أو الدهان، وقد

=

مذهبه[1]، حيث طاف بلاد المغرب الأدنى ينشر المذهب[2]، ويجمع الأنصار والطلبة؛ من أجل إرسالهم للمشرق لطلب العلم[3]، وقد اشتهر عنه أنه كان يقول: "وددت أن يظهر هذا الأمر بالمغرب يوما من غدوة الليل فما أبالي أن يضرب عنقي"[4].

وجد سلمة بن سعد في إرسال جماعة من طلبة العلم للمشرق؛ من أجل الدراسة[5] على يد داعية المذهب أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، حيث مكثوا عنده خمسة أعوام ثم عادوا لبلادهم، وكان لهم دور كبير في أحداث بلاد المغرب الإسلامي فيما بعد.

لقد كانت سياسة الولاة في بلاد المغرب مرتبطة ارتباطا وثيقا بسلوكيات الخلفاء في دمشق، فنجد أن الخليفة إذا كان عاقلا تقيا ورعا، فإنه يجنح إلى تولية من هم على شاكلته من الولاة الأتقياء البررة ذوي الزهد والورع، وكذلك اتسمت ولاية محمد بن يزيد(97-99هـ) وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر دينار(99-101هـ)؛ لأنهما إنما صدرا عن خيرة أمراء بني مروان، وهما سليمان بن عبد الملك (96-99هـ) وعمر بن عبد العزيز(99-101هـ)، فتميزت بلاد المغرب خلال فترة حكمهما بانتشار الإسلام واللغة العربية، وقيام سوق الجهاد، وفشو العدل بين الرعية، وضرب الأمن سرادقه على عموم البلاد.

=

صرح بذلك ابن معين قائلا: أبو عبيدة لم يسمع من جابر بن زيد عن رجل عنه. وهو الذي قال به الجاحظ في البيان والتبيين، بينما يرى الإباضية أنه وارث علوم جابر بن زيد بل يروي عن علي بن أبي طالب ﷺ وهذا لا يصح. سعد بن عبد الله الحميد، **أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة بين الجهالة والإمامة**، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة، مصر، 2008م، عدد 21، ص ص50-79.

[1] فاطمة عبد القادر رضوان، مرجع سابق، ص107.

[2] محمد علي دبور، مرجع سابق، ج2، ص174.

[3] موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص154.

[4] الدرجيني، مصدر سابق، ج1، ص11.

[5] أوردت الكثير من المصادر الإباضية أسماء الخمسة نفر الذين أرسلهم سلمة بن سعد لتلقي العلم على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وهم: أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، عبد الرحمن بن رستم الفارسي، عاصم السدراتي، إسماعيل بن درار الغدامسي، أبو داوود القبلي. أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، **كتاب السير**، تح أحمد بن سعود السيباني، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 1992م، ج1، ص113.

بينما كانت أيام يزيد بن أبي مسلم(102هـ) وبالا على بلاد المغرب، رغم قصر المدة التي قضاها واليا فذهبت جهود الولاة قبله أدراج الرياح، وما ذلك إلا لطيش الخليفة يزيد بن عبد الملك (101-104هـ) واهتمامه باللهو، وجمع المال، وترك الحبل على الغارب، فأهينت الرعية وضاعت حقوقها، مما تسبب في انتشار العنف الذي أودى بحياة الوالي، ولولا وجود بعض العقلاء بين الرعية تداركوا الأمر، لساءت الأحوال إلى ما لا يحمد عقباه.

لم يُغفل ولاة بني أمية أمر الجهاد، فأرسلوا السرايا والحملات الجهادية إلى تخوم الصحراء وأقاصي بلاد السوس، لقتال القبائل الوثنية هناك، نشرا لكلمة التوحيد، وتوسيعا لرقعة الدولة الإسلامية، كما أولوا للجهاد البحري أهمية قصوى، فأنشؤوا المرافئ البحرية ووسعوا دار الصناعة بتونس، فبنوا أسطولا للصوائف البحرية، التي ما لبثت تختلف إلى الجزر الواقعة في بحر الروم كسردانية، قرسقة وسرقوسة[1].

وأما الخلافة فلم يكن همها الأكبر جمع المال والغنائم أو سبي الوصيفات البربريات كما يدعي بعض المشتغلين بالتاريخ، والذين ما فتئوا يكيلون الاتهامات جزافا للخلافة الأموية، بأن همها جمع المال والغنائم وسبي الجواري، فأهملوا شؤون الولاية، وضيعوا حق الرعية، بل كان هذا رأي الخوارج والثوار المبغضين للأئمة تأسيا بالأزارقة وأهل النهروان[2]، بينما تصرف بعض العمال في ولاية المغرب حسب هواهم، وقاموا بتأجيج نار العصبيات المقيتة بين العرب الشاميين والبلديين تارة وبين القحطانية والقيسية تارة أخرى، وكذا إثارة عصبية البربر ضد كل ما هو عربي، كما كان الحال مع عمر بن عبد الله المرادي عامل السوس، فقد أوعز له والي المغرب عبيد الله بن الحبحاب بأن يهين البربر ويخمسهم معتبرا

---

[1] من مشاهير مدن صقلية وأعيان بلادها، تشد إليها المطي من كل حاضر وباد، ويقصد إليها قصاد التجار من سائر جميع الأقطار، وهي على ساحل البحر وهو محدق بها دائر بجميع جهاتها، والدخول إليها والخروج منها على باب واحد، وبها أكبر الأسواق والمباني الرائقة والأفنية الواسعة، ولها إقليم كبير وضياع ومنازل. الشريف الإدريسي، مصدر سابق، مج1، ص597.

[2] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، مصدر سابق، ص37.

أنهم فيء للمسلمين، كما تعرض لبناتهم بالسبي[1] مما اضطرهم لقتله والخروج على الخلافة الأموية بدمشق.

كان من نتائج سياسة ولاة بني أمية ببلاد المغرب أن تسلل الكثير من ثوار وزعماء الخوارج هروبا من بطش عمال العراق وخراسان، حيث قاموا ببث تعليمهم وأصولهم في البربر مما أشعل نار الثورة على بني أمية، وكان هذا من بين أكبر الأسباب التي أوقفت الفتوحات الإسلامية في بحر الروم، حيث صار هم الخلافة هو محاولة إطفاء نار الفتنة الملتهبة ببلاد المغرب من أقصاها لأدناها، وعجل هذا الوضع بظهور الدويلات المستقلة وبالتالي انفصال المغرب الأقصى عن الخلافة في دمشق.

[1] حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ص149-150.

# الفصل 2:

## جغرافية إقليم بن غواطة، أهميته، ونسب قبائله

وفيه:

- إقليم بن غواطة، حدوده وحواضره
- أهمية إقليم بن غواطة
- نسب قبائل بن غواطة

## I. إقليم برغواطة، حدوده وحواضره

### 1. برغواطة الموطن والحدود

من أجل التطرق لموطن قبائل برغواطة بتامسنا، وجب التعرف على حدود بلاد المغرب كما وصفها الرحالة والجغرافيون، حيث درج هؤلاء على تقسيم بلاد المغرب إلى أقاليم جغرافية ثلاثة[1]؛ نظرا لامتدادها وتنوعها الجغرافي وتعدد تركيبتها العرقية والقبلية، وبعدها عن مركز الخلافة بدمشق[2]، إلا أنهم اختلفوا في وصف حدود أقطارها الثلاثة التي اصطلحوا على تسميتها بالمغرب الأدنى أو إفريقية، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، فابن حوقل يجعل بلاد المغرب من مصر لبرقة إلى إفريقية، وناحية تنس إلى سبتة وطنجة[3]، بينما يجعل المقدسي حدود بلاد المغرب من تخوم مصر إلى البحر المحيط، ويحده شمالا بحر الروم وجنوبا بلاد السودان[4]، وأما موقع المغرب الأقصى فالإدريسي يصفه بقوله: "إن هذا الجزء الأول من الإقليم الرابع مبدؤه من المغرب الأقصى حيث البحر المظلم ..."[5].

لقد أشار أغلب الرحالة الجغرافيين والمؤرخين لحدود المغرب الأقصى وأقاليمه بوضوح، خاصة حدوده الشرقية التي كانت ولا تزال ثابتة؛ بسبب مرور نهر ملوية، بينما يحده غربا بحر الظلمات، وشمالا بحر الروم، وأما جنوبا فبلاد السودان الغربي[6]، لذلك نجد ابن خردذبه قد ذكر هذه الأقاليم الأربعة؛ فإقليم طنجة في الشمال، وبعده إقليم فاس، وخلفه إقليم

---

(1) سوادي عبد محمد وصالح عمار الحاج، مرجع سابق، ص26.

(2) السلاوي الناصري، مرجع سابق، ج1، ص ص33-34.

(3) ابن حوقل، مصدر سابق، ص64.

(4) المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار صادر، بيروت، ط2، 1902م، ص62.

(5) الإدريسي، مصدر سابق، مج2، ص525.

(6) الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، **كتاب الأقاليم**، مطبعة بروكريانا، إيطاليا، مخ.ر C-68057، د.ت، ص19.

السوس الأدنى، ويليه إقليم السوس الأقصى، وانتهى لذكر حده من الجنوب قائلا: "وما يتصل ببلاد زاغى بن زاغى والسودان العراة إلى ما يحاذيه من نواحي البحر"[1].

وأما موطن قبائل برغواطة فقديما حمل اسم تامسنا أو تامسنى، والذي صار يسمى لاحقا إقليم الشاوية، وقد تباينت آراء الكتاب حول مدلول هذه التسمية[2]، فاعتبرها بعضهم كناية عن تربية ورعي الماشية، خاصة مع وجود خطة الشاوية زمن دولة الموحدين، واستمر الأمر لعصر بني مرين بقول ابن خلدون: "وهم لهذا العهد يتصرفون في الدولة على ما كان لسلفهم من ولاية الشاوية، والنظر في رواحل السلطان، والظهر الذي يحمل من الإبل، ولهم عدد وكثرة ونباهة في الدولة ..."[3]، فكان السلاطين بعد دولة المرابطين يعينون من يقوم على رعاية دوابهم وماشيتهم، وربما اتخذوا من مناطق بوطن تامسنا حمى لها تسرح بها مواشيهم ودوابهم وترتع، ناهيك عن استيطان العرب بهذا الإقليم الوفير، ومعلوم أنهم أهل انتجاع وماشية شأنهم شأن قبائل زناتة المستقرين في هذا المجال الخصب.

وأما تسميتهم وطن برغواطة "تامسنا" فإنه يعني في رطانة البربر البسيط الخالي[4]، ومقصودهم من هذه التسمية حسب السياق هو السهل الواسع الفسيح الواقع بمحاذاة البحر[5]، وسمي خاليا لأنه استوعب مساحة كبيرة جدا من بلاد المغرب الأقصى، من سهول خصبة قابلة للزراعة والرعي، إذ اعتبره المؤرخون زهرة بلاد البربر قاطبة[6]، وليس معنى ذلك خلوه من الساكنة، فإن ذلك غير صحيح، باعتبار أن هذا السهل الكبير كان آهلا بالبشر منذ أحقاب متطاولة، وهو ما أثبتته الدراسات الأثرية الحديثة؛ على غرار ما قام بها دونيس في

---

(1) ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، **المسالك والممالك**، مطبعة بريل، 1892م، د.ط، ليدن، ص89.

(2) محمد حجاج الطويل، **البادية المغربية**، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط1، 1999م، ص43؛ السلاوي، مرجع سابق، ج4 ص67.

(3) ابن خلدون، مصدر سابق، ج7, ص459.

(4) البكري، مصدر سابق، ص248.

(5) أحمد سراج وخديجة الخديري، **بصمات برغواطية دراسة حول حضارة برغواطة المنقرضة بتامسنا**، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، د.ط، 2019م، ص53.

(6) مارمول كاربخال، **إفريقيا**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، د.ط، 1989م، ج2، ص126.

ستينيات القرن الماضي، وبعض الأبحاث الأثرية المماثلة التي قامت بها معاهد البحث المغربية نهاية التسعينيات، والتي دلت على وجود مدافن وشواهد جنائزية تحمل نقوشا وكتابات متشابهة في مناطق متفرقة من بلاد تامسنا[1]، بل أثبت هذا الإقليم وجوده في العصر القديم؛ باعتباره منطقة نفوذ وتوسع فينيقي قرطاجي منذ القرن الخامس قبل الميلاد، حيث ورد في وصف رحلة الأميرال القرطاجي حانون، إنشاؤه ست مستوطنات في المجال الفاصل بين أعمدة هرقل ومصب نهر اللكوس، وقد كان مروره قرب سواحل تامسنا أمرا حتميا تفرضه معطيات ذاك الزمن، وأما الوجود الروماني في المنطقة فمؤكد بدلائل قطعية؛ لعل أبرزها اللقى والمسكوكات التي وجدت بمنطقتي فضالة والدار البيضاء[2].

يعتبر هذا الإقليم خلال العصر الوسيط موطنا لقبائل المصامدة والكثير من بطون زناتة، وقد دل على وجود العنصر البشري بعض الشواهد الأثرية، التي أثبتت استيطان الإنسان في المنطقة منذ القدم، خاصة بالمغارات والكهوف الموجودة بتمارة وتيط مليل ومقالع طوما، كما وجد الرومان صعوبة بالغة في دخول منطقة تامسنا؛ بسبب مقاومة البربر لهم، ونفس الأمر انطبق على الفاتحين المسلمين وولاة بني أمية من بعدهم[3]، بل كل من جعل بلاد تامسنا هدفا لحملته لقي مقاومة شرسة من البرغواطيين، وأما ابن خلدون فقد أطلق عليه البسيط الأفيح[4]، وكان إطلاقه هذا أصدق وصف؛ بسبب خصوبته الكبيرة، وتنوع تضاريسه، وموقعه المميز المحاذي للمحيط الأطلسي، وقد اندرج وطن برغواطة ضمن إقليم فاس، الذي يلي إقليم طنجة شرقا، ويمتد من نهر أم الربيع غربا لغاية نهر ملوية شرقا، وأما شمالا فإن حده البحر الأبيض المتوسط، بينما يحده من جهة الجنوب الأطلس الصحراوي.

قسم ليون الإفريقي بلاد فاس لأقاليم سبعة هي: تامسنا، ومنطقة فاس، وأزغار، والهبط، والريف، كرط، والحوز وما يهمنا منها هو إقليم تامسنا موطن قبائل برغواطة، حيث يصفه

---

[1] مارمول كاربخال، إفريقيا، مصدر سابق، ج2، ص108.

[2] نفسه، ج2، ص ص48-53.

[3] محمد حجاج الطويل، مرجع سابق، ص44.

[4] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص37.

قائلا: "تامسنا إقليم تابع لمملكة فاس، يبتدأ غربا عند أم الربيع وينتهي إلى أبي الرقراق شرقا، والأطلس جنوبا وشواطئ البحر المحيط شمالا، طول هذا الإقليم من الغرب إلى الشرق ثمانون ميلا، وعرضه من الأطلس إلى المحيط ستون ميلا"[1]، وهي مساحة واسعة وتضم أجزاءً كبيرة من بلاد المغرب الأقصى؛ ولعل ذلك بسبب قوة قبائل برغواطة خلال الفترة الممتدة ما بين الفتوحات الإسلامية إلى تلاشي الحكم الأموي في المنطقة.

وعلى نفس النهج سار مارمول كربخال أثناء حديثه حول تقسيم أقاليم المغرب، حيث جعل المغرب مملكتين؛ مملكة مراكش، ومملكة فاس، فجعل مملكة مراكش سبعة أقاليم، كما قسم مملكة فاس لسبعة أقاليم كذلك، والتي منها إقليم تامسنا، معتبرا إياه أقصى أقاليم هذه المملكة من ناحية الغرب، راسما لحدوده ما بين نهري أبي الرقراق وأم الربيع، وتمتد سواحله على مسافة ثلاثين فرسخا ما بين النهرين المذكورين، بينما يمتد عرضه عشرين فرسخا على أقل تقدير [2].

بينما قسم ابن عذارى المراكشي بلاد المغرب الأقصى إلى ثلاثة أقاليم؛ فجعل طنجة إقليما مستقلا، وحدّه مدينة سلا آخر المغرب كما سماها، ثم إذا جزت سلا جنوبا، تاركا مغرب الشمس يمينا باتجاه القبلة، فتلك البلاد هي بلاد تامسنا، ويقال لها بلاد السوس الأدنى، وحدّها جنوبا إلى جبال درن، وبعد جبال درن بلاد ماسة أو ما يعرف بالسوس الأقصى، وهذا الإقليم ينتهي إلى الصحراء حيث يتصل ببلاد الزنوج[3].

ثم إن بعض الجغرافيين أدخلوا منطقة تامسنا ضمن مجال طنجة، وذكروه مع إقليم السوس الأدنى، ومنهم من جعل طنجة إقليما مستقلا بذاته، وألحقوا به أجزاء واسعة من إقليم

---

(1) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المعروف بليون الإفريقي، **وصف إفريقيا**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ص194. ينظر الملحق رقم 01.

(2) مارمول كربخال، مصدر سابق، ج2، ص126.

(3) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص ص5-6.

تامسنا ومدنه، والبعض الآخر منهم أتبع تامسنا لإقليم فاس[1]، وذهب ابن خلدون لأبعد من ذلك في معرض حديثه عن مواطن قبائل جشم العربية، واستيطانها لموطن برغواطة من طرف الموحدين بعد ذلك فقال: "... ونقل جشم هؤلاء الذين غلب اسمهم على من معهم من الأحياء، وأنزلهم تامسنا، ونقل رياح وأنزلهم الهبط، فنزل جشم بتامسنا البسيط الأفيح، ما بين سلا ومراكش أوسط بلاد المغرب الأقصى، وأبعدها عن الثنايا المفضية إلى القفار؛ لإحاطة جبال درن بها"[2]، جاعلا الحدود الجنوبية لهذا الإقليم هو جبال درن، مُدخِلا مراكش ضمن وطن تامسنا، ويبدو أن هذا الرأي قد استفاض عن علماء زمانه، فقد ذهب إليه ابن الخطيب في نفاضة الجراب، خاصة أنه جاب تلك الربوع، ولاحظ ودَوّن ما رآه وسمعه من خلال رحلته لمراكش[3]، بعد هروبه من غرناطة رفقة السلطان الغني بالله محمد الخامس، ونزوله في ضيافة السلطان المريني أبي سالم إبراهيم بن علي(760-762هـ)[4].

ذكر ابن عذارى كلاما قويا عن اتساع هذا الإقليم الذي سماه السوس الأدنى، وحدّه جنوبا جبال درن التي تقع حاجزا بينها وبين السوس الأقصى[5]، وهو الرأي الذي اختاره جماعة من المحققين حديثا؛ كمحمد حجاج الطويل بقوله: "بل إن تامسنا وهي جزء مما عرف آنذاك بالسوس الأدنى ..."[6]، وهو نفس الكلام الذي قاله عبد العزيز بن عبد الله عند حديثه عن توسع تامسنا وامتدادها لغاية تادلا[7]، والتي لا تبعد عن مراكش إلا بأربع مراحل، وتابعته الأستاذة سحر عبد العزيز، في إشارتها إلى أن حدود تامسنا على سواحل المحيط

---

(1) محمد حجاج الطويل، مرجع سابق، ص44.

(2) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص37.

(3) لسان الدين بن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، نش وتع أحمد مختار العبادي، مر عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربية، د.ط، الدار البيضاء، د.ت، ج3، ص92.

(4) أحمد مختار العبادي، **مشاهدات لسان الدين في المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 1983م، ص6.

(5) ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج1، ص5.

(6) محمد حجاج الطويل، مرجع سابق، ص44.

(7) عبد العزيز بن عبد الله، **بين أنفا والدار البيضاء**، مجلة مناهل، الرباط، ع 30، 1984م، ص92.

امتدت ما بين سلا شمالا وآسفي جنوبا[1]، وأشار إلى ذلك الأستاذ إبراهيم العبيدي قائلا: "إن الحدود الجنوبية للبرغواطيين امتدت جنوب الشاوية على طول المحيط الأطلسي، حتى شملت إقليم دَكّالة وعبدة وغيرها من الأراضي الحوزية جنوب آسفي ونواحي مراكش، ويشهد لذلك –حسبه– وجود رباطات لقتال البرغواطيين؛ كرباط شاكر، ورباط ماسة، ورباط فوز، ورباط نفيس، وحتى موطن مدينة الرباط في الشمال كانت رباطا لقتال برغواطة ومناجزتهم[2]، وذهب محمد مختار السوسي لأبعد من هذه الحدود في وصف توسع البرغواطيين جنوبا؛ بمحاذاة البحر المحيط قائلا: "كما رأينا البرغواطيون قد امتدوا أحيانا إلى تلك الجهة، حتى قيل أنهم وصلوا ماسة"[3]، والجهات التي قصدها السوسي هنا هي: إكلي، وتمدولت الواقعة جنوب مراكش.

والحق أن مجال برغواطة لم يكن رِواقا ضيقا، بل أوسع من ذلك؛ ولا أدل على هذا الكلام من وجود مدن كثيرة، قدرها الرحالة والمؤرخون بأكثر من ثلاثمائة وثمانين مدينة[4]، وهذا عدد كبير جدا، لا يمكن أن يتسع له بسيط ضيق منحصر بين نهري أبي الرقراق وأم الربيع، ثم إن القبائل المنضوية تحت لواء برغواطة لا يمكن أن يسعها هذا الرواق؛ نظرا لحاجتها للماء، والكلأ، والقنص، والزراعة، ورعي الماشية، التي كانت تعتبر محورا مهما لحياة قبائل البربر القاطنة به، ومن الإشارات التي تدل على سعة هذا الإقليم؛ هي الحروب التي كانت تعلن على إمارة بني طريف، والمقاومة التي كانت تبديها قبائل برغواطة، وما هذا إلا لسعة وطنهم، ففي كل مرة تعود إمارة برغواطة للظهور بعد القضاء عليها، ومن الأمور التي تثبت سعة الإقليم، وكثرة قبائل البربر المستقرة به؛ الرواية التي أوردها البكري، عن

---

(1) سحر عبد العزيز، **من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 1993م، ص63.

(2) محمد الطالبي – إبراهيم العبيدي، **البرغواطيون في المغرب**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص ص47–48.

(3) محمد المختار السوسي، **سوس العالمة**، مطبعة فضالة، المحمدية، د.ط، 1960م، ص16.

(4) البكري، مصدر سابق، ص250؛ ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص277؛ مارمول كارباخال، مصدر سابق، ج2 ص12.

زمور مبعوث الإمارة للخليفة الأموي بقرطبة يخبره عن عدد القتلى من قبيلة صنهاجة، الذي عبر عنهم قائلا: "وقتل من صنهاجة في وقعة واحدة ألف وغد، والوغد عندهم: المنفرد الوحيد الذي لا أخ له"[1]، وهذا من أقوى الدلالات على سعة الإقليم، الذي توسع ليشمل موطن صنهاجة المترامي الأطراف بالسوس الأقصى، والواقع جنوب جبال درن.

إلا أن الكثير من الباحثين في تاريخ المنطقة نبهوا لمسألة غاية في الأهمية، مفادها أن هذه الحدود لم تكن قارة ثابتة، بل تتسع وتتقلص حسب الظروف السياسية السائدة، فنجد أن ظهور دولة الأدارسة(172-363هـ) كدولة ناشئة، ومدعومة من قبائل أوربة القوية، وبطون من زناتة وزواغة ولماية وسدراتة[2]، وغيرها من قبائل البربر القاطنة بإقليم فاس، عجل بتضييق موطن برغواطة؛ وذلك بسبب الحملات القوية التي قادها إدريس الأكبر ومن جاء بعده من الأمراء، حيث فتحوا مدن برغواطة وحواضرها[3].

ونفس الأمر حصل مع دولة بني مدرار(140-366هـ)[4]، وكل الدول التي نشأت بالمغرب، وتزامن وجودها مع قيام إمارة برغواطة؛ كدولة بني يفرن(174-458هـ)، والدولة الزيرية(363-542هـ)، والدولة العامرية بالأندلس(978-1009هـ) وبعدهم دولة المرابطين الصنهاجية(448-543هـ)؛ مما جعل تلك الحدود غير مستقرة تماما[5]، ثم إذا لحق هذه الدول المناوئة ضعف أو انحطاط تعود قبائل تامسنا للتوسع من جديد، وتسترد المساحات التي فقدتها في السابق، وهكذا تداولت عليها القوى المحلية الناشئة، سواء بالمغرب، أو بالعدوة الأندلسية، خاصة في زمن الدولة العامرية(978-1009هـ)، وهو ما أشارت إليه سحر عبد العزيز سالم في قولها: "وليس من السهل أن نحدد بكل دقة منازل برغواطة على خريطة المغرب، ونرصد خطوط حدودها الجغرافية على وجه التحديد، فقد كانت حدودها

---

(1) البكري، مصدر سابق، ص250.

(2) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص ص19-20.

(3) نفسه، ص21.

(4) ابن حوقل، مصدر سابق، ص83.

(5) محمد الطالبي – إبراهيم العبيدي، مرجع سابق، ص48.

تتذبذب انكماشا واتساعا، تبعا لازدياد نفوذ الدولة على المناطق المجاورة أو انحسار ذلك النفوذ"[1].

ومن بين أكبر الأسباب التي جعلت الحديث عن مجال تامسنا صعبا وغير متاح هو: تعرض المنطقة لطمس ممنهج لمعالمها، وتغيير تركيبتها الإثنية، كما أشار لذلك ابن خلدون آنفاً[2]، حيث عمد الموحدون في زمن يعقوب المنصور الموحدي(555-596هـ) إلى تهجير قبائل برغواطة، وبطون القبائل البربرية المنضوية تحتها، لمناطق أخرى من بلاد المغرب، مع جلب الكثير من البطون العربية؛ كقبائل جشم، ومنها مقدم والعاصم وبعض بطون الخلط من معقل، وهؤلاء القبائل كانت حياتها تعتمد بالأساس على رعي الأغنام، وليس لهم في المكوث والاستقرار بد؛ كونهم ضواعن رحل من بلاد لأخرى بحثا عن الماء والعشب لمواشيهم، فلما استوطنوا تلك الأصقاع من بلاد السوس صيروها مرتعا لمواشيهم، فصارت بلاد شياه ورعي؛ وهو ما يفسر تكليف السلطان الموحدي المذكور لحسان الصبيحي لتربية أغنامة والعناية بها، وبعد سقوط الموحدين، وظهور دولة بني مرين(642-870هـ)، قام هؤلاء بجلب بعض قبائل زناتة وهوارة للاستقرار بالمنطقة، فقاموا بمناوشة العرب القاطنين بها، وبالتالي حصل الامتزاج والانصهار بينهم، مشكلين جنسا ونمطا واحدا في الحياة القائمة على النشاط الفلاحي ورعي المواشي؛ فصارت المنطة تسمى الشاوية[3].

### 2. مدن برغواطة وحواضرها

تميز إقليم برغواطة بكثرة حواضره وتعددها وذلك طيلة فترة حكم بني صالح، وقد وردت إشارات مهمة في كتب التاريخ التي عنيت بأيام حكمهم، تثبت أن هذا الإقليم كانت به عمارة دائمة وقلاع وقصور عامرة، حيث ذكر البكري قائلا عن حكم يونس بن الياس وما جرت في

---

[1] سحر عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص ص5-6.

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص37.

[3] أحمد سراج – خديجة الخديري، مرجع سابق، ص55.

زمنه من أحداث مروعة : " حتى أخلى ثلاثمائة مدينة وسبعا وثمانين مدينة"[1]، وقد أشار ابن خلدون لذلك في قوله: "... يقال أنه حرق ثلاثمائة وثمانين مدينة، واستلحم أهلها بالسيف..."[2]، لكن ما قاله مارمول كربخال وغيره أقرب للتصديق؛ إذ أن عدد المدن المذكورة والتي قدرها كل منهما "بأربعين مدينة وثلاثمائة قصر، يسكنها عدد من قبائل البربر، وهم قوم محاربون شجعان"[3]، يبدو معقولا قياسا بأبعاد الإقليم التي قدره "بثمانين ميلا طولا، وستين ميلا عرضا"[4]، وأما ابن خلدون فقد أورد في ثنايا حديثه عن حدود إمارة برغواطة قائلا: "وكانت مواطنهم خصوصا من بين المصامدة في بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وأزمور وأنفي وآسفي."[5]، فذكر مدنا وجعلها ضمن وطن برغواطة، ولعل ابتداءه بسلا لم يكن اعتباطيا؛ فقد كانت سلا أو شالة هي حاضرة إقليمهم وعاصمة إمارتهم لردح طويل من الزمن.

إلا أن هذه المصادر التاريخية والجغرافية لم تتوسع في وصف مدن وقرى برغواطة، بل ذكرتها باقتضاب شديد، مما يجعل من صبر غوار هذا الموضوع غاية في الصعوبة، خاصة أن بعض هذه الحواضر تم إنشائها خلال العصر البرغواطي الذي تميز بالغموض؛ باعتبار أن هذه الإمارة كانت شبه منغلقة على نفسها مقارنة بباقي الدول والإمارات التي عاصرتها، أين احتفظت لنا أمهات كتب التاريخ بالتبادل العلمي والتجاري الذي حصل بينهم، بينما مارس أمراء هذه الدولة تعتيما وعزلة مقصودة، خاصة خلال الدور الأول من تأسيس دولتهم ووضع ديانتهم.

---

(1) البكري، مصدر سابق، ص250.

(2) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص277.

(3) مارمول كاربخال، مصدر سابق، ج2، ص126.

(4) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص194.

(5) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276.

**1) مدينة شالة –سلا–[1].**

تقع شالة قرب مدينة الرباط جنوبا، وغرب مدينة سلا الجديدة، بينها وبين مدينة مراكش على ساحل البحر تسع مراحل[2]، والتي اعتبرها القلقشندي "متوسطة بين بلاد المغرب الأقصى، قريبة من الأندلس"، ثم أردف قائلا: "ولها معاملة كبيرة يقال لها تامسنا"[3]، وربما قصد وقوعها في سهل تامسنا الفسيح، وهي كما قال ياقوت الحموي: " مدينة متوسطة في الصغر والكبر، موضوعة على زاوية من الأرض، قد حاذاها النهر والبحر المحيط[4]، في غربيها تحف بها البساتين والكروم[5]، وقد كانت في الأصل مركزا تجاريا شيده الفينيقيون على ضفاف نهر أبي الرقراق، على بعد ميلين من الساحل[6]، وذلك في حدود القرن السادس قبل الميلاد، قبل أن يمر عليها الرومان، أين جعلوا منها قاعدة عسكرية امتدت لغاية العاصمة طنجة[7]، حيث تبدوا الأقواس الرومانية على جدار قلعتها، وكذا بعض الأطلال الأخرى؛ كشواهد على حكم الرومان لها.

اتخذها البرغواطيون عاصمة لدولتهم في بعض الفترات[8]، على قول الكثير من المؤرخين، كما جاء عند ابن الخطيب: "وكانت قاعدة مُلكه مدينة شالة "[9]، وكل من جاء بعده أثبت الخبر؛ مثل ابن خلدون، وليون الإفريقي، ومارمول كربخال، ولعل أقدم من أرخ

---

(1) يقول عنها صاحب الاستبصار أن سلا بالأعجمي هو شلة، وأنها أزلية فيها آثار للأول. مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص140.

(2) الحميري، محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح إحسان عباس، مطبعة هيدلبرغ، ط2، بيروت، 1984م، ص319.

(3) القلقشندي، أبو العباس أحمد، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مطبعة دار الكتب المصرية، د.ط، القاهرة، 1922م، ج5، ص169.

(4) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص231.

(5) القلقشندي، مصدر سابق، ج5، ص169.

(6) الإدريسي، مصدر سابق، مج1، ص238.

(7) مارمول كربخال، مصدر سابق، ص130؛ سحر عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص5.

(8) محمد الطالبي – إبراهيم العبيدي، مرجع سابق، ص47.

(9) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، مصدر سابق، ص184.

لإمارة برغواطة كان قد أشار إلى أن سله القديمة –والتي سماها "المدينة الأزلية"– قد خربت، وأنها الحد الفاصل بين وطن البرغواطيين والمسلمين، يقول ابن حوقل عنها: "وبظاهر سله رباطات تَحفّ بها"[1]، كانوا يرابطون على قبائل برغواطة للغزو والسبي في كثير من الأحيان، فطال عمرانها الخراب؛ بسبب هذه الحروب التي شنتها القوى الإسلامية المناوئة لمجوس برغواطة[2].

ينقل لنا الشريف الإدريسي حالة المدينة بعد تخريبها فيقول: "فهي الآن خراب، وبها بقايا بنيان قائم، وهياكل سامية، ويتصل بخرابها عمارات متصلة، وزروع ومواش لأهل سلا الحديثة"[3]، قبل أن يسترجعها الموحدون أيام صولتهم، حيث شيدوا بها عمرانا كبيرا، وبنى عبد المؤمن فيها قصرا منيفا مع منازل لخاصته؛ فصارت بذلك مدينة سماها المهدية[4]، والأرجح أن الذي أحيا المدينة، وشيد سورها، وأعاد عمرانها؛ من بناءه للمسجد، والقصر، وسكنى الجند، إنما هو أبو يعقوب يوسف المنصور الموحدي (580–595هـ)، وكان مما اعتنى ببنائه، قاعة جميلة بديعة الزخارف؛ بالرخام المنحوت، والفسيفساء، والنوافذ ذات الزجاج الملون، وكان قد أوصى أن يقبر بها بعد موته، فكان له ذلك، وقد دفن بها سلاطين دولتهم، وسار على ذلك ملوك بني مرين في عهد ازدهار دولتهم[5].

### 2) مدينة أزمور

مدينة في بلاد المغرب[6]، تقع على الضفة الجنوبية لنهر أم الربيع عند مصبه في البحر المحيط، وهي على حدود تامسنا كما ذكر ابن خلدون[7]، وتبعد عن البحر بميلين،

---

(1) ابن حوقل، مصدر سابق، ص82.

(2) ليون الإفريقي، مصدر سابق، ج1، ص203.

(3) الإدريسي، مصدر سابق، مج1، ص239.

(4) القلقشندي، مصدر سابق، ج5، ص169.

(5) ليون الإفريقي، مصدر سابق، ج1، ص203.

(6) الحميري، مصدر سابق، ص5.

(7) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276.

وأكثر سكانها صنهاجة[1]، وتعني برطانتهم الزيتون البري[2]، جعلها الوزان من مدن دَكّالة، والحق أن مجال برغواطة كان يتوسع مرارا كثيرة لما بعد دَكّالة وعبدة وبلاد الحوز[3] حتى حدود مراكش، فلا غرابة من جعل أزمور إحدى مدن دَكّالة، أو على الأقل حداً من حدود تامسنا[4]، بناها الأفارقة على مصب النهر، ثم صارت هذه المدينة كبيرة وآهلة بالسكان، تحتوي على حوالي خمسة آلاف كانون، وسكانها من الحضر، وقد انتعشت بها حركة صيد سمك الشابل؛ مما حذا بالبرتغاليين للقدوم على المدينة من أجل اقتنائه، كما عرفت بإنتاج القمح بوفرة[5].

### 3) مدينة أنفا

قاعدة هذا الإقليم ومن مدن تامسنا المشهورة التي على الساحل، وقد ذكرها ابن خلدون من ضمن المدن التي تقع في مجال برغواطة[6]، أسسها الرومان على شاطئ البحر المحيط[7]، وقيل بل أسسها القائد الفينيقي حانون –بأمر من مجلس شيوخ قرطاجنة–[8] على نحو ستين ميلا شمال الأطلس، ونحو ستين ميلا شرق أزمور، وكانت موطنا خالصا للبرغواطيين[9].

---

(1) ابن سباهي زادة محمد بن علي البروسوي، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، تح المهدي عيد الراوايضة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2006م، ص146؛ القلقشندي، مصدر سابق، ج5، ص172.

(2) الحميري، مصدر سابق، ص5.

(3) سحر عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص72.

(4) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276.

(5) ليون الإفريقي، مصدر سابق، ج1، ص161.

(6) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276.

(7) ليون الإفريقي، مصدر سابق، ص196.

(8) مارمول كربخال، مصدر سابق، ج2، ص127.

(9) ابن سعيد أبو الحسن علي، **كتاب الجغرافيا**، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1970م، ص137.

تمتاز أنفا بخصوبة تربتها، وفساحة سهولها، وكثرة بساتينها وحقولها، كما تميزت بكثرة مساجدها، وحسن دكاكينها، وجمال قصورها؛ وما هذا الثراء المادي إلا بسبب شيوع التجارة مع المسيحيين[1]، فصارت أنفا مدينة زاهرة[2]؛ والدليل على ذلك الآثار الكثيرة الباقية بالمدينة التي نكبها البرتغاليون في الثلث الآخر من القرن التاسع[3].

### 4) مدينة آسفي

بفتح الهمزة والسين المهملة وكسر الفاء وفي آخرها ياء مثناة[4]، بلدة على شاطئ البحر المحيط بأقصى المغرب[5]، تقع ضمن حدود الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، فجعلها ابن سعيد قرى ضمن دَكّالة من أعمال مراكش، بينهما أربعة أيام، مبنية على بسيط من الأرض على جون من البحر داخل في البر[6]، ذات أرض كثيرة الحجارة، والماء بها نادر إلا ما يهطل من مطر، تسقى كرومها على دواليب، وليس بها نهر يجري[7]، وهي تشبه مدينة حماة ودونها في القدر[8]، وبها آخر مرسى تبلغه المراكب من الأندلس إلى ناحية القبلة[9].

---

(1) مارمول كربخال، مصدر سابق، ج2، ص127.

(2) عبد العزيز بن عبد الله، مرجع سابق، ص88.

(3) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص ص196-197.

(4) ابن سباهي زادة، مصدر سابق، ص151.

(5) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص180.

(6) ابن سعيد، مصدر سابق، ص137.

(7) القلقشندي، مصدر سابق، ج5، ص ص168-169.

(8) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، **تقويم البلدان**، تح رينود وديسلان، دار الطباعة السلطانية، د.ط، باريس، 1860م، ص131.

(9) الحميري، مصدر سابق، ص57.

جعلها مارمول كربخال ضمن إقليم جزولة الذي يتبع مملكة مراكش، عليها أسوار متينة وأبراج[1]، وذكرها ابن خلدون ضمن مدن إمارة برغواطة[2]، وبآسفي عمارات كثيرة وخلق من البربر، وقد كانت مدينة زاهرة قبل القرن السابع للهجرة؛ باحتوائها على الجنان والبساتين وكثرة الزروع[3]، روى الرحالة في معنى اسمها روايات كثيرة متضاربة[4]، وقد أطلق عليها البرتغاليون اسم مدينة النمل، على غرار باقي أقاليم المغرب استقر بآسفي بطون عربية كثيرة، خاصة بعض أعراب دَكّالة حتى سقوط المدينة على يد القوات البرتغالية.

### 5) مدينة فضالة

كان مرفأ فضالة على ساحل البحر المحيط حاضرة مهمة للبرغواطيين، أين جعلوا منه ميناء أسطولهم وثغرا مهما من ثغورهم[5]، ولعل ما ذكره ابن حوقل في خريطته –التي ضمنها كتابه– فيه إشارة قوية لذلك، حيث رسم نتوءا صغيرا عن يسار سلا داخلا في البحر، علق تحته قائلا: "هذه زنقة في البحر المحيط، وهي حومة بلد برغواطة وديارهم، وأسفل هذه الزنقة مصب نهر."[6]، وهذا يعضده أدلة وشواهد ذكرها الكثير من الجغرافيين، تثبت مما لا يدع مجالا للشك، من أن فضالة كانت من أهم موانئ برغواطة، إن لم تكن نافذتهم المهمة على البحر، كما أخبر بذلك الإدريسي في مواضع من نزهته –عند ذكره لبني يجفش من زناتة– قائلا: "... وآخر سكناهم مرسى فضالة، ومرسى فضالة على البحر المحيط الغربي، بينه وبين نهر أم الربيع ثلاث مراحل"[7]، وهذا وصف مطابق لما أورده ابن

---

(1) مارمول كربخال، إفريقيا، مصدر سابق، ج2، ص71.

(2) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276.

(3) مارمول كربخال، مصدر سابق، ج2، ص71.

(4) الحميري، مصدر سابق، ص57.

(5) محمد الطالبي – إبراهيم العبيدي، مرجع سابق، ص47.

(6) ابن حوقل، مصدر سابق، ص ص66–68.

(7) الإدريسي، مصدر سابق، مج1، ص237.

حوقل، إذ أن النهر المذكور عنده أسفل هذه الزنقة لا يكون إلا نهر أم الربيع، الذي يصب بالقرب من جزيرة فضالة.

ثم لما جاء على ذكر الطريق البحرية من سلا، إلى ما يليها من البلاد على ساحل البحر، تطرق لمرسى فضالة وذكر موقعه بالنسبة لسلا، منوها بأهميته الاقتصادية والتجارية، حيث أنه يبعد عن سلا باثني عشر ميلا، وإن المراكب ترد إليه من الأندلس، وتأتيه من حائط البحر الجنوبي؛ لتأخذ منها أوساق الطعام؛ من قمح، وشعير، وفول، وحمص، وتحمل منها كذلك الماعز والغنم والبقر، ويلي فضالة للجنوب مرسى أنفا[1].

فقدوم المراكب من الأندلس بغرض جلب عروض التجارة؛ يفسره العلاقة التي ربطت بين الخلافة الأموية وبني طريف طيلة فترة وجودهم؛ كتوصية من صالح بن طريف لبنيه بأن يربطوا علائق صداقة مع بني مروان بالأندلس، كما أخبر الإدريسي أن هناك مراكب تأتي من حائط البحر الجنوبي؛ بغرض حمل أوساق الطعام، وكذا الحيوانات، وهذه إشارة مهمة تطابق ما نقله ابن حوقل، من أن أهل أغمات والسوس وقوم من أهل سلجلماسة يصلونهم بالتجارة، وهناك إشارة لا تقل أهمية مفادها أن هذا الإقليم ومدنه على درجة من الغنى والتكاثر المادي، وفي ذلك يقول ابن حوقل: "وبلدهم مستقل بنفسه عن الحاجة إلى ما في غيره ... "[2].

ومن الشواهد القوية على أهمية ثغر فضالة عند بني طريف، ما كتبه البكري عند وصفه للطريق ما بين نول وأصيلة قائلا: " ... ثم إلى جزيرة فضالة، وهو ساحل بلد تامسنا بلد برغواطة"[3]، حيث اعتبرها منفذا لإقليم تامسنا على البحر، جاعلا منها حاضرة من حواضر البرغواطيين، ومهما يكن من أمر، فإن الدراسات الحديثة أثبتت صحة ما ذهب إليه الرحالة في كتاباتهم حول الدور التجاري لمرفأ فضالة بالنسبة لبني طريف، رغم صعوبة

---

[1] الإدريسي، مصدر سابق، مج1، ص ص239-240.

[2] ابن حوقل، مصدر سابق، ص83.

[3] البكري، مصدر سابق، ص188.

تحديد موقعها الحالي الذي اندرس وعفيت آثاره، وقد يكون على ضفاف الوادي المالح في مكان آمن، أو فوق جزيرة فضالة التي تنام اليوم تحت بنايات المدينة[1].

تعرضت منطقة فضالة على غرار غيرها من مناطق إقليم تامسنا للخراب الذي أباد خضراءها؛ بسبب الحروب المتواصلة لإخضاع إقليم برغواطة منذ زمن الأدارسة ومن جاء بعدهم؛ من الدول والإمارات المتعاقبة على حكم بلاد المغرب، فتعرضت لضغط وحصار طالها بسببه التخريب[2]، لكن رضوخ الإقليم لم يتم إلا بعد حملات المرابطين الجهادية الكبيرة، التي بدؤوها من قلب الصحراء الكبرى، مكتسحين جميع أقاليم المغرب الأقصى، مقدّمين جهاد برغواطة على غيرهم[3]، فكان لفضالة نصيب من الاستباحة التي أمر بها قادة المرابطين؛ فتغيرت معالم الإقليم وتغيرت معه الخارطة الإثنية للساكنة؛ فتم تهجير وإبادة القبائل القاطنة به وغربوا عن وطنهم[4].

### 6) مدينة النخيلة

مدينة صغيرة مبنية في وسط تامسنا على الطريق المؤدي من الرباط لمراكش، شيدها أهل البلاد كما تشهد على ذلك بعض الآثار المتبقية بالجوار[5]، وصفها الحسن الوزان بالمدينة الصغيرة التي بنيت وسط تامسنا، وقد كانت آهلة بالسكان، يقام بها السوق كل عام، حيث يشد إليه أهل تامسنا الرحال من كل أرجاء الإقليم محملين بمختلف البضائع؛ كالقمح الذي ازدهرت تجارته زمن بني صالح؛ وذلك بسبب سعة سهولها التي قدرها الوزان بطول خمسين ميلا، ناهيك عن توفر المرعى والماء للماشية والدواب، وازدهار الزراعة وحراثة

---

(1) أحمد سراج – خديجة الخديري، مرجع سابق، ص94.

(2) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص203؛ الإدريسي، مصدر سابق، مج2، ص239.

(3) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص131؛ ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص244.

(4) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص195.

(5) مارمول كاربخال، مصدر سابق، ج2، ص131.

الأرض، ومن مظاهر ازدهار زراعة القمح أن بلغ بالبرغواطيين أن يقايضوا أحيانا حملا كبيرا من القمح بنعلين؛ وهذا يدل على اكتفاء الإمارة وغناها عما عند غيرها من الجيران[1].

خربت المدينة وعفيت آثارها إبان الحرب التي شنها أمراء المرابطين على إمارة برغواطة، خاصة بعد مقتل عبد الله بن ياسين سنة 451هـ، فلم يتبقى منها إلا أسوارها، وصومعة مسجدها الجامع، وبعض البساتين والكروم وأشجار قديمة لم تعد تثمر، وقد دأب الشاوية على التردد إلى هذه المدينة من أجل استغلال أرضها؛ نظرا لتوفر الماء والمرعى، وبسبب أعراب البوادي لم تعمر هذه المدينة وكل مدن الإقليم التي خربت من قبل؛ خوفا من قطع السابلة[2].

### 7) مدينة أندون

من مدن الإقليم الصغيرة التي بناها الرومان على أغلب الظن[3]، وتقع على بعد خمسة عشر ميلا من الأطلس أو خمسة فراسخ منه، كما تبعد عن النخيلة بحوالي خمسة وعشرين ميلا أو سبعة فراسخ، وهي تقع بين أشجار صغيرة من النخيل وسط تلال صغيرة تصلح لزراعة القمح، مع وفرة المرعى والماء للماشية، حيث تمر عين ماء بين الصخور لتصب في وادي، وينبئ طعم الماء وتربته على وجود معادن كثيرة بالمكان، ولم يتبقى من المدينة الصغيرة إلا بعض الأنقاض حسبما أفاده كل من مارمول كربخال وليون الإفريقي[4].

### 8) مدينة تكيت (أو تيكيليت)

مدينة صغيرة أو قرية بناها الأفارقة على ضفة نهر أم الربيع في مجاز الطريق المؤدي من تادلا إلى فاس، كانت تعتبر من المدن الغنية العامرة؛ لوقوعها على طريق تجاري يخترق

---

(1) ليون الإفريقي، مصدر سابق، ج1، ص198.

(2) نفسه، ج1، ص199.

(3) مارمول كاربخال، مصدر سابق، ج2، ص132.

(4) نفسه، ج2، ص132.

الأطلس وينفذ إلى الصحراء، فكانت بمثابة سوق للقمح حيث يتجمع أهل الإقليم، ويأتيها ناس من الصحراء لنفس الغرض، خربت المدينة زمن الحرب المرابطية على بني صالح، ولم تعمر إلا بدهر طويل، حيث صارت مجرد مكان للأعراب يخزنون به الحبوب[1].

### 9) مدينة تاغية

مدينة قديمة بناها الأفارقة بين جبال الأطلس الكبير، وهي إلى الصغر منها أقرب، وقد بنيت بأرض وعرة مجدبة مكسوة بالغابات الكثيفة حيث تكثر الأسود، وليست هذه البلاد ممن تصلح لزراعة القمح؛ بسبب برودتها ووعورة أرضها، وبها ماعز كثيرة وعسل وشمع يسد الحاجة، ومسكن أهلها أكواخ رديئة من الحجارة والطين مسقفة بالتبن وأغصان الشجر[2].

### 10) مدينة أزرفة (أو زرفة):

مدينة قديمة بناها الأفارقة على قول، أو الرومان وغيرهم من الغزاة في قول آخر، بقيت أطلال كثيرة تدل على وجودها، وقد تم تشييدها بسهل فسيح ترويه عدة أنهار صغيرة تنحدر عيونها من جبال الأطلس، وقد دمرت كلها إبان الاكتساح العام الذي قاده المرابطون في حملتهم على إمارة برغواطة سنة 451هـ[3]. انتشر بمحيط هذه البلدة الكثير من الأشجار المثمرة كالتين والكرز، والنباتات الشوكية كالسدر والدوم، وقد أهمل أعراب الناحية كل تلك الأشجار والثمار، واهتموا بحرث الأرض؛ التي تعتبر من أخصب الأقاليم، فيحصل الفلاحون على أضعاف ما زرعوه[4].

---

[1] الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص199.

[2] مارمول كاربخال، مصدر سابق، ج2، ص 133.

[3] الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص205.

[4] مارمول كاربخال، مصدر سابق، ج2، ص133.

### 11) مدينة عين الحلوف

مدينة صغيرة تقع بالقرب من مدينة المنصورة التي شيدها المنصور الموحدي ولم يبق منها إلا الأنقاض، والظاهر أنها مدينة رومانية، وقد هدمت على إثر غزو المرابطين للإقليم منتصف القرن الهجري الخامس[1]، حولها غابات كثيفة من شجر أركان وشجر الغبيراء وبعض الأشجار الشوكية الأخرى، كما تحيط بالمدينة برك ومستنقعات تكثر بها الضفادع والسلاحف البرية والمائية[2].

### 12) مدن أخرى

توجد بوطن برغواطة مدن كثيرة ذكرها المؤرخون والرحالة دونما أدنى وصف، بل جاء ذكرهم لها في معرض سردهم لأحداث معينة؛ كالحملات الحربية، أو وصفهم للمسالك والطرق التجارية، ولعل أهم هذه المواضع، ما جاء عند الإدريسي في إحصائه لقرى كثيرة متناثر على سكك وسواحل تامسنا؛ كقرية إيغيسل، وقرية إنقال، الواقعتين على مرحلتين على التوالي من أم الربيع، وذكر ما بهما من عيون ماء كثيرة منهمرة بمياه الشرب والسقي، وعلى نفس خط السير نجد قرية مكول، وهي على مرحلة من إنقال متصلة بفحص خراز، وهي على هيئة حصن كبير عامر بالبربر؛ على ما فيها من أسواق نافقة بالسلع المجلوبة إليها مما يحتاج إليه على كثرة المزروعات بها، ومن مكول إلى أكسيس مرحلة صغيرة، ومن أكسيس هذه على مرحلة منها نجد سلا المدينة المعروفة[3].

كما ذكر البكري مواضع أخرى لها دلالات على كونها قرى لا تقل أهمية عن المدن المذكورة آنفا، فيقول: "وقيعة تامغسين: وكانت مدينة عظيمة أقام القتل في أهلها ثمانية أيام، من الخميس إلى الخميس حتى شرفت دورهم ورحابهم وسككهم بدمائهم"[4]، ومن المواضع

---

(1) ليون الإفريقي، مصدر سابق، ج1، ص200.

(2) نفسه، ج1، ص200.

(3) الإدريسي، مصدر سابق، مج1، ص ص237-239.

(4) البكري، مصدر سابق، ص250.

التي ذكرها كذلك بهت، حيث حدثت بها مقتلة عظيمة أوقعها معاذ بن يونس بن إلياس بن صالح المكنى بأبي الغفير، وقد سجلها سعيد بن هشام المصمودي في قصيدة له طويلة من الوافر، وأوردها عنه الكثير ممن نقل نتفا من تاريخ برغواطة[1]، يقول في بعضها:

قفي قبل التفرق وأخبرينا *** وقولي وأخبري خبرا يقينا
وهذي أمة هلكوا وضلوا *** وخابوا لا سقوا ماء معينا
يقولون النبي أبو الغفير *** فأخزى الله أم الكاذبينا
ألم تسمع ولم تر يوم بهت *** على آثار خيلهم رنينا
رنين الباكيات فبين ثكلى *** وعاوية ومسقطة جنينا
سيعلم أهل تامسنا إذا ما *** أتوا يوم القيامة مقطعينا
هنا لك يونس وبنو أبيه *** يقودون البرابر مهطعينا
إذا وريا ورى زمت عليه *** جهنم قائد المستكبرينا
فليس اليوم ردتكم ولكن *** ليالي كنتم متميسرينا[2]

يقول البكري كذلك: "وقتل منهم بموضع يقال له تاملوكاف –وهو حجر نابت في وسط السوق– سبعة ألاف وسبعمائة وسبعين قتيلا ..."[3]. ثم عرج على ذكر أيام عبد الله أبي الأنصار، فذكر منها نتفا حتى وصل لمهلكه ثم قال: "فملك في دعة اثنتين وأربعين سنة، ودفن بأمسلاخت وبها قبره"[4].

---

[1] البكري، مصدر سابق، ص250.
[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ص277.
[3] البكري، مصدر سابق، ص250.
[4] نفسه، ص 251.

## II. أهمية إقليم برغواطة

### 1. جغرافية الإقليم وتضاريسه

تميز وطن برغواطة بكثرة تضاريسه وتنوعها، مما أضفى عليه أهمية كبيرة جعلت منه أخصب إقليم بالمغرب الأقصى، حيث السهول الفسيحة، وتوفر المياه العذبة المتمثلة في وجود الوديان والجداول الصغيرة والأنهار الكبيرة، مما حذا بسكان هذا الإقليم لممارسة الفلاحة وتنويعها، وبوقوعه على ساحل البحر المحيط عجل بازدهار النشاط البحري، كما سهل عليهم تصدير منتجاتهم الفلاحية والحيوانية، وذلك انطلاقا من المرافئ المنتشرة على حواضره الساحلية.

بالإضافة لذلك وجود الإقليم بين سلسلتين جبليتين أعطته قوة ومنعة، وجعلت منه حصنا منيعا في وجه أطماع الدول المجاورة، التي ما فتئت تردد الغارة تلوى الأخرى من أجل الاستيلاء عليه من جهة، ومن أجل القضاء على المقاومة التي أبدتها قبائل برغواطة والقبائل المنضوية تحت لوائها، وقد سهل التنوع الجغرافي على البرغواطيين الصمود في وجه الصدمات التي تلقوها على مدار أكثر من ثلاثة قرون كاملة.

#### أ. الأنهار

تعتبر الأنهار موردا مهما وأساسيا للمياه، حيث يعتمد عليها الأهالي في الشرب وسقي منتجاتهم الفلاحية على تنوعها، وكذا تربية دواجنهم ودوابهم، كما كانت مصدرا مهما للملاحة وصيد السمك، ولقد زخر وطن برغواطة بأنهار كبيرة ووديان جارية اخترقت الإقليم من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، كما ذكر ذلك البكري قائلا: "أنهارهم الجارية ببلادهم أزيد من مائة نهر"[1]، بل أجمع السواد الأعظم من المؤرخين أن حدود الإمارة كانت

[1] البكري، مصدر سابق، ص255.

غالبية الوقت منحصرة بين نهري أبي الرقراق وأم الربيع، إذ يعتبران أهم الروافد بإقليم برغواطة[1].

### 1) نهر أبي الرقراق

يسميه المراكشي واد الرمان، ويطلق عليه بطليموس نهر سلا[2]، ويجعله في الدرجة السادسة وعشر دقائق طولا، وفي الدرجة الرابعة والثلاثين وعشر دقائق عرضا[3]، بينما ذكر أبو عبيد البكري تسميته القديمة على ما يبدو فيقول: "... ونهر وانسيفن في نهر سلا تحت الرباط في النهر المحيط"[4]، ويعرف عند العامة بنهر بوركرك، ينبع من جبال الأطلس ليخترق البراري المحيطة به، ويسير وسط الغابات والأحراش التي تلي الأطلس، ثم يقسم سهل خنيفرة متوجها نحو المحيط مارا بين سلا والرباط[5]، حيث يفصل بين المدينتين[6]، اعتبر مصبه مرفأً مهما للسفن[7].

### 2) نهر أم الربيع

وهو وادي وانسيفن عند قلعة مهدي ببلد فازاز، وأم الربيع قرية هناك كبيرة جامعة فيها أخلاطا من البربر، وهم أصحاب حرث ومواشٍ وجمال، والغالب عليهم الفروسية، وبها ألبان وأسمان ونعم كثيرة في نهاية الرخص، وبها بقول ومزارع القطاني والقطن والكمون، وهو نهر

---

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276؛ البكري، مصدر سابق، ص246؛ ابن حوقل، مصدر سابق، ص82.

(2) عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص ص445-449.

(3) مارمول كربخال، مصدر سابق، ج1، ص35.

(4) خالف البكري هنا الكثير من الجغرافيين الذين اعتبروا أن نهر وانسيفن هو نهر أم الربيع، بينما أطلقوا على نهر أبي الرقراق أسماء أخرى؛ كنهر شالة، ووادي الرمان. البكري، مصدر سابق، ص255.

(5) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج2، ص247.

(6) صبري فارس الهيثي – حسن أبو سمور، **جغرافية الوطن العربي**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1999م، ص85.

(7) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج2، ص248.

كبير خرار[1]، يسميه بطليموس روسييد[2]، ينبع هذا النهر الكبير من جبال الأطلس المتوسط وجبال الأطلس العليا وإلى الشمال من منابع نهر ملوية، ويصب في المحيط شمال مدينة الدار البيضاء[3]، حيث يجري بين سهول أدكسوم، ثم يتوغل في وادٍ ضيق، ويتجمع فيعبر جسر جميل بناه أبو الحسن المريني (731-749هـ)، ثم ينزل ليخترق سهول تادلا وتامسنا، ويفصل بينهم ليصب في المحيط قرب أزمور إلى الشمال من مدينة الدار البيضاء، حيث يجرف معه واد العبيد[4]، لا يمكن قطع النهر خوضا في الشتاء والربيع ما عدا في الصيف، وفي الأماكن التي يتسع فيها في السهول خاصة، حيث يعبره القاطنة على حزم القصب المحمولة على القرب المنفوخة؛ وهذا لانعدام الجسور، ويتميز هذا النهر بسمك الشابل الذي يسوق منه لمراكش، ويحمل منه مقادير كبيرة للبرتغال والأندلس[5]، وقد بني عليه سدود محدثة[6].

### 3) نهر تنسيفت

نهر كبير ينبع من الأطلس قرب مدينة تدعى أنماي شرق مراكش، ويجري نحو الشمال مخترقا سهول دَكّالة جارفا في طريقه نهران مهمان، أحدهما أسيف المال الذي ينبع من جبل هنتاتة قرب مراكش ثم ينحدر في السهل حتى يلحق بالنهر، والآخر واد نفيس الذي ينبع من الأطلس بضواحي مراكش، ثم يسير نهر تنسيفت ليصب في البحر المحيط قرب آسفي[7]، وبالنهر سمك الشابل الكثير الطيب[8]، ورغم عمق النهر إلا أن قطعه وعبوره ممكن صيفا

---

(1) الحميري، مصدر سابق، ص605.

(2) مارمول كاربخال، مصدر سابق، ج1، ص34.

(3) صبري فارس الهيثي – حسن أبو سمور، مرجع سابق، ص85.

(4) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج2، ص247.

(5) مارمول كاربخال، مصدر سابق، ج1، ص35.

(6) صبري فارس الهيثي – حسن أبو سمور، مرجع سابق، ص85.

(7) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج2، ص245.

(8) مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص209.

في مواضع على الأقدام أو بالخيول والبغال[1]، ويحمل زمن الشتاء بسيل كبير لا يبقي ولا يذر، باعتبار هذا النهر دائم الجريان، وقد بنى عليه الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين[2] (500-537هـ) قنطرة عجيبة البناء، متقنة الصنع، جلب إلى عملها صناعا من الأندلس، وجملة من أهل المعرفة بالبناء، فشدوها وأتقنوا بنايتها حتى كملت[3]، فلم تلبث أعواما حتى هدمها السيل ورمى بحجارتها في البحر الزاخر[4]، ثم بدأ المنصور الموحدي[5] (558-580هـ) في تجديد بنائها سنة 566هـ، وأتمها ابنه يعقوب[6] (580-595هـ)[7].

---

[1] مارمول كربخال، مصدر سابق، ج1، ص34.

[2] أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين، السلطان صاحب المغرب، أمير المسلمين، تولى بعد والده سنة 500هـ، كان شجاعا مجاهدا عادلا دينا ورعا صالحا معظما للعلماء، مات بمراكش سنة 537هـ وتولى بعده ابنه تاشفين بن علي أبو المعز الاندلسي وقد استفحل أمر ابن تومرت والموحدين فواقفهم وكانت الدبرة عليه حتى هلك ترديا من شاهق بوهران سنة 540هـ. الذهبي، مصدر سابق، مج3، ص2875.

[3] الحميري، مصدر سابق، ص540.

[4] محمود مقيدش، **نزهة الانظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح علي الزواري – محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988م، ص62.

[5] السلطان الكبير أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي صاحب المغرب، تملك بعد شقيقه محمد المخلوع كان فيه أثار العلم والصلاح، سخيا شجاعا خليقا للإمارة، بعيد الهمة جوادا، وكان يميل للفلسفة مصاحبا لابن الطفيل الفيلسوف الأندلسي ضابطا لأقوالهم حافظا للحديث النبوي يروي من حفظه استشهد قرب أسوار شنترين سنة 579هـ. الذهبي، مصدر سابق، مج4، ص4275.

[6] أبو يوسف يعقوب الموحدي السلطان الكبير، الملقب بأمير المؤمنين المنصور أبو يوسف يعقوب ابن السلطان يوسف ابن السلطان عبد المؤمن بن علي، الكومي، المغربي، وأمه أمة رومية اسمها سحر كان جزل العبارة، صادق اللهجة، فارسا، شجاعا، قوي الفراسة، خبيرا بالأمور، خليقا للإمارة، ينطوي علي خير. الذهبي، مصدر سابق، مج 4، ص4247.

[7] الحسن لوزان، مصدر سابق، ج2، ص245.

### 4) وادي بهت

يقع هذا الوادي ما بين مكناسة وسلا[1]، وينبع من سلسلة الأطلس الكبير[2]، ويعتبره بعضهم أحد روافد نهر سبو[3]، يسير نحو الشمال مخترقا الجبال والأحراش والغابات ليخرج وسط التلال، ثم يسير بين سهول أزغار حيث يشكل بحيرات ومستنقعات لصيد أنواع من السمك، والحقيقة أنهما رافدان ينطلقان من مصبهما لغاية تشكل هاته البحيرات المذكورة والمليئة بسمك البيوض، الشابل، والأنقليس، وقد سكن قرب هذه البحيرات بطون عربية؛ مثل الخلط، وبني مالك الهلالية، ويمكن عبور وادي بهت في أي وقت من مواضع فيه معينة، ماعدا زمن الشتاء حيث تتساقط كميات معتبرة من الأمطار والثلوج[4].

### 5) نهر سبو

نهر عظيم الماء كثيره وإليه مصب نهر فاس[5]، ويجعله ياقوت الحموي قرب طنجة من بلاد البربر[6]، وأما منبعه فمن جبال الأطلس، ومصبه في المحيط الأطلسي شمالي مدينة الرباط[7]، وهو أحد الأنهار الكبرى ببلاد البربر، حيث يجري بإقليم الحوز منحدرا إلى السهول من بين جبال عالية وتلال[8]، مارا بالقرب من فاس، فيحيط بها شرقا وغربا[9]،

---

(1) عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص449.

(2) مارمول كربخال، مصدر سابق، ج1، ص35.

(3) Mohammed HAMMAM, **l'occident musulman et l'occident chritien au moyen age**, publication de la faculté des lettres, 1er éd, rabat, 1995, p160.

(4) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج2، ص ص248-249.

(5) ابن حوقل، مصدر سابق، ص87.

(6) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص186.

(7) محمود عبد العليم، **تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير**، دار الدعوة للنشر، ط1، الإسكندرية، 1948م، ج2، ص385.

(8) مارمول كاربخال، مصدر سابق، ج1، ص36.

(9) عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص449.

وبمصبه –الواقع بجبال بني واريتن– رأس عين في بئر غامضة يتداوون بها، ولهم فيها اعتقاد لا ينكرونه[1].

يتميز نهر سبو بطول مجراه وغزارة مياهه وقوة تدفقه، وذلك راجع لسببين: أولهما الروافد والوديان التي تصب فيه على طول مجراه؛ مثل أوضو، وورغة، ووادي الجواهر[2]، ومنها ما ينحدر من جبال إقليم تازا، وثانيهما مجراه الطويل المنحدر اتجاه البحر المحيط، وأما عبوره فمتعذر في الشتاء والربيع إلا عبر الفلك والقوارب، والنهر غني بالسمك الكبير الحجم؛ مثل البوري، والشولي، والشابل، الذي يحمل على الدواب لكبر حجمه، ومع ذلك فإن ثمنه منخفض نظرا لوفرته[3].

**ب. السواحل والمرافئ**

تعتبر السواحل المنطقة الفاصلة بين اليابسة والماء، وهي مستعمرات بشرية منذ قديم الزمن، اذ ظهرت شتى الحضارات الانسانية قرب السواحل وعلى ضفاف الأنهار الكبرى، ونظرا لأهميتها السياسية والاقتصادية كانت عرضة للغزو والاستيطان، وذلك من أجل السيطرة على الممرات البحرية والتحكم في طرق التجارة.

تطرق ابن سعيد لذكر سواحل تامسنا وموانئها، وجعلها ضمن الجزء الأول من الإقليم الرابع، فوصفها بأنها من أعدل الأقاليم وأحسنها حيوانا ونباتا، وقد ابتدأ بذكر مرفإ مازيغن قائلا: "... هي فرضة مشهورة تحمل منها المراكب القمح إلى سبتة وغيرها"، وإلى الشمال يقع نهر أم الربيع الذي يصب في البحر قرب أزمور[4] شمالي الدار البيضاء، وبين أزمور ومرفإ مازيغن اثنا عشر ميلا، ويقبع مرسى الغيط على بعد ثمانين ميلا جنوب مازيغن[5]،

---

[1] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، مصدر سابق، ص184.

[2] الحسن الوزان، مصدر سابق، ج2، ص ص248–249.

[3] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ص184–185.

[4] ابن سعيد، مصدر سابق، ص137.

[5] رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص122.

وإلى الجنوب منها آسفي حيث يبلغ الخليج بها اثنا عشر ميلا[1]، وتبعد عن مازيغن بخمسة وثمانين ميلا[2]، وبها آخر مرسى تبلغه المراكب من الأندلس إلى ناحية القبلة[3]، وإلى الشمال تقع أنفا[4] على الساحل بخمسين ميلا من أزمور ويقطنها برغواطة، وإذا صعدنا شمالا بستين ميلا يصادفنا ساحل سلا، أين يصب نهرها المعروف بنهر أبي الرقراق، ويصعب على المراكب دخوله، وعلى ضفته الجنوبية تقع مدينة الرباط[5] –وهي الحد الشمالي لوطن برغواطة[6]–، وفي مقابلها على شمال النهر مدينة سلا، حيث الطول سبع درجات وعشر دقائق، والعرض ثلاث وثلاثون درجة ونصف، وشمال سلا يصب نهر سبو أو نهر المعمورة، الذي اشتهر بصيد وتصدير سمك الشابل الحلو الذي ينقل من سلا إلى الأقطار[7].

يتميز إقليم تامسنا بشريط ساحلي كبير يمتد من شالة والرباط للمحمدية، نزولا إلى أنفا وآسفي[8]، وقد جعل محمود إسماعيل عبد الرزاق ساحل تامسنا أطول مما ذكر ابن خلدون وابن سعيد، فجعل بدايته من مضيق جبل طارق لغاية وادي أم الربيع، وسار على هذا الرأي محمود رجب في وصفه لازدهار التجارة ببسيط تامسنا قائلا: "... ساحل تامسنا الطويل الذي يبدأ في الشمال من سلا وينتهي في الجنوب إلى مدينة آسفي"[9]، وقد كثرت موانئ الصيد والتجارة على طول الشريط الساحلي، خاصة بمدينة سلا حيث كانت تختلف إليها

---

(1) ابن سعيد، مصدر سابق، ص137.

(2) الإدريسي، مصدر سابق، ص240.

(3) الحميري، مصدر سابق، ص57.

(4) يعتبر محمد حجي ومحمد الأخضر أنفا هي الدار البيضاء، وموقعها قرب الأطلس إلى الشمال الشرقي من أزمور كما هو مثبت في هامش التحقيق لكتاب ليون الافريقي. الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص200.

(5) ابن سعيد، مصدر سابق، ص138.

(6) الحميري، مصدر سابق، ص319.

(7) ابن سعيد، مصدر سابق، ص138.

(8) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276.

(9) رجب محمد عبد الحليم، **دولة بني صالح في تامسنا**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ط الفجالة، 1991م، ص120.

سفن التجار من وإلى الأندلس وبقية ممالك أوروبا؛ مثل جنوة، والبندقية، وإنكلترة، حتى اعتُبر ميناؤها واجهة بحرية تجارية لإقليم فاس بالكامل[1].

يعتبر مرسى فضالة –الواقع على ساحل البحر المحيط الغربي قرب نهر أم الربيع– من أبرز المرافئ التي يقصدها التجار من بلاد الأندلس وحائط البحر الجنوبي، فتحمل منه أوساق الطعام؛ كالحنطة، والفول، والشعير، والحمص، وغيرها من البقر والغنم والماعز، ومنه إلى مرسى أنفا الذي يبعد عن فضالة أربعين ميلا، وهو مقصود من تجار الآفاق يشترون منه الحبوب[2].

لقد كان لكثرة المراسي وتعددها بالغ الأثر في ازدهار النشاط الزراعي والتجاري بوطن برغواطة، ورأينا كيف ساهمت هذه الموانئ في التجارة البحرية، حيث كانت تصدر منها أوساقا من الحبوب للأندلس وبقية الأصقاع البعيدة بالمغرب الأقصى، كما قامت بمحاذاة هذه المراسي والضفاف مدن وقرى وقصور كثيرة، كما أشار لذلك الكثير من الرحالة والجغرافيين قديما وحديثا، وأدى تجمع القاطنة بالقرب من السواحل في ازدياد نشاط صيد السمك وتسويقه، ناهيك عن النشاط الزراعي؛ وذلك راجع لعوامل ساعدت على ازدهار الفلاحة؛ منها التربة السهلية الخصبة، ووفرة المياه، واعتدال المناخ.

### ج. السهول

يعتبر موطن تامسنا سهلا واسعا فسيحا وخصبا، حسب ما عبر عنه أكثر مؤرخي العصر الوسيط[3]، وهو مستوحىً من التسميات التي أطلقت عليه خلال أحقاب التاريخ المتوالية، وقد تميز سهل تامسنا بالانبساط واعتدال المناخ مع توفر المياه على مدار السنة – في أغلب سهوله–؛ سواء مياه الأمطار، أو مياه الأنهار الجارية على طول العام، رغم وجود

---

[1] الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص208.

[2] الإدريسي، مصدر سابق، مج1، ص ص237–240.

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276؛ ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص130؛ البكري، مصدر سابق، ص246؛ ابن حوقل، مصدر سابق، ص82.

بعض الجداول التي تجف صيفا، كما تخلل بسيط تامسنا بعض الهضاب والتلال الصغيرة المتناثرة هنا وهناك، وسكان المغرب يقسمون السهول الساحلية المطلة على المحيط الأطلسي لقسمين[1]:

### 1) السهول الساحلية المنخفضة

مجموعة من السهول الواقعة شمال نهر أم الربيع[2]، وهي سهول ذات طابع زراعي رعوي صرف، سماها أمين الريحاني بسهول الأتلانتيك؛ لوقوعها بمحاذات ساحل المحيط الأطلسي، وعبر عنها مرة أخرى بالواجهة البحرية قائلا: "... في الواجهة البحرية إذن مصب الأنهار الكبيرة، وفيها حول تلك الأنهار أرض طيبة التربة يزرع أكثرها ..."[3]، ويتميز سهل تامسنا على غرار سهول المغرب الأقصى الساحلية بالاتساع والخصوبة، وأكثرها اتساعا هو سهل الغرب أو سهل منطقة نهر سبو، ويزيد اتساعا بين نهري تنسيفت وأم الربيع وواد السوس[4].

وهذا الذي عناه الأستاذ رجب في معرض وصفه لجغرافية بلاد تامسنا قائلا: "كما توافرت لها أيضا سهول ساحلية تمتد بطول الساحل من سلا، وتتجه جنوبا إلى أزمور وآسفي، وتضرب في عمق البلاد شرقا في اتجاه بلاد الأطلس"[5]، وقد أشار لهذا غالبية الباحثين حديثا، فالسهول الساحلية المطلة على المحيط الأطلسي يتراوح عرضها ما بين

---

[1] جودة حسين جودة علي أحمد هارون، **جغرافية الدول الإسلامية**، منشأة المعارف، د.ط، الإسكندرية، 1999م، ص411.

[2] جودة حسين جودة علي أحمد هارون، مرجع سابق، ص411.

[3] أمين الريحاني، **المغرب الأقصى**، مؤسسة هنداوي سي آي سي، د.ط، المملكة المتحدة، 2017م، ص ص116-117.

[4] صبري فارس الهيثي، مرجع سابق، ص47.

[5] رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص114.

أربعين وستين كم، وهي سهول تتخللها الجبال[1]، ورغم سعتها مقارنة بسهول المغرب العربي الأخرى إلا أنها تعتبر في عرف الجغرافيين ضيقة؛ لوقوعها بين المحيط والجبال.

ومنها السهول الواقعة قبالة الساحل الغربي وتدعى بالسهول الأطلسية، وهي تقع في مجال الشاوية أو قريبة منه؛ مثل سهل سبو، سهل دَكّالة[2]، وسهل أم الربيع[3]، وأغلب هذه السهول منخفضة؛ لوقوعها بمحاذات المحيط الأطلسي، وتربتها رملية صلصالية[4]، وفيضية في مواضع أخرى، قريبة من مصب الأنهار[5]؛ كسهل سلا الذي يتميز بكون تربته رملية تنتج بعض القمح، ويكثر به البساتين وزراعة القطن[6]، وميزتها أن مناخها معتدل شتاء وحار صيفا؛ مما يجعلها صالحة لإنتاج محاصيل زراعية كثيرة، خاصة مع ارتفاع معدل التساقط بها، خلافا للسهول الداخلية التي تقع في ظل المطر[7].

وسهل دَكّالة[8] من أهم هذه السهول الواقعة في مجال برغواطة، حيث أنه يغطي مساحة جغرافية مهمة، يحدها من الغرب المحيط الأطلسي على شريط ساحلي واسع، بينما يحده من الشمال سهول أنفا الواقعة ضمن إقليم الدار البيضاء، وجنوبا الصويرة، بينما يصطدم شرقا بإقليم مراكش، وتساعد تربته الحمراء ولطف حرارة مناخه ورطوبة هوائه على

---

(1) هواري موسى، **بلدان المغرب العربي دراسة جغرافية**، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، جامعة الجزائر، مج1، عدد3، ص4.

(2) قعر المثرد السعيد، **الزراعة في بلاد المغرب القديم**، رسالة ماجيستر، إش غانم محمد الصغير، غ.م، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2008م، ص16.

(3) عبد العباس الغريري – سعدية الصالحي – سيداتي ولد الداه، **جغرافية الوطن العربي**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1998م، ص55.

(4) أحمد سامي مصطفى – فيليب رفله، **جغرافية الوطن العربي دراسة طبيعية اقتصادية سياسية مع دراسة شاملة للدول العربية**، مكتبة النهضة المصرية، ط4، القاهرة، 1970م، ص ص123–125.

(5) عبد العباس الغريري – سعدية الصالحي – سيداتي ولد الداه، مرجع سابق، ص55؛ صبري فارس الهيثي – الحسن أبو سمور، مرجع سابق، ص45.

(6) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج2، ص208.

(7) أحمد سامي مصطفى – فيليب رفله، مرجع سابق، ص129.

(8) بفتح أوله وتشديد ثانيه، بلد بالمغرب يسكنه البربر. ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص459.

جودة محاصيله الزراعية[1]، ويعتبر سهل دَكّالة أرضا منخفضة؛ كما هي دلالة التسمية البربرية المركبة من شطرين، الأول "دو"؛ ويعني المنخفض أو الأسفل، بينما الشطر الثاني من الكلمة فهو "اكال"؛ ومعناه البلد، فيكون المراد من هذا التوجيه هو الأرض المنخفضة؛ أي السهل المنبسط من الأرض[2]، ويسكن بسيط دَكّالة قوم من المصاميد لهم حرث وزرع ومواش على شح في مياهه[3].

### 2) السهول الداخلية المرتفعة

تستمر السهول المرتفعة منحصرة وسط السلاسل الجبلية؛ كما هو الشأن مع سهل الشاوية[4]، وسهل الحوز الواقع جنوب نهر أم الربيع، حيث يتميز بارتفاعه الكبير، ويكتسح هذا السهل عديد الأنهار الواقعة ضمن نطاق برغواطة؛ مثل نهر تنسيفت الذي ينبع من جبال توبكال، التي تكسوها ثلوج كثيفة تنصهر ربيعا وصيفا، مما يصيره نهرا وفير المياه[5]، وسهل تادلة الواقع بين الجبال الذي تتخلله تلال صغيرة، وتربته طيبة تنبت كمية عظيمة من الحبوب والفواكه الجيدة، والغابات في هذا السهل قليلة، ويعتبر من أجود سهول المنطقة، كما اشتهر هذا الإقليم بزراعة القطن، وخصوبة التربة، وطيب العيش، ووفور النعم، وقد سكن هذا السهل أخلاط من البربر شتى، ثم قدم عليهم أشرف العرب وأنبههم شأنا فساكنوهم فيه[6].

---

(1) عبد الرحمن بن حميدة، مرجع سابق، ص151.

(2) عبد القادر زمامة، **دكالة في تاريخ المغرب**، مجلة دعوة الحق، وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية، الرباط، 1982م، ع 220، ص26.

(3) هنري بيريس، **وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية**، دار الكتاب، الجزائر، د.ط، 1957م، ص49.

(4) عبد العباس الغريري – سعدية الصالحي – سيداتي ولد الداه، مرجع سابق، ص56.

(5) جودة حسين جودة علي أحمد هارون، مصدر سابق، ص411.

(6) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص ص30–72؛ هنري بيريس، مرجع سابق، ص51.

## 2. مقومات الحياة الاقتصادية

لقد كان للتنوع الجغرافي بتامسنا أثرا بالغا في استقرار النشاط الاقتصادي؛ باعتبارها منطقة ذات طبيعة سهلية مترامية الأطراف، إذ تساعد على ممارسة الزراعة والرعي وتربية الماشية، ونشطت ممارسة التجارة؛ نظراً لتوفر بلادهم على أسواق داخلية نافقة بما يُجلب إليها من سلع محلية وخارجية، وازدهر الصيد البحري؛ نظرا لكثرة الموانئ والمراسي المتناثرة على طول شريطهم الساحلي، مما دفعهم لاحياء عملية التبادل التجاري بينهم وبين الممالك الواقعة جنوب القارة الأوروبية.

### أ. الصيد

احترف البرغواطيون مهنة الصيد نظرا للطبيعة الجغرافية لاقليم تامسنا المتمثلة في انحصار وطنهم بين البحر والجبال، كما تتخلله الكثير من الأنهار والوديان الغنية بالثروة السمكية، فامتهن الأهالي حرفة الصيد كنمط حياة فرضته جملة من الدوافع والظروف الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية، فصيد السمك كان مشتهرا عندهم؛ باعتباره نمط غذاء، ومصدر رزق للكثيرين، حتى أنه أصاب الرعاة من الأعراب القاطنين على ضفاف نهر بهت البرص؛ بسبب تناولهم للكثير من السمك مع شرب ألبان الماشية[1]، وبعض الأهالي امتهن تسويق السمك للأندلس وبقية الممالك الأخرى، فانكب البرغواطيون على صيد أسماك الشابل اللذيذ من أنهارهم الكثيرة، خاصة من نهر أم الربيع، وكانوا يزودون بها "مراكش والأقاليم التي تجاورها، فضلا عما يحمل منه بمقادير كبيرة أيضا للأندلس ... وكان صيده عادة يقام في شهر ماي"[2]، كما اصطادوا عددا لا يحصى من سمك البيوض والأنقاليس من نهري بهت وسبو؛ حتى رخصت أثمانه وصار يباع في البلاد بثمن بخس[3].

---

[1] الحسن الوزان، مصدر سابق، ج2، ص248.

[2] مارمول كربخال، مصدر سابق، ج1، ص35.

[3] الحسن الوزان، مصدر سابق، ج2، ص ص247-250.

وكان لوفرة الثروة السمكية دفعا قويا للأهالي؛ جعلهم يهرعون لاستغلال حرفة الصيد، والمتاجرة بأنواع السمك البحري والنهري على حد سواء، هذا دون أن ننسى وجود كتل جبلية منيعة، وهضاب منيفة، لعبت دور الحصن الكبير؛ مما صعب على الأعداء اجتياح إقليم تامسنا بسهولة.

وأما صيد البرية فلهم منه النصيب الأوفر، وجزء من حياتهم اليومية، فكانوا يصطادون منها ما ينفعهم فينتفعون به؛ كصيد الأرانب، والأيول، والضربان، والإوز الوحشي، والبط، وطير الماء، والحمام[1]، وكان يعيش بقرية عين الحلوف مختلف حيوانات الصيد[2]، حيث اشتهر السكان بصيد طيور النعام "التي كانت تنتشر بقرية إنقال، بفحص طويل قد انحشرت إليه سارحة، وعلى مراقبه دارجة في أعداد لا تحد ولا تحصى، وأهل تلك النواحي يصيدونها طردا على ظهور الخيل، فيقبضون منها حملا صغارا وكبارا، وأما بيضها فلا يحصى كثرة ...، ورغم أن بيضها ضار للأجساد وخيم إلا أنهم كانوا ينتفعون بلحومها الباردة اليابسة، وشحومها التي تداووا بها من الصمم تقطيرا، ومن سائر الأوجاع البدنية"[3]، واعتادوا بقرية تيقطين كذلك صيد "السلاحف البرية الكبيرة التي فاقت سلاحف الماء كبرا وعظما، فاتخذوا من جلودها دساتي للغسل، ومعاجن لدقيق الحنطة وغيره"[4].

كان الأهالي بقرية إنقال يحرصون كل الحرص على اصطياد الأسود والتخلص منها؛ بسبب قطعها السبيل على المار والجائي، مما دفعهم لكسب مهارات في اصطيادها والقضاء عليها من غير سلاح، إنما يَلقَونها عراة بغير سلاح، يلقون أكسيتهم على أذرعهم حاملين قنوات من شوك السدر وسكاكينهم بأيديهم، وقد لقيت منهم الأسود هناك نكايات، مما جعلها

---

[1] الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص162.

[2] مارمول كربخال، مصدر سابق، ج1، ص129.

[3] الإدريسي، مصدر سابق، مج1، ص ص237-238.

[4] نفسه، ص236.

تجتنب طرقهم وسككهم، وتترصد ضعاف الناس منهم، وفي قرية مكول كان الأهالي يستعينون بالنار لصيد الأسود وإبعاد خطرها عنهم، وقد اتخذوا بيتا لصيدها حتى كانوا يصيدون بيوم الجمعة أكثر من ثلاثة أسود[1].

**ب. الفلاحة**

يعتبر إقليم تامسنا سهلا خصبا صالحا للزراعة بطابعه السهلي الفسيح، وتوافر الظروف المناخية والبيئية؛ مما شجع قبائل برغواطة على ممارسة الزراعة، وبوجود شبكة من الأنهار تضمن تدفق كميات معتبرة من المياه، ناهيك عن التساقط الكبير للأمطار، وذوبان الثلوج المتراكمة على قمم الجبال خلال فصلي الربيع والصيف، كل هذا ساهم في تنوع محاصيلهم الفلاحية وعمران مدنهم ورساتيقهم[2]، فاشتهرت بعض حواضرهم بزراعة القمح والشعير والحنطة وغيرها من الحبوب، وقد ذكر الرحالة نتفا كثيرة وإشارات مهمة في طيات كتبهم، تدل على ازدهار الفلاحة عامة، والزراعة بصورة خاصة في العديد من مدن تامسنا؛ مثلما هو الشأن مع سلا، وآسفي التي اشتهرت بخصوبة الأرض ووفرة المحصول[3]، ونفس الكلام ينطبق على مدينة أزرفة التي اعتبرت في غاية الخصب، لدرجة أن صاعا من القمح ينتج خمسين أو ستين صاعا[4]، ومدينة تكيت التي كانت محط رحال تجار القمح من تخوم الصحراء، وحتى بعد تخريبها صارت مخزنا للحبوب يستغله أعراب الناحية[5]، شأنها شأن فضالة التي اشتهر ميناؤها بتصدير أوساق الحنطة والشعير والفول والحمص، ولم تكن بلدة

---

(1) الإدريسي، مصدر سابق، مج1، ص ص237-238.

(2) المقدسي، مصدر سابق، ص230.

(3) العمري ابن فضل الله، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010م، ج1، ص464.

(4) مارمول كاربخال، مصدر سابق، ج2، ص133.

(5) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص199.

مازيغن أقل شأنا منهم، حيث وصفها ابن سعيد –كما مر– بأنها فرضة مشهورة تَحمِل منها المراكب القمح إلى سبتة وغيرها[1].

كان لمدينة سلا صيت كبير في إنتاج الحبوب كذلك، بينما كان ميناء أنفا مقصدا لتجار الحنطة والشعير كغيره من مراسي تامسنا؛ نظرا للإنتاج الوفير الذي حظيت به المدينة، وربما تم تسويقه برا لبني يدفر ودَكّالة، وكانت قرية مكول تنتج هي الأخرى كميات هائلة من الحبوب، وكانت تعرض للبيع بسوقها النافقة بما يُجلب إليها من مختلف السلع، ولم تشتهر هذه المدن والقرى بزراعة وإنتاج الحبوب فحسب؛ بل كانت منتجاتهم الزراعية في غاية الوفرة ورخص الثمن؛ كما هو الحال مع قرية أم الربيع التي كانت تقبع أسفل الوادي، والحنطة بها في غاية الرخص[2]، وقد ذكر مارمول كربخال أن أهالي مدينة تكيت كانوا يقايضون التمر بالقمح[3]؛ وما ذلك إلا لوفرة إنتاجه وجودته، وذكر الوزان أن وفرة القمح بمدينة النخيلة –في زمن حكم برغواطة– بلغت درجة جعلت الناس يستبدلون نعلين بحمل كبير من القمح[4]، ونفس الملاحظة نقلها الإدريسي عن مدينة سلا؛ حيث الطعام بها وفير كثيرا ورخيص جدا[5].

إن بعض سهول تامسنا التي كانت تنتج قمحا وحنطة وشعيرا اشتهرت ببساتين الأشجار المثمرة؛ مثل سلا وآسفي[6]، وأما مدينة المنصورة التي رغم شهرتها في إنتاج القمح بكثرة، إلا أنها لم تفرط في غراسة غابة كثيفة من الأشجار المثمرة[7]، بينما اشتهرت زرفة ببساتين التين، وأشجار القرآنية والكرز البحري، وأشجار السدر والسفيزف، وكانت عين

(1) الإدريسي، مصدر سابق، مج1، ص237.
(2) نفسه، ص ص239–240.
(3) مارمول كربخال، مصدر سابق، ج2، ص132.
(4) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص199.
(5) الإدريسي، مصدر سابق، مج1، ص239.
(6) ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ص464.
(7) مارمول كربخال، مصدر سابق، ج1 ص131.

الحلوف تحوي نفس النباتات الشوكية ذات الثمر المستدير الذي يشبه العنب[1]. واشتهر إقليم تامسنا بمنتجات فلاحية أخرى غير الزروع والثمار؛ كالقطن، والكروم، والذرة، وقصب السكر، وشجر الدوم، والقطاني، والبطيخ، والخيار[2]، وأما الثروة الخشبية فقد كانت متوفرة كثيرا؛ بسبب توفر مصدرها المتمثل في الغابات الكثيفة.

### ج. تربية ورعي المواشي

إن التنوع الجغرافي الذي حظي به إقليم تامسنا، ساعد قاطنيه من قبائل برغواطة والقبائل المجاورة لها، على تربية المواشي والأنعام والجمال[3]، وممارسة الرعي على نطاق واسع من هذا السهل الفسيح طالما أن الكلاء والماء متوفران، وهذا ما يفسر وصف الرحالة بلاد تامسنا أنها صالحة للفلاحة والرعي، وهو ما نجده بمدن الإقليم تقريبا، فمدينة أنفا اشتهر قاطنوها برعي المواشي، وكذا الأمر بمدينة المنصورة التي تقع بين أنفا والرباط، حيث كانت تعرف بانتشار قطعان الماشية بها، ونفس الأمر بالنسبة لمدينة تكيت، بينما اشتهرت قرية عين الحلوف برعي الماعز شأنها شأن مدينة تاغية؛ نظرا للطبيعة الغابية للبلاد ذات النباتات الشوكية، وأما أدندون فمنطقة ذات طبيعة رعوية؛ لتوفر غطاء نباتي يصلح لتغذية المواشي[4].

لم يقتصر اهتمام البرغواطيين على رعي الشياه والماعز فحسب؛ بل اهتموا بنتاجها والحرص على نموها وتسمينها؛ بغرض بيعها وتصديرها، حيث كان البرغواطيون يقومون بشحن "البقر والغنم والماعز في السفن، من ميناء فضالة للأندلس وحائط البحر الجنوبي"[5]، كما اهتموا باقتناء الدواب؛ مثل البغال، والحمير، والخيل؛ وذلك لاستعمالها في تنقلاتهم،

---

(1) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص ص200-206.

(2) رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص116.

(3) الإدريسي، مصدر سابق، ص ص237-238.

(4) مارمول كاربخال، مصدر سابق، ج1، ص ص127-133.

(5) الإدريسي، مصدر سابق، مج1، ص240.

ومن أجل القيام بأمورهم الضرورية؛ كالفلاحة، والتجارة، وحتى في حروبهم مع الدول المناوئة لهم[1].

**د. العمران**

تميز إقليم تامسنا عن غيره من أقاليم المغرب الأقصى باعتدال مناخه، واستواء سهوله، وخصوبة تربته، ووفرة مياهه، ووقوعه بين الجبال المنيعة الكافلة للحماية وبين السواحل الأطلسية؛ مما سهل على قبائل برغواطة من اتخاذه وطنا لها، فعمروه وشيدوا به القرى والمدن والحواضر، حتى بلغت أكثر من أربعين مدينة وثلاثمائة قصر عند مارمول، بينما قدرها البكري بأكثر من ثلاثمائة وسبع وثمانين مدينة، وبنوا المرافئ، واتخذوا الأسواق العامرة بالسلع المجلوبة إليه من الأهالي، ومن مختلف الأقطار البعيدة.

وأما المباني فقد أورد الجغرافيون حولها إشارات كثيرة تدل على تعمير إقليم تامسنا من قبل البرغواطيين طيلة القرون الثلاثة التي حكم فيها آل طريف إمارتهم، فقاموا بتشييد الأسوار حولها، وبنوا القلاع والحصون والمساجد البرغواطية، كما هو حال مدينة النخيلة التي بقيت أسوارها وأسواقها وصومعة جامعها شاهدا على العمران الكبير الذي خلفه بنو صالح[2]، بينما عفيت آثار مدن كاملة إبان الاجتياح المرابطي منتصف القرن الخامس، ولم يبق من وجودها غير أطلال متناثرة في حدود المدينة المحطمة؛ وخير مثال على ذلك مدينتي شالة وزرفة اللتين خربتا في حرب مجوس برغواطة[3].

**هـ. التجارة**

إن المقوّمات الجغرافية والاقتصادية التي حظي بها إقليم تامسنا جعلت النشاط التجاري يزدهر، وتنمو المبادلات بين البراغواطيين والقبائل المجاورة لهم من جهة، وبينهم وبين

---

(1) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص ص200-205.

(2) مارمول كاربخال، مصدر سابق، ج1، ص131.

(3) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج2، ص ص203-205.

الإمارات الواقعة في حوض المتوسط من جهة أخرى؛ وذلك بسبب انتعاش النشاط الفلاحي، ووفرة الزروع والثمار، وتربية الماشية، مما حذا بأهل أغمات والسوس أيضا أن يصلوهم بالتجارة، وكذلك الأمر مع أهل فاس والبصرة[1]، وقد كانت تقام أسواق بهذا الصدد في العديد من مدن تامسنا؛ مثل سوق النخيلة الذي كان يقام كل عام، حيث يَشد إليه أهل تامسنا الرحال من كل أرجاء الإقليم محملين بمختلف البضائع؛ كالقمح الذي ازدهرت تجارته زمن بني صالح[2]، وأسواق بلدة مكول الواقعة قرب قرية إنقال، التي وصفها الإدريسي "بأنها أسواق نافقة بما يجلب إليها من جميع المتاجر والسلع التي يَحتاج إليها أهلها"[3]، كما أن البرغواطيين كانوا يؤمّون سلا لبيع منتجاتهم الزراعية والماشية[4]، حيث احتوت هي الأخرى على أسواق وتجارات ودخل وخرج وتصرف لأهلها وسعة أموال ونمو أحوال[5].

وأما التجارة الخارجية فقد عرفت انتعاشا ونموا بارزا؛ بسبب توفر المرافئ على طول ساحل تامسنا، وكثرة الأنهار الجارية التي تصب في المحيط؛ مما يساعد السفن النهرية على الولوج إليها، وحمل السلع المتمثلة في أصناف السمك والمواشي والحبوب، كما هو الشأن مع نهر سلا الذي كانت ترتاده السفن القادمة من إشبيلية ومدن الأندلس الساحلية، فكانوا يقصدون مدينة سلا بالزيت الكثير، ويتسوقون منها مختلف أنواع الطعام، وكان دخولهم إليها عبر النهر حين يكون المد؛ لأن بمصبه الكثير من التروش والصخور التي طالما كانت سببا في غرق وتحطم السفن[6].

وأما بفضالة فالأمر يختلف؛ لأن لها ميناء تقصده قوافل السفن من بلاد الأندلس وحائط البحر الجنوبي، فتحمل أوساقُها من الطعام حنطة وشعيرا وفولا وحمصا، وتحمل منها

---

(1) ابن حوقل، مصدر سابق، ص83.

(2) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص198.

(3) الإدريسي، مصدر سابق، مج1، ص238.

(4) محمد الطالبي – إبراهيم العبيدي، مرجع سابق، ص49.

(5) الإدريسي، مصدر سابق، ص239.

(6) نفسه، ص239.

الغنم أيضا والماعز والبقر، ونفس الوصف ينطبق على مدينة أنفا التي كانت مقصدا للسفن التجارية؛ فتتزود منها بمختلف الزروع، ومرسى آسفي تدخله المراكب؛ لتتزود منه أوساقُها وقت السفر وسكون حركة البحر المظلم[1].

لقد كان لهذه الحركة التجارية الداخلية والخارجية آثارا بادية على المجتمع البرغواطي، تتمثل في الثراء الذي تجسد في المدن الكثيرة التي شيدها البرغواطيون، والمباني المتحضرة المحكمة البناء بمدينة أنفا التي عرفت بالثراء والرفاهية، حيث اتخذوا الأسوار المنيفة العالية للحماية، والتي بقيت شامخة رغم مرور حقب متطاولة من الزمن، كما هو الحال بالنخيلة التي بقيت صومعة جامعها وسورها لغاية القرن العاشر للهجرة[2]، أما بمدينة سلا فإن الوصف فاق كل التصورات، إذ أن مبانيها ذوات الأفنية المسقفة والمزدانة بعدة سوار ولوحات من الأحجار الملونة، وساحات المدينة وأزقتها المصفوفة تعطي دلالة قاطعة على حياة الرفاهية والبذخ الذي كانت تحياه الأمة البرغواطية، ودرجة التكاثر المادي التي بلغتها إمارة بني صالح بتامسنا[3]، هذا ناهيك عن دكاكين التجارة المبنية تحت أروقة في غاية الجمال، والمساجد المزخرفة، وميناؤها الذي كان ينزل به التجار الأوروبيون؛ كالجنويين، والبنادقة، والإنجليز، والفلامنديين، دون أن ننسى التجار الأندلسيين[4].

### III. نسب قبائل برغواطة

شهدت بلاد المغرب توافد أجناس عرقية مذ فجر التاريخ البشري، سواء على شكل هجرات كما هو الحال مع قدوم الفينيقيين من جنوب لبنان لبلاد المغرب، أو غزوات استيطان مثل الغزو الروماني والوندالي والبيزنطي، أو على شكل حملات فتح منظم كما هو

---

(1) الإدريسي، مصدر سابق، ص240.

(2) مارمول كربخال، مصدر سابق، ص ص128-130.

(3) الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص208؛ مارمول كاربخال، مصدر سابق، ج2، ص136.

(4) رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص122.

الحال مع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، والتي دامت لفترة لا تقل عن السبعين عاما، أو موجات التغريب والتهجير مثل تغريبة بني هلال التي حصلت منتصف القرن الرابع للهجرة.

ومن المعلوم أن بلاد المغرب صارت موطنا لقبائل البربر على اختلاف أنسابها منذ حقب التاريخ الغابرة –وعلى غرار العرب–، وقد قسم النسابة قبائل البربر لجذمين كبيرين؛ هما البتر، والبرانس، ولقد تقاربت مواطنهم، وتحالفت أفخاذهم وبطونهم تارة، وتقاتلوا أخرى، وكانت بينهم مصاهرات ومنافسات وإحن قديمة ومماحكات بقيت حتى بعد الفتح الإسلامي، كما هو الحال بين قبائل زناتة وصنهاجة، ولم تكن بلاد المغرب الأقصى بمنأى عن هذه الأحداث التي شهدتها أمة البربر؛ إذ أن شمال المغرب قطنته قبائل البرانس حيث تطيب التربة، ويكثر التساقط؛ فتمتلئ الوديان وتجري على مدار العام؛ وبالتالي تستقر الساكنة وتخدم الأرض، وإلى ذلك أشار ابن منصور بقوله: "... ثم تسير مغربة حتى تجاوز نهر ملوية إلى حدود بلاد الريف وجبال التسول وغياثة والبرانس، حيث تبتدئ مواطن البرانس من صنهاجة وكتامة ومصمودة بالمغرب الأقصى، وإلى الجنوب من ذلك توجد مواطن القبائل البرنسية التي ينتمي جلها في الشرق إلى هوارة، وفي الغرب إلى صنهاجة، وبين القطاعين الشمالي والجنوبي توجد مجالات القبائل الزناتية ..."[1]

إذن فشمال المغرب الأقصى ووسطه كان موطنا للبطون الزناتية البترية، والكثير من قبائل المصامدة البرنسية، والتي جاورتهم فيه قبائل برغواطة، ولهذا أشار ابن خلدون في قوله "وأما المصامدة وهم من ولد مصمود بن يونس، فهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم؛ ومن بطونهم برغواطة، وغمارة، وأهل جبل درن ... وكان لبرغواطة منهم التقدم والصدارة قبل الإسلام..."[2]، ولقد اختُلف في نسب قبائل برغواطة هؤلاء، هل هم من قبائل البربر؟ أم أنهم

[1] عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص338.

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص275.

حادثون ببلاد المغرب؟ وهل هم بطن من بطون المصامدة؟ أم أنهم من قبائل زناتة البترية؟[1].

وقبل خوض هذا المبحث وجب أن نعرج حول بيان حقيقة اسم القبيلة، وهل هي لفظة بربرية؟ أم لفظة دخيلة على المجتمع البربري ؟ يقول بن المكي نقلا عن بن النحوي: "يقولون لهذه القبيلة برغواطة، والصواب بلغواطة، بلام مفتوحة وإسكان الغين، والنسب إليها بلغواطي، أخبرني بذلك الشيخ أبو بكر بن أبي عبد الله القزاز"، وصوبه ابن دحية في المطرب[2]، ويقول ابن منصور: "الذي يتتبع كلام المؤرخين قبل ابن خلدون بقرون، وكانوا معاصرين لبرغواطة يفهم أن هذه الكلمة ليس لها دلالة سلالية بالمرة، وإنما تدل على نحلة دينية أطلقت على القبائل التي اعتنقتها ..."[3]، خاصة وأن تلك المنطقة عاشت بها أفخاذ وبطون بربرية مختلفة، وقد ذهب المؤرخون وأهل العلم بأنساب الخليقة في الحكم على نسبهم مذاهب شتى؛ نحصرها في أقوال ثلاثة:

- **القول الأول**

أنهم من قبيلة مصمودة البرنسية، ولعل صاحب كتاب الجمهرة من أوائل من تطرق لنسبهم ولو باقتضاب شديد، حيث ذكرهم من ضمن البطون المصمودية دون أي توضيح، مخالفا بذلك عادته في ذكر سلسلة نسب القبائل، فاعتبر آل طريف من مصامدة أشونة بالأندلس، ومنهم الذي تنبأ ببرغواطة[4].

---

(1) abd allah bounfour, **les bervata**, langue, religion societe, fondation de roi abd el aziz al saud, casablanca, 2023, t2, p227.

(2) ابن المكي أبو حفص عمر الصقلي، **تثقيف اللسان وتلقيح الجنان**، تح مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، ص59؛ ابن دحية أبو الخطاب عمر، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تح إبراهيم الأبياري – حامد عبد المجيد – أحمد أحمد البدوي، المطبعة الأميرية، القاهرة، د.ط، 1954م، ص88.

(3) عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ج1، ص322.

(4) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص495.

وعلى هذا الرأي سار ابن خلدون في نسبتهم لمصمودة، وذلك راجع لمجاورتهم إياهم في بلادهم، وإن دعوى نسبتهم لزناتة من الأغاليط البينة، ويشهد لذلك موطنهم وجوارهم لإخوانهم المصامدة[1]، وما فتئ ابن خلدون يذكر برغواطة من ضمن الأفخاذ والبطون المصمودية في كل ما تتاح له الفرصة للتعرض لنسب المصامدة، ولقد سار في ركبه الكثير من المعاصرين؛ كالأستاذ رجب عبد الحليم في قوله: "... وكانت برغواطة المصمودية ضمن هذه القبائل ..."، معتبرا برغواطة قبيلا بربريا مصموديا، دونما إفصاح عن الأدلة التاريخية التي أثبت بها نسب برغواطة للجذم البرنسي المذكور[2]، ولم يكن الأستاذ رجب وحده من سار في فلك القائلين بمصمودية هذه القبيلة، بل أكد عباس جبير سلطان التميمي هذا الرأي عندما استدل بكلام ابن خلدون في الرد على الآراء التي تنسب برغواطة لغير مصمودة، فيقول: "ويوضح ابن خلدون هذا التضارب بين المؤرخين في نسب برغواطة وأصل مؤسس ملتها"، ثم يسوق كلام ابن خلدون كاملا معلقا: "... وبهذا أكد ابن خلدون أن برغواطة من المصامدة، وأنها امتداد لقبائل غمارة المصمودية المجاورين لها"[3].

ومن المؤرخين المتأخرين الذين تبنوا هذا الرأي وساندوه؛ إبراهيم العبيدي، وإبراهيم حركات، مقلدين ابن خلدون فيما ذهب إليه وأصله في تاريخه[4]، ورغم وجود آراء جديرة بالملاحظة إلا أنهما اختارا الإجماع الذي انعقد عند أغلب المتأخرين، على ما ذهب إليه العلامة الكبير عبد الرحمن بن خلدون وقرره، وكان قد سار في هذا الركب محمود إسماعيل في دراسته الشهيرة، وقد أخذ برأي بن خلدون؛ لأنه يعتبره في نظره أخبر الناس بنسب

---

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص280.

[2] رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص15.

[3] عباس جبير سلطان التميمي، **برغواطة دراسة تاريخية في نشأتها وعقائدها**، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة كربلاء، مج3، ع10، ص370.

[4] محمد الطالبي – إبراهيم العبيدي، مرجع سابق، ص46.

البربر[1]، بينما تمثل موقف الأستاذ عبد الرزاق عمر أزريكم في سرد مواقف القائلين بمصمودية برغواطة ولم ينحاز لأي منهم[2].

- **القول الثاني**

أنهم ينسبون لقبيلة زناتة البترية، وهو ما جاء في إحدى روايتي البكري، عن أبي العباس فضل بن مفضل المذحجي[3]، وقد تكلم صاحب "مفاخر البربر" على نسب البرغواطيين جاعلا إياهم من زناتة بقوله: "واستقر ملكهم آخرا بتامسنا، وهم في الأصل من زناتة.."[4]، وسايره في طرحه لسان الدين بن الخطيب بقوله: "ليس قبيل برغواطة لأب ولا يرجعون إلى أصل، وإنما هم أخلاط من قبائل شتى زناتية."[5]، وهو ما اختاره صاحب الاستبصار بقوله: "كانوا قوما جهالا من زناتة"[6].

- **القول الثالث**

أنهم أخلاط من قبائل بربرية كثيرة برنسية وبترية، ليس لهم أم واحدة ولا أب واحد، وقد كان أول من أشار لذلك البكري الجغرافي الأندلسي الذائع الصيت، عندما ربط منطقة تامسنا بقبائل زناتة وزواغة[7]، وقد نحا هذا الاتجاه الإدريسي، عند وصفه لإقليم تامسنا والقبائل التي استوطنته، فيقول: "... وقبائل تامسنا شتى متفرقة، فمنهم برغواطة ومطماطة وبنو تسلت وبنو أويقمران وزقارة وبعض من زناتة وبنو يجفش من زناتة، وكل هذه القبائل

---

(1) محمود إسماعيل، **مغربيات دراسة جديدة – حقيقة المسألة البرغواطية**، المكتبة المركزية، فاس، د.ط، 1977م، ص ص18-19.

(2) عبد الرزاق عمر أزريكم، **الغرب الإسلامي من الفتح إلى القرن الخامس هجري**، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط1، 2016م، ص179.

(3) البكري، مصدر سابق، ص251.

(4) مجهول، مفاخر البربر، مصدر سابق، ص139.

(5) ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعمال، مصدر سابق، ج2، ص369.

(6) مجهول، الاستبصار، مصدر سابق، ص197.

(7) البكري، مصدر سابق، ص248.

أصحاب حرث ومواشي وجمال..."، واختار هذا القول ابن أبي زرع الفاسي في كتابه "الأنيس المطرب" قائلا: "إن برغواطة قبائل كثيرة وليس لهم أب واحد ... وإنما هم أخلاط من قبائل شتى من البربر"[1]، وهو ما يراه السلاوي الناصري في "الاستقصا"[2]، وسانده بوزياني الدراجي، في كتابه "القبائل الأمازيغية"[3].

ورغم صعوبة الجزم بصحة ما ذهب إليه كل فريق من المؤرخين والنسابة والباحثين؛ بسبب شح المصادر وقلة ما جاءت به؛ إلا أن ما حققه الأستاذ الطالبي جدير بالوقوف عنده، لأنه بنى موقفه بأدلة وشواهد قطعية لا تدع مجالا للشك، ولا متعلقا بوهم، مستعينا برواية البكري، عن زمور، إذ أن عليها مدار الكلام، معتبرا أن البرغواطيين لم يشكلوا إطلاقا جماعة إثنية متجانسة[4]، بل أخلاط شتى من قبائل بترية وبرنسية من جراوة وزواغة والبرانس وبنو أبي ناصر ومرنجصة وبنو أبي نوح وبنو واغمور ومطغرة وبنو بورغ وبنو دمر ومطماطة وبنو وزكسينت، هذا ناهيك عمن يدين لهم من القبائل البربرية المسلمة، وهم حسب زمور سبعة عشرة قبيلة[5].

وانطلاقا من هذا المعطى، وبيان التركيبة الإثنية المشكلة للكيان البرغواطي، تبين أن العامل الذي جمعهم مذهبي لا عرقي، وإن القول أنهم بطون مصمودية؛ بسبب سكناهم بجوار المصامدة؛ أو بسبب رفض مبايعة البربر للأجنبي الدخيل؛ محض مجازفة، وتقول عار عن الصحة، وبعيد عن التحقيق التاريخي، وإلا فالزعامات انعقدت لغير البربر على البربر أنفسهم، والتاريخ شاهد على ذلك، وما قصة دولة بني عبيد والرستميين والأدارسة عنا ببعيد.

---

(1) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص130.

(2) السلاوي الناصري، مرجع سابق، ج1، ص53.

(3) بوزياني الدراجي، مرجع سابق، ص41.

(4) محمد الطالبي – إبراهيم العبيدي، مرجع سابق، ص12.

(5) البكري، مصدر سابق، ص255.

وأما الادعاء أنهم من الباكوات الذي جاء ذكرهم عند بطليموس وسترابون الإغريقي[1]؛ فقول شاذ بعيد النجعة ولا طائل من ورائه؛ لتنائي الفترتين، وغياب القرائن التاريخية والعرقية، وبينما يختلف النسابة والمؤرخون والرحالة الجغرافيون قديما وحديثا حول مسألة انتساب برغواطة للمصامدة أو لغيرهم؛ يجنح فريق رابع للسكوت عن الخوض في هذه الاختلافات، حيث يرى ابن عذارى أنهم قبيل من البربر، كما سكت عن بيان نسبهم ابن حوقل ولم يشر لذلك لا من قريب ولا من بعيد، وهذا الاتجاه قد أعجب طائفة من المتأخرين، فاكتفى منهم من اكتفى بإيراد أقوال المتقدمين وسرد آرائهم واختلافهم، لكنه لم يحكم لواحد منهم عن الآخر، كإبراهيم حركات لما تطرق في دراسته للمجتمع الدكالي[2]، ومنهم من ضرب صفحا عن هذه المسألة ومر عليها مرور الكرام؛ لاعتقاده أنها مسألة لا طائل من الخوض فيها؛ أو لاقتناعه بأنها مسألة هامشية لا تقدم ولا تؤخر في بحثه؛ باعتبار أن الروايات التاريخية التي تطرقت للمسألة البرغواطية لا تكفي للقطع بصحة رأي فريق دون آخر.

## 1. الحاضنة الثيولجية، نسبها وبطونها

أورد البكري وصاحب الاستبصار من رواية أبي صالح زمور بن موسى، أن التركيبة القبلية لإمارة بني صالح تكونت من قسمين، أولهما القبائل المعتنقة للديانة البرغواطية، والتي كانت تشكل الحاضنة الدينية للإمارة، وتعتبر كيانها العقائدي، وحاضنتها الثيولوجية، وذكر منهم قبائل بترية وأخرى من بطون برنسية، وهم كالآتي[3]:

---

[1] خلفة عبد الرحمن، **الديانة الوثنية المغاربية القديمة منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146 ق.م**، رسالة ماجيستر، إش غانم محمد الصغير، غ.م، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2008م، ص15.

[2] إبراهيم حركات، **المجتمع الدكالي والفكر الديني**، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب، 1982م، ع 224، ص71.

[3] البكري، مصدر سابق، ص255؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، مصدر سابق، ص200.

**أ. جراوة**

كانت هذه القبيلة بإفريقية والمغرب في قوة وكثرة وعدة وجموع، عليهم طاعة للفرنج مفروضة، فكان لهم ملك الضواحي أجمع، وقد ظاهروا جرجير، حتى زحف إليه المسلمون وقتلوه، فانفضت جموعهم وانحلت رياستهم[1]، ثم لم يلبثوا أن اجتمعوا على الكاهنة[2] بجبل الأوراس، أيام كان لزناتة صولة على البربر جميعا.

**1) نسبهم**

هم أبناء جراو بن الديدت بن جانا بن يحيى [3]، وجانا بن يحيى هو جد قبائل زناتة كلهم جميعا[4]، فتصير هذه القبيلة من بطون قبيلة زناتة البترية، وقد وهم البيدق بجعل نسبهم إحدى بطون بني سطات من صنهاجة الظل ناقلا صيغة التسمية الأمازيغية ايكوراين[5].

**2) موطنهم**

كان موطن جراوة ببلاد الأوراس في أول الأمر، وقد أعيا أمرها الفاتحين الأوائل[6]، حتى أخمد جذوة نارهم حسان بن النعمان الغساني( 74-78هـ)، وقضى على مقاومة الكاهنة وأفناهم قتلا[7]، فعجل ذلك بتشريدهم واندثار ذكرهم، فتشتتوا بين القبائل البربرية

---

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص12.

[2] دهيا بنت ماتيه بن تيفان الجراوية البترية، أقليدة وملكة جبل الأوراس، وقومها من جراوة ملوك البتر وزعماؤه، دانت وعشيرتها باليهودية وكانت تتعاطى الكهانة والسحر، حاربت العرب الفاتحين ودحرتهم، وعلى يديها كان خراب إفريقية الأول ثم كانت عليها الدبرة، قتلها حسان بن النعمان الغساني سنة 81هـ. موسى لقبال، مرجع سابق، ص ص62-66.

[3] بوزياني الدراجي، **القبائل الأمازيغية**، دار الكتاب العربي، الجزائر، د.ط، 2010م، ج1، ص249.

[4] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، مصدر سابق، ص496.

[5] البيدق أبو بكر الصنهاجي، **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تح عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، 1971م، ص ص56-57.

[6] عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص339.

[7] بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، مرجع سابق، ج1، ص249.

الأخرى، ومنهم الفئة التي حلت بسواحل مليلة بالمغرب الأقصى[1]، وربما قطن منهم أوزاع بظاهر فاس[2]، وعادت بعد ذلك للظهور وأخذوا دورهم في مسرح الأحداث مستقرين في موطنهم بالمغرب الأقصى مندمجين ضمن قبيلة يطوفت بأحياء غمارة، ومن أشهر بطونهم ابن غفجوم بنواحي تادلا، والمعروف بعلمائه وأدبائه وشعرائه[3].

**ب. زواغة**

بضم الزاي وفتح الواو وكسر الغين المعجمة[4]، وهم غير زوارة حيث وهم بعض الكتاب فعدهم قبيل واحد، غاب خبر هؤلاء الجذم عن نسابة العرب والبربر؛ فلم يعملوا فيه يراعهم كما هو الشأن مع إخوانهم البربر[5]؛ سوى نتفا حررها ابن حزم، ونقلها عنه ابن خلدون، مع بعض الإضافات تخص مساكنهم، وقد جمع ابن منصور ذلك وبسطه، وحقق تسمية القبيلة الدراجي ووقف على مثار التصحيف، وزواغة هذه كانت قد أسهمت في الحركة الإباضية إسهامات كبيرة؛ حتى تركت بصماتها ماثلة؛ ولا أدل على ذلك من كثرة الأعيان وأعلام المذهب من القبيلة، ممن طفحت بتراجمهم أصحاب السير والإخباريين.

**1) نسبهم**

من ولد سمجان بن يحيى ضري[6] بن زحيك بن مادغيس الأبتر، إخوة زوارة، قبيل من البرابرة البتر، وبطونهم ثلاثة: ابن دمر بن زواغ، ابن واطيل بن زحيك بن زواغ، ابن تيفون بن ماجر بن زواغ، وهم أوزاع في القبائل.

---

(1) القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم الرقيق، مصدر سابق، ص56.

(2) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص32.

(3) الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص46.

(4) السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد، **الأنساب**، تح وتع عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دائرة المعارف العمانية، حيدر آباد، ط1، 1963م، ج6، ص340.

(5) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص170.

(6) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص496.

**2) موطنهم**

منتشرون في جميع البلاد المغاربية، فسكنوا نواحي طرابلس، حيث جبل دمر، ومنهم في قسنطينة وجبال الشلف[1]، حتى عرفت بهم، فقيل شلف بنو واطيل، وبظاهر تيهرت بغربيها قطنت زواغة[2]، وكذا بنواحي ميلة، وإلى المغرب الأقصى بمدينة فاس، أين يتواجد معظمهم، وخاصة بحومة عدوة القرويين[3]، وقد اتخذت طائفة منهم مدينة تامسنا وطنا لهم، وقطنت طائفة منهم نكور، كما أشار لذلك البكري، قائلا: "ينتهي من جانب الشرق إلى زواغة... احتل طريف ببلد تامسنا وهو إذ ذاك ملك لزناتة وزواغة."[4]، ولهم مضارب بفج مزالة، وينسب لهم بسيط زواغة الممتد بين فاس وجبل كندر[5].

**ج. منجصة**

اختلف النسابة في نطق تسمية هذه القبيلة حيث أطلق عليها ابن خلدون اسم مرنجيسة[6]، بينما سماها ابن حزم منجصة، في حين أن الأستاذ بوزياني وهم في جعلهم إخوة لبني يفرن[7]، نقلا عن ابن خلدون، وهذا مستغرب إذ أن يفرن يرجع ليصلتين وإخوانه، وهم مغراوة وبنو يرنيان وبنو واسين، وهؤلاء ليسوا إخوانا لمنجصة، وقد ذكر ابن خلدون أن هذا البطن كان لهم قوة وكثرة، وقد ظاهروا أبا يزيد الخارجي في ثورته، وبعد مهلكه أخذهم الشيعة وأعوانهم الصنهاجيين بالقهر والسطوة[8].

---

(1) بوزياني الدراجي، مرجع سابق، ج1، ص ص360-361.

(2) البكري، مصدر سابق، ص ص163-161.

(3) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص ص31-139.

(4) البكري، مصدر سابق، ص ص189-248.

(5) عبد الوهاب بن منصور، مصدر سابق، ج1، ص ص311-312.

(6) ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص32.

(7) بوزياني الدراجي، مرجع سابق، ص292.

(8) ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص32.

### 1) نسبهم

يرجعون في نسبهم لنمالة بن فريني بن جانا بن يحيى، وإخوانهم هم بنو واركلا، يزمرتن، نمالة، برمختا، والزناتيين[1]، بطونهم ثلاثة وهم: بنو نوح، بنو ونزال، وبنو زرارة[2].

### 2) موطنهم

كان موطنهم بالصحراء قبلة الزاب، على ثماني مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب، وقصورهم بنيت متقاربة الخطة، ثم استبحر عمرانها، فأتلفت وصارت مصرا واحدا، وقد تميزوا بقلة أعدادهم، وإن كان معهم بنو زنداك المغراويين، وإليهم كان مهرب صاحب الحمار فارا من الاعتقال[3].

### د. بنو واغمر

ويسمون غمرت أو واغمرت، كانوا من أوفر القبائل عددا، وقد ضربوا بسهم مع الخارجي أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني[4]، وأكلتهم حروبه، ثم اضطهدهم المنصور إسماعيل القائم (334-341هـ)[5]، بعد فشل ثورة صاحب الحمار، وأثخن فيهم، وكذلك

---

[1] ابن حزم، مصدر سابق، ص496

[2] خديجة الخديري – أحمد سراج، مرجع سابق، ص62.

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص69.

[4] أبو يزيد مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث اليفرني الزناتي، ولد بواركوا من جارية تدعى سبيكة وبتقيوس من عمل توزر ببلاد الجريد، خالط النكارية ومال إلى مذهبهم ورأس فيه، ثم لما اشتهر عنه الإنكار العلني على الحكام والولاة تطلبوه فهرب للمشرق، فقضى تفثه وانصرف لطرابلس متخفيا، ولما دهمه الطلب رجع لتوزر أين تم سجنه لمدة، ثم قصد الأوراس بصحبة أبي عمار الأعمى، ومنها دعى لثورته الكبرى. ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص18-19.

[5] المنصور، أبو طاهر إسماعيل بن القائم بن المهدي، العبيدي الباطني، صاحب المغرب، ولي بعد موت والده القائم في خضم محاصرة صاحب الحمار لهم بالمهدية فتصبر لهم حتى فكوا حصارهم، ولايزال يكابدهم حتى هزمهم وأسر عدوهم مخلدا، كان بطلا شجاعا مفوها فيه ديانة وعقل خلاف والده الزنديق. الذهبي، مصدر سابق، مج1، ص1123.

بلكين بن زيري، ومن بعده حماد بن بلكين ( 397-419هـ)[1]، فتشتتوا وتفرق جمعهم وتشردوا في صحراء الزاب، وصاروا من القبائل الغارمة، عدادهم ضمن الحلف البرغواطي[2].

### 1) نسبهم

يرجع نسبهم لزناتة البترية، من أبناء ورتناص بن ضري بن سقفو بن جندواذ بن يملا ابن مادغيس الأبتر، إخوة وجديجن أحفاد جانا بن يحيى[3].

### 2) موطنهم

جمهورهم جنوب صنهاجة فيما بين الدوسن ومشنت[4]، وقد اتخذوا من جبال المسيلة وطنا لهم، قبالة صنهاجة، بعد أن كاثروهم بنو هلال، وأخرجوهم من تلك الربوع[5].

### هـ. مطغرة

من أوفر شعوب فاتن بن تامصيت، ظاهروا البربر وكانوا خصاصين آهلين، وقد نشبوا في نشر الردة، وضروا بها، ولهم فيها مقامات، ثم كان لهم في الجواز للأندلس برسم الجهاد ذكر، واستقر منهم من استقر هناك، وما إن هبت ريح الخارجية؛ حتى نشروا شراع الصفرية،

---

(1) حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، مؤسس الدولة الحمادية بالقلعة وما إليها بالمغرب الأوسط، كانت أولى أعماله حين ولاه بديس بن المنصور صاحب إفريقية أعمال الجزائر الشرقية، وقاد الجيوش لقمع الثورات، فأظهر مقدرة حربية عظيمة أشعلت في نفسه الطموح لإنشاء دولة مستقلة، فأنشأ القلعة على سفح جبل عجيسة ببلاد كتامة سنة 398هـ. عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحالي**، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1980م، ص122.

(2) ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص68؛ بوزياني الدراجي، مرجع سابق، ج1، ص290؛ البكري، مصدر سابق، ص255.

(3) ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص68؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص495.

(4) مبارك الميلي، مصدر سابق، ج3، ص719.

(5) ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص68.

وأبحروا فيها مسهمين، وكان لزعيمهم ميسرة رياسة قومه، وقيادة جيوش الصفرية لمقارعة جيش الخلافة الأموية[1]، ثم شكلوا حاضنة للفكر البرغواطي، وكانوا يشكلون نواته مع القبائل الأخرى التي ذكرها البكري[2].

### 1) نسبهم

وتنطق مضغرة ومدغرة، ويُعرفون بالمداغر، هم من ولد فاتن بن تامصيت بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبتر، وإخوانهم كومية، مديونة، مغيلة، ملزوزة، كشانة، دونة، صدينة، مطماطة ولماية[3].

### 2) مواطنهم

امتدت مواطنهم بين الجبال الشاهقة والتلول الفسيحة، ومنها ما هو بين الواحات الغناء والقصور المنيفة، فنجد أن الجغرافيين وأهل النسب حصروا ديارهم في المغربين الأوسط والأقصى، بين فاس وتلمسان، وبالصحراء أمم من مطغرة هؤلاء لا يحصون عددا، مثل توات وسجلماسة وتمنطيت بمحاذاة بلاد الملثمين، وقد اشتغلوا بغراسة النخيل والعناية به كما هو الحال مع العرب، ولطائفة منهم مضارب بسفح جبل راشد، بينما نزح منهم جماعات أخرى غداة فتح الأندلس وسكنوها[4]، وقد أفاد الإدريسي بأن بطون من قبيلة مطغرة قد قطنت بالقرب من جبل ونشريس[5].

استقر من استقر من هذه القبيلة بمدينة ترنانا، وكانوا من أعدل البربر بها[6]، وأورد البكري أن من قبائل مطغرة طائفة منهم قطنوا بقلعة جرماط الواقعة على مرحلتين من فاس،

---

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص156.

(2) البكري، مصدر سابق، ص255.

(3) مبارك الميلي، مرجع سابق، ج3، ص732.

(4) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص157.

(5) الإدريسي، مصدر سابق، ص253.

(6) مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار،، ص135.

على الطريق الموصل لمدينة جراوة البربرية، والتي سكنها جمع كثير من البربر، وذكر منهم مطغرة هؤلاء، شكلت قبائل مطغرة حاضنة قوية للعقيدة البرغواطية[1].

**و. بنو دمر**

واسمه الغانا ولقبه دمر[2]، وكانوا في عداد الخوارج، من النكارية الإباضية، ذوي قوة ووفرة وعدد، وقاموا مع صاحب الحمار وأجاروه، وما لبثوا أن مال بنو برزال منهم للشيعة، وأذعنوا لطاعة جعفر بن علي بن حمدون[3] (364هـ/974م)، كما كانت لهم صولة وعز زمن دولة بني أمية في دورها الأخير، أين جاز الكثير من أعيانهم ورجالات الحرب من بطونهم للأندلس، أيام أخذهم بدعوة الحكم المستنصر الأموي[4](302-366هـ / 915 - 976 م)، ثم استظهرت بهم الدولة العامرية، وشيد بهم الحاجب المنصور[5] (327-392هـ/938-1002م) أركانها، كما قوى بهم المستعين[6] أديم دولته، والحموديون من

---

(1) البكري، مصدر سابق، ص ص255-256.

(2) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص498.

(3) جعفر بن علي بن أحمد بن حمدون المعروف بابن الأندلسي، أبو علي صاحب المسيلة وأمير الزاب، كان سمحا كثير العطاء مؤثرا لأهل العلم، وكانت بينه وبين زيري بن مناد محاسدة أفضت للاقتتال؛ مات فيها زيري وتملك بعده ابنه بلكين، وبعد أن استظهر بلكين هذا على جعفر بن علي انتقل هذا الأخير لبلاد الزاب ثم قطع المجاز للاندلس، وهناك قتل في سنة 364هـ. عادل نويهض، مرجع سابق، ص123.

(4) الحكم بن عبد الرحمن بن محمد، أمير المؤمنين بالأندلس، أبو العاص المستنصر بالله بن الناصر الأموي المرواني، بويع بعد أبيه في رمضان سنة خمسين وثلاث مائة، وكان حسن السيرة جامعا للعلم مكرما للأفاضل كبير القدر، وفي دولته همت الروم بأخذ مواضع من الثغور فقواها بالمال والجيوش وغزا بنفسه، مات بالفالج سنة ست وستين وثلاث مئة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج1، ص1529.

(5) ابن أبي عامر، الملك المنصور، حاجب الممالك الأندلسية، أبو عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر المعافري القحطاني، القائم بأعباء دولة هشام المؤيد بالله، كان بطلا شجاعا، حاكما، سائسا، غزاء، عالما، كثير الفتوحات، عالي الهمة عديم النظير، حكم نيفا وعشرين سنة، دانت له الجزيرة وأمنت به، توفي مبطونا في غزاة له بأقصى الثغور، ودفن بنحرهم سنة 393هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص3535.

(6) المستعين بالله، سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد الأموي المرواني، دانت له الأندلس سنة ثلاث وأربعمائة كما ذكرنا، جال بالبربر يفسد وينهب البلاد، ويعمل كل قبيح، ولا يبقي على أحد، فكان من =

بعده، فلما غالبوا العرب على جنوب الأندلس، وشبت الفتنة بينهم، وطال أمدها؛ تفرقت الكلمة، وشقت عصا الطاعة، وأفلت شمس الخلافة، وبادت أيامها، فانزوى آل دمر على بعض ولايات الأعمال، كمرور، وأركش، وقرمونة، وحصل بينهم وبين آل عباد وقائع وحروب غرب الأندلس، وانتهت هذه الخطوب بزوال ملك بني نوح الدمري، ودخول حواضره وقلاعه تحت حكم المعتمد بن عباد اللخمي[1] ( 431هـ-488هـ/1040م-1095م)[2].

## 1) نسبهم

بطن زناتي من ولد ورسيك بن الديرت بن جانا بن يحيى، ومن إخوانهم بنو مصرا بن زاكيا، ومغراوة، ومن بطونهم وأفخاذهم بنو واردیزن، وبنو وانتين، وبنو ورنيد، وبنو برزال، وبنو يزدرين، وبنو ورتانين وأبنائه، وبني عزرول، وبني تغورت[3].

## 2) مواطنهم

انتشرت مواطن بني دمر في بلاد المغرب بأقسامه الثلاثة، حيث أشار العديد من الجغرافيين إلى جبل دمر بإفريقية[4]، والذي تسكنه قبائل دمر الزناتية، وبطرابلس يوجد جبل دمر كذلك، وأما بالمغرب الأقصى فقطنوا قرب مدينة بني عطوش بين التاورة وبني زياد[5]، كما استوطنوا جبل سالات وما إليها من عمل المسيلة.

---

=

جملة جنده القاسم وعلي ابنا حمود بن ميمون العلوي، وكان المستعين أديبا شاعرا، عاش نيفا وخمسين سنة. نفسه، ج1، ص1904.

[1] صاحب الأندلس، المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن الملك المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن الظافر بالله أبي القاسم، قاضي إشبيلية ثم ملكها، محمد بن إسماعيل بن قريش اللخمي كان شهما، صارما، داهية، ذبح جماعة من أعوان أبيه وصادرهم، وعلا شأنه، ودانت له الأمم، قال ابن خلكان مولده كان في سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، ومات في شوال سنة ثمان وثمانين وأربع مائة مسجونا بأغمات من طرف أمير المسلمين يوسف بن تاشفين. نفسه، ج4، ص3468.

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص ص71-74.

[3] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص448؛ ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص71.

[4] ابن سعيد، مصدر سابق، ص144.

[5] الإدريسي، مصدر سابق، ص245.

**ز. مطماطة**

اسم أبيهم مصكاب وإنما مطماط لقب له[1]، كان لمطماطة دور مهم في تاريخ المغرب، فاعتنق بعضهم نحلة الخوارج، ومنهم من كان إباضيا منتحلا لمذهبه، ودخل منهم من دخل في خدمة الدولة العبيدية أيام وجودها بالمغرب، وبعد جلاء العبيديين عن المغرب واستخلاف بنو زيري؛ دخل هؤلاء في خدمة الزيريين، وظهر تأثيرهم في الحروب التي حصلت بين حماد بن بلكين وباديس بن المنصور.

**1) نسبهم**

قبيل بربري بتري من ولد فاتن بن تمزيت بن ضري[2]، كما ذكر سابق المطماطي وغيره من النسابة، إخوانهم مطغرة، ولماية، ونسلهم كله من ولده لوا بن مطماط، الذي خلف أربعة من الولد، فلم يخلف واحد منهم هو يليص، وخلف الثلاثة الباقون، ومنهم افترقت مطماطة كلها، وبطونهم كثيرة منها مصمود، ويونس، ويفرين أبناء ورماس بن لوا، وكلدام، وسيده، وقيدار أبناء وريكول، خلف هذا الأخير خمسة من الولد معروفون ببني وصطلودة، سموا بأمهم، بينما خلف مبلاغر أو يلاغف بن لوا بن مطماط؛ دحيا، وتاينة[3].

**2) مواطنهم**

تفرقوا في المواطن، وقطنوا أقطار المغرب الإسلامي الثلاث، فبالمغرب الأقصى بنواحي فاس من قبلتها، في جبل هناك معروف بهم، ما بين فاس وصفروي وادي ملوية، وأما بإفريقية فكان موطنهم بجهات قابس والبلد المختط على العين الحامية من جهة غربها،

---

[1] بوزياني الدراجي، مرجع سابق، ج1، ص196.

[2] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص496.

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص ص161-162.

وبالمغرب الأوسط كان سوادهم، فاستقروا بتاهرت إلى جنب لماية قرب جبل كزول وبتلول منداس عند جبل الونشريس[1].

## 2. الحاضنة الإثنية، نسبها وبطونها

وأما القسم الثاني من القبائل البربرية التي ذكرها البكري، والتي شكلت الحلف القبلي والحاضنة الإثنية لإمارة بني صالح، فإنها كانت خليطا من البطون البترية والبرنسية، وشكلت نواة إمارة بني صالح والحلف الداعم للبرغواطية، رغم أنها قبائل مسلمة؛ إلا أنها آثرت السلام والموادعة؛ طالما أنها مجاورة لبقية القبائل البربرية المعتنقة لديانة بني صالح.

### أ. زناتة الجبل

تنطق بفتح الزاي والنون وقبل الهاء تاء معجمة باثنين من فوقها[2]، وقد حقق ابن خلدون في نطق تسمية "زناتة" تحقيقا شيقا مسهبا فيه، مقررا أن أصل هذه اللفظة من صيغة جانا، وهي اسم لأصل الجيل بأكمله، والذي هو جانا بن يحيى المذكور في نسبهم، وهم إذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصارت جاناتن، ونطقهم بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب، بل ينطقون بها بين الجيم والشين وأميل إلى السين، ويقرب للسمع منها بعض الصفير، فأبدلوها زايا لاتصال مخرجي السين والزاي، فصارت زانات، لفظا مفردا يدل على الجنس، ملحقين به هاء النسبة مع حذف الألف التي بعد الزاي تخفيفا[3].

---

[1] ابن الصغير المالكي، **أخبار الأئمة الرستميين**، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، د.ط، 1985م، ص55؛ ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص161؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، مصدر سابق، ص193.

[2] السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد، **الأنساب**، دائرة المعارف العثمانية، تح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط1، حيدر آباد، 1977م، ج6، ص322.

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص ص10-11.

**1) نسبهم**

يرجع نسل قبائل زناتة من ولد شانا بن يحيى بن صولات بن ورتناك بن ضري ابن سقفو بن جنذواذ بن يملا بن مادغيس الأبتر، حسبما حققه ابن حزم في "الجمهرة"، نقلا عن كبار نسابة البربر، كيوسف الوراق، وأيوب بن أبي يزيد[1]، ونقل ابن خلدون عن ابن قتيبة أن نسب زناتة ينتهي لجالوت، وأما إخوانهم فثلاثة، هم ورسيك والديدت وفرني[2]، ومن هؤلاء تناسلت قبائل زناتة وانتشرت في أقطار المغرب الثلاثة.

**2) مواطنهم**

استوطنت قبائل زناتة أقطار المغرب الثلاثة من بلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الأقصى، ومنهم أقوام بالتلول بجبال طرابلس وضواحي إفريقية، وبجبال الأوراس أوزاع جاوروا العرب الهلالية، وسوادهم الأعظم ببلاد المغرب الأوسط، حتى عرف بهم فيقال وطن زناتة[3]، وبالمغرب الأقصى أمم من زناتة سكنوا القسم الشرقي من المغرب الأقصى، ومنهم بطون قطنوا جبل تازة وبه عرفوا[4].

**ب. نمالتة**

جاء ذكر هذه القبيلة عند ابن حوقل في معرض وصفه للطريق بين فاس وتنس، وذكر مدينة تحمل اسم نمالتة، وجعلها بين فاس وتلمسان وبين موقعها على خريطة له[5]، ورجح

---

(1) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص495.

(2) ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص7.

(3) ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص3.

(4) عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص311.

(5) ابن حوقل، مصدر سابق، ص ص65-68.

مارسي وباسيت أنها مدينة مغنية[1] الواقعة قرب الحدود المغربية الجزائرية، وقد اتخذ منها بنو سليمان إمارة لهم ضمن الإمارات العلوية المتناثرة ببلاد المغرب الأوسط، بعد فرار سليمان بن عبد الله[2] من المشرق إثر هزيمتهم في معركة فخ الشهيرة عام 145هـ.

### 1) نسبهم

هم أبناء فرني بن جانا بن يحيى وهو زناتة، وقد خلف زناتة وورسيك والديدت وفرني، وخلف فرني يزمرتن، ورجلة، منجصة، ونمالة، وزاد بعض النسابة برمختا، مرموشا، وسبرتيرة، وبعضهم جعل وركلا ابناً لنمالة، ولعله وهْمٌ منهم، إذ أن كبار نسابة البربر يجعلون وركلا اخاً لنمالة بن فرني، وهو الذي عليه ابن حزم وابن خلدون[3].

### 2) موطنهم

كانت لهم مدينة تحويهم كما ذكر ابن حوقل واليعقوبي، وقد رجحوا أن تكون هي مدينة مغنية الحالية على الوصف الذي أورده الجغرافيون آنفا، ولا يستبعد دخولهم لوطن برغواطة وانضوائهم تحت حلف القبائل المسلمة المتحالفة مع بني صالح، كما جاء عند البكري، من رواية زمور[4].

---

[1] محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1995م، ص646؛ كروم عيسى، **تلمسان إمارة سليمانية**، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة قسنطينة، مج 06، عدد 03، ص1003.

[2] اليعقوبي، أحمد ابن أبي يعقوب بن واضح، **كتاب البلدان**، المكتبة المرتضية، النجف، د.ط، 1918م، ص114.

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص69؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص496؛ بوزياني الدراجي، مرجع سابق، ج1، ص291.

[4] ابن حوقل، مصدر سابق، ص68؛ اليعقوبي، مصدر سابق، ص114؛ البكري، مصدر سابق، ص255.

### ج. بنو يفرن

بطن زناتي من ولد ورسيك بن الديرت، وتعني في رطانة زناتة الغار أو الكهف[1]، كدلالة على أنهم اتخذوها سكنا لهم في القدم، وهم من أوسع البربر بطونا، سبقوا لاعتناق الإسلام على غرار أغلب بطون زناتة المعروفة، حيث كان لهم الفضل في نشر الإسلام والجهاد في سبيل ذلك، ثم لما اضطرمت نار الثورة ببلاد المغرب، وهبت ريح الخوارج أسهموا فيها وأججوا نارها وكانوا وقودها وقوادها والقائمين عليها[2]، فبرز منهم من برز من زعماء يفرن الصفرية، كأبي قرة اليفرني المغيلي وأبي يزيد مخلد بن كيداد.

#### 1) نسبهم

المتفق عليه أنهم ينتهون إلى جانا بن يحيى الذي هو زناتة واختلف النسابة لأي من أولاد جانا ينسبون، وقد ساق ابن خلدون هذا الخلاف في نسبهم، ذاكرا أن من النسابة من جعل يفرن هو ابن ورنيد بن جانا؛ وعليه فيكون إخوته مغراو وغمرت ووجديجن، ومنهم من قال أنه ابن مرة بن ورسيك، أو أنه ابنٌ مباشر لجانا بن يحيى[3]، والأصح ما حققه ابن حزم في "الجمهرة" من أنهم ينسبون ليصلتين بن مسرا[4] بن زكيا بن ورسيك بن الديرتبن جانا بن يحيى، وإخوانهم مغراو، واسين، غمرت، وجديجن، وبنو يرنيان، وشعوبهم كثيرة متعددة، لعل أهمها بنو وركوا ومرنجيصة[5].

---

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص15.

(2) بوزياني الدراجي، مرجع سابق، ج1، ص264.

(3) ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص15.

(4) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص498.

(5) ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص15.

**2) مواطنهم**

كانت مواطن بني يفرن بأقطار المغرب الثلاثة، وإن كان سوادهم الأعظم بالمغرب الأوسط، خاصة بجبال الأوراس[1] وبلاد الزاب، كما اتخذوا من الجنوب الوهراني بمحاذات زناتة وطنا لهم وقطنت طوائف منهم بالجريد التونسي[2].

وفي أول مقدم العرب أيام الفتح الإسلامي دخلوا في حلف الكاهنة المناوئة لجيوش الإسلام، حتى إذا قضى عليها حسان بن النعمان الغساني[3] (73-80هـ/692-699م)، وهزم من معها من جحافل جراوة وبني يفرن، واستحكمت تعاليم الإسلام في نفوس البربر، ظهرت بعد أمد تعاليم الخوارج، مما عجل بخروج زعماء الصفرية، فعاد بنو يفرن هؤلاء للظهور من جديد، وشكلوا إمارات ذات توجه خارجي، كإمارة بني يفرن بتلمسان بالمغرب الأوسط، بزعامة أبي قرة، وإمارتي يعلى بن محمد بإيفكان، وبدوي بن يعلى بسلا في بلاد المغرب الأقصى[4].

**د. أصادة**

بطن مصمودي أشار إليه البكري في مواضع كثيرة من كتابه، خاصة عندما وصف كورة طنجة، والطريق الرابط بين طنجة وفاس، وجاء ذكر هذه القبيلة عند ابن خلدون كتحالف قبلي يعتنق البرغواطية ببلد تامسنا[5]، وقد ذكر البكري "أصادة" ضمن البطون الأربعة الكبيرة المكونة لقبائل مصمودة البرنسية، وهي دغاغ، أصادة، بنو صمغرة، وكتامة،

---

(1) بوزياني الدراجي، مرجع سابق، ج1، ص264.

(2) أحمد جاسم محيميد، **قبيلة زناتة وأثرها في حركة الخوارج في المغرب العربي**، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع 23،2015، ص320.

(3) حسان بن النعمان بن المنذر الغساني، من ملوك العرب، ولي المغرب فهذبه وعَمَره، كان بطلا شجاعا، مجاهدا لبيبا، ميمون النقيبة، كبير القدر، وجهه معاوية في سنة سبع وخمسين فصالح البربر، ورتب عليهم الخراج، وانعمرت البلاد، وله غزوات مشهودة بعد قتل الكاهنة، فلما استخلف الوليد عزله. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص1386.

(4) بوزياني الدراجي، مرجع سابق، ج1، ص264.

(5) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص278.

كما أشار لمدينة تحمل اسم أصادة، تقع على مقربة ستة أميال من مدينة يجاجين، بها آثار للأول، وجنات من الأعناب والكروم والأشجار[1].

لقد تطرق البكري[2] لذكر بعض البطون البربرية، التي كانت تشكل الحاضنة العقدية أو الإثنية لإمارة برغواطة، والتي تعسر معرفة نسبها ومواطنها، إذ أنها لم ترد في أغلب كتابات أهل النسب، ومن هذه البطون البربرية التي جاء ذكرها في رواية زمور عند البكري، بنو أبي نوح فقد ألحقهما الباحثان –خديجة الخديري وأحمد سراج– بقبائل منجصة، حسب ابن عبد الحليم، كما هو في سياقه[3]، وأما بنو يليت الذين جاء ذكرهم في عداد القبائل المسلمة والمتحالفة مع برغواطة، فقد جعلهم ابن خلدون ضمن بطون مغراوة البترية، وليس كما ادعى البعض أنها من قبائل مطغرة[4].

وأما بنو واوسينت فأرى أن البكري قصد بهم بنو واسين، الذين ينسبون لبني يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسين بن الديرت بن جانا بن يحيى، إخوة مغراوة وبنو يفرن وبنو يرنان، فقد تكون تسميتهم تعرضت للتصحيف على غرار باقي البطون البربرية، وسبب هذا التأويل اعتبارات؛ لعل أهمها سكناهم بجانب المصامدة، فيما بين ملوية ومكناسة[5]، بمحاذات وطن برغواطة، بعد انحياشهم أمام كتامة وصنهاجة نهاية القرن الثالث للهجرة، فمرجح أنهم ربما دخلوا في الحلف البرغواطي المذكور[6]، وأما بقية البطون التي ورد ذكرها عند البكري من رواية زمور؛ وهي: بنو أبي ناصر، بنو بورغ، بنو زكسينت، بنو تاغيت، بنو النعمان، بنو أفلوسة، بنو كونة، بنو يسكر، ركانة، ايزمين، منادة، ماسينة، رسانة، وترارتة.

---

[1] البكري، مصدر سابق، ص ص208–224.

[2] نفسه، ص 255.

[3] خديجة الخديري – أحمد سراج، مرجع سابق، ص62.

[4] ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص ص33–116

[5] البكري، مصدر سابق، ص255.

[6] ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص83.

كلها إما معتنقة للمعتقد البرغواطي؛ أو قبائل مسلمة متحالفة مع البرغواطيين، فإن نسبها يبقى مجهولا، إذ لم ترد في أي من المصادر التاريخية، أو مصنفات علماء النسب.

- **استخلاص**

كان سهل تامسنا وطنا لقبائل برغواطة، حيث أقاموا عليه إمارتهم، وكانت حدود هذه الإمارة تتغير حسب الظروف السياسية والعسكرية السائدة، ورغم الطابع الفلاحي والرعوي للإقليم المذكور؛ إلا أنه كان إقليما اقتصاديا وتجاريا نشطا؛ بما توفر عليه من تنوع جغرافي، تمثل في السهول الساحلية الفسيحة الواسعة، والتي تميزت بخصوبة تربتها الرملية، وانبساط أراضيها الفيضية، مثل سهل سلا، وسهل سبو، وسهل دَكّالة، والسهول الداخلية المرتفعة الباردة والضيقة نسبيا الواقعة وسط الجبال، مثل سهل الحوز، وسهل تادلة وسهل الشاوية.

تميز وطن برغواطة بكثرة الأنهار؛ مما جعل منه إقليما غنيا بالمياه الصالحة للشرب والسقي، كنهر أم الربيع، ونهر تانسيفت، ونهر أبي الرقراق، وقد تميزت غالب هذه الأنهار بجريانها على مدار السنة، فاتخذوا عليها مرافئ مهمة للملاحة وصيد السمك، ومن ثم تصديره للأندلس وبقية ممالك البحر الأبيض، كما استحدثوا على بعضها سدودا، كان لها أثر كبير في انتعاش الفلاحة وتنوع محاصيلها، مثل الحبوب كالقمح والشعير، وغراسة الأشجار المثمرة بكل أنواعها، ناهيك عن امتهانهم لتربية الحيوانات الأليفة ورعيها من أجل الانتفاع بلحومها وألبانها وجلودها، ومنها ما يُنتفع بركوبها واتخاذها للحراثة وجني المحاصيل الزراعية وحصادها، دون أن ننسى اهتمامهم بنتاجها وتكاثرها بغرض المتاجرة فيها وتصديرها.

وأما النشاط التجاري الداخلي بإقليم تامسنا فهو أشهر من أن يذكر، والدليل على ذلك ما ذكره ابن حوقل من أن القبائل المجاورة كانت تصل البرغواطيين بالتجارة، والإشارات على وجود نشاط تجاري بالمنطقة كثيرة، كذكرهم لوجود الأسواق وتنظيمها، مثل سوق مكول، سلا، والنخيلة، الذي كانت تجلب إليه السلع كالحبوب والسمن والعسل، ويشد إليه الرحال من القبائل المجاورة، كذلك الحال بالنسبة للتجارة الخارجية مع دول الحوض المتوسطي، والممالك الإفريقية، وذلك لاتصال البر بوطن السودان، وتوفره على شبكة من الأنهار

الصالحة للملاحة، ووجود المرافئ والموانئ المتناثرة على طول الساحل الأطلسي، مما سهل عملية التصدير والاستيراد؛ وبالتالي فك العزلة على إمارة برغواطة.

تميز هذا الإقليم بكثرة مدنه وحواضره إبان حكم بني طريف، فرغم صمت المصادر عن سرد تفاصيل مدنهم وقصورهم وقلاعهم؛ بسبب الخراب الذي طال المنطقة؛ إلا أن آثارهم الباقية والتي تناقل وصفها أهل الجغرافية من الرحالة والإخباريين، فقدرها أهل الاختصاص أنها تناهز الثلاثمائة وستين مدينة وحصن، مما يدل على تعمير الوطن البرغواطي منذ أحقاب التاريخ المتوارية، بينما سلم القليل من هذه المدائن والقلاع التي بقيت شامخة في وجه الغزاة الفاتحين، الذين ما فتئوا يرددون الغارات والحروب؛ لحصارهم؛ والقضاء على مقاومتهم؛ ونحلتهم؛ واستغلال الثروات التي زخر بها وطنهم.

سكنت قبائل برغواطة إقليم تامسنا، وبه نشرت مذهبها المحدث، وقد اختلف علماء النسب في نسبهم، فمن قائل أنهم مصامدة، وأخرين قالوا بزناتية برغواطة، بينما راح فريق آخر من الباحثين يُسوّق لفكرة أنهم من أصول مختلفة، وأنهم أجذام من قبائل كثيرة، وليسوا أبناء لأب واحد، أَوتْ إلى ذلك الإقليم وبايعوا طريفاً أميرا عليهم، وجمعهم إيمانهم بما دعاهم إليه آل صالح بن طريف من ادعائه النبوة، وممارسته للكهانة، مستغلين ضعف حكم بني أمية، وذلك عقب الأحداث الكبرى التي حصلت ببلاد المغرب، بعد مقتل عاملهم على طنجة، عمر بن عبد الله المرادي، وقد انقسمت هاته القبائل لقسمين، منها من اعتنق المذهب البرغواطي ونافح عنه وجعله دينا يقاتل عليه، مثل بطون قبائل جراوة، زواغة، منجصة ومطماطة، بينما جاورتهم قبائل مسلمة حليفة لآل صالح بن طريف البرغواطي، تقاتل من قاتلوا وتسالم من سالموا؛ وذلك بحكم الموطن والجوار، لا بحكم الدم والملة، ومن هذه القبائل نمالتة، أصادة، زناتة الجبل، وبعض بطون بني يفرن.

# الفصل 3:

## البعد الديني والعقائدي لإمارة برغواطة

وفيه:

- ديانة قبائل برغواطة قبل الإسلام
- إسلام قبائل برغواطة
- تأثيرات العقيدة البرغواطية

## I. ديانة قبائل برغواطة قبل الإسلام

لقد اعتنق البرغواطيون على غرار قبائل البربر قبل مجيء الإسلام ديانات مختلفة، تراوحت بين الوثنية بمختلف معبوداتها، والديانات السماوية المتمثلة في اليهودية والنصرانية، وهذا في مختلف أقاليم المغرب ، وحصل ذلك بسبب الاحتكاك الذي كان بين قبائل البربر وبين الشعوب الوافدة من الشرق والغرب، باعتبار أن بلاد المغرب كانت ولاتزال تستقطب الهجرات البشرية على مدار عقود التاريخ المتوارية، فكان لهم تأثر بالغ بالديانات القديمة مثل ديانة الفينيقيين والرومان والمصريين والفرس والإغريق[1].

- **تعريف الديانة**

**لغة:** وضع علماء اللغة تعاريف كثيرة لـ"الدين"، كما أورد ابن فارس في معجمه: "الدال والياء والنون أصل واحد إليه ترجع فروعه كلها. وهو جنس من الانقياد والذل. فالدين: الطاعة، يقال: دان له يدين دينا، إذا أصحب وانقاد وطاع. وقوم دين، أي مطيعون منقادون"[2]، وعند ابن منظور "الجزاء في قول العرب: "كما تدين تدان" أي تجازى، ويوم الدين هو يوم الجزاء" وفي حديث أبي طالب قال له النبي ﷺ: "أريد من قريش كلمة تدين لهم بها العرب" أي تطيع وتخضع لهم"[3].

**اصطلاحا:** اختلف العلماء على مختلف تخصصاتهم في تعريفاتهم للدين كل من زاويته، فجاءت نظراتهم متفاوتة وتعاريفهم مختلفة، فيرى فريق من الفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع أن الدين هو رابطة تربط الإنسان بخالقه في إطار ممارسة طقوس مقدسة، تأليفا

---

(1) مصطفى أعشي، **أحاديث هيردوت عن الليبيين**، مطبعة المعارف الجديدة، د.ط، الرباط، 2009م، ص68.

(2) ابن فارس، مصدر سابق، ج2، ص319.

(3) هود محمد منصور قباص أبو راس، **الخطاب القرآني لأهل الكتاب وموقفهم منه قديما وحديثا**، أطروحة دكتوراه، إش ذو الكفل الحاج محمد يوسف، أكاديمية الدراسات الإسلامية – جامعة كوالا لمبور – ماليزيا، 2011م، ص83.

بين قلوب معتنقيها جميعا في إطار اتحادي يسمى ملة، وذهب فريق آخر للتركيز على الجانب السلوكي والتعبدي للدين تفسيرا لعلاقة العبد بالمعبود[1].

ويرى علماء الشريعة أن الدين هو الشرع الإلهي المتلقى عن طريق الوحي، ويرجع معناه للطاعة والانقياد والخضوع والذل، إلا أن هذا التعريف أضيق بكثير مما ذهب إليه الفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع، وهو خاص بالأديان السماوية، رغم أن الراجح هو أن كل ما يتخذه البشر ويتعبدون به فهو دين لهم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: 6]، ولقد جاءت مفاهيمهم متباينة مختلفة اختلاف مشاربهم، ونظرة كل طائفة منهم لمفهوم الدين على حدى. لقد قسم أهل العلم الأديان باعتبار المعبود إلى أديان تدعوا إلى التوحيد، وهو عبادة الله وحده ونبذ ما سواه من المعبودات، وأولها الإسلام ثم اليهودية فالنصرانية والتي واقَعها التحريف والتبديل، وأديان شركية تدعوا لعبادة غير الله تعالى، مثل الهندوسية والمجوسية والبوذية، وغيرها من الملل الشركية المحدثة، وأما تقسيم الدين من حيث المصدر –الذي يهمنا– فإنهم جعلوه قسمين اثنين:

### 1. القسم الأول: الديانات الأرضية

**الديانات الأرضية:** وهي سائر الديانات الشركية المحدثة ومنها:

#### أ. عبادة الأوثان

يقول ابن منظور "الوثن والواثن المقيم الراكد الثابت الدائم، والوثن الصنم ما كان، وقال أن الوثن ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة، كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد[2].

---

[1] خلفة عبد الرحمن، **الديانة الوثنية المغاربية القديمة منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146 ق.م**، رسالة ماجيستر، إش غانم محمد الصغير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة قسنطينة، 2008م، ص21؛ ألفرد بيل، مرجع سابق، ص55.

[2] ابن منظور، مصدر سابق، ج13، ص ص442–443.

نما لدى الليبيين الشعور الديني الذي تسرب إليهم في شيء من الغموض، فنصبوا إذ ذاك في بعض الأماكن صخورا عظيمة يعبدونها من دون الله، كالتي تشاهد اليوم في بني يزناسن وناحية بني مطير[1]، وكان أول ما عبده البربر؛ الظواهر الطبيعية بمختلف أنواعها، شأنهم شأن أهل الجاهلية قاطبة، ثم سرى إليهم الاعتقاد في الروحانيات، فاعتقدوا في الأحجار والأشجار واتخذوا لها الأصنام وبذلوا لها الطاعات وقدموا لها القرابين[2]، من أجل قضاء حوائجهم وحماية مزارعهم ومواشيهم[3]، كما عظموا البحر وهابوا ركوبه، بل اتخذوا له إله وعبدوه، وقدموا له القرابين خوفا وفزعا من الغرق والتيه وسط البحار المترامية[4].

عبدوا كذلك بوسيدون الإله الفينيقي المنصوب فوق رأس صولوبيس بالقرب من آسفي، واعتبروا المكان مقدسا، وقد استمر المغاربة في تقديس المكان، حيث اتخذوا القباب ومزارات رجال السواحل، وقدموا لهم القرابين ومِقداراً مما أصابت أيديهم من الصيد، وهذا لغاية القرن العشرين في هذه المنطقة التي كانت من ضمن مجال برغواطة، وهذا مثبت من خلال الكتابات التي دونها بوليبيوس[5] وغيره، ورغم محاولة دوتي إقناعنا أنها إشارات غير كافية ولا تسمح بإعطاء نظرة صادقة عن هذه المعتقدات وتلك الآلهة[6]، إلا أن برينو بين أن

---

(1) محمد محي الدين المشرفي، **إفريقيا الشمالية في العصر القديم**، دار الكتب العربية، ط4، لبنان، 1969م، ص22.

(2) ستيفيان كزيل، **تاريخ شمال إفريقيا القديم**، تر محمد التازي سعود، أكاديمية المملكة المغربية، د.ط، الرباط، 2007م، ج1، ص209.

(3) إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، د.ط، الدار البيضاء، 2000م، ج1، ص16.

(4) مصطفى غطيس، **المغاربة والبحر خلال العصور القديمة**، مجلة كان التاريخية، مؤسسة كان للدراسة والترجمة والنشر، مصر، عدد 12، 2011م، ص78.

(5) بوليبيوس؛ مؤرخ هيلسنتي من أعظم مؤرخي العالم القديم بعد هيرودوت وتوكيديتس، ولد بمدينة ميغابوليس - جنوب بلاد اليونان- ما بين 210–200 ق.م، تلقى تربية راقية، وقد كان قريبا جدا من القصر في روما، خاصة بعد أسره غداة معركة بودنا الشهيرة، وقد ساعد ذلك في اكتسابه لتكوين مرموق، سنحت له الفرصة في زيارة إسبانيا وإفريقية، ويتكلم اللاتينية إلى جانب لغته الأم اليونانية، له إنتاج فكري متنوع. قادري حدة، **بوليبوس مؤرخ الحروب البونية**، المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية، جامعة باتنة، عدد 01، مج 02، 2020م، ص136– 140؛ مراد ريغي، **بوليبوس وتاريخ المغرب القديم**، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، عدد 02، مج 05، 2021م، ص156.

(6) DOUTTE edmond, **Magie et religion dans l'Afrique du Nord**, typographie adolph jourdan, Alger, 1909, p14.

البحر كان يُعبد خوفا منه وفرقا[1]، وبقيت آثار هذه الخشية في سلوكيات الأهالي لحد اليوم، كالحلف بالبحر والخشية من الغرق لمن ركبه، وهو قد خان زوجته وأنه لا يرضى أن يَعبد أحد من مرتاديه غيره؛ وإلا هاج وأغرقهم.

لقد خلف هيرودوت[2] والقديس أوغستين[3] كتابات أثرية، والتي لا تزال شاهدة على عبادة البربر للطبيعة بمختلف مكوناتها، وهناك وثائق رومانية كذلك تشير لظاهرة العبادات الإحيائية بوضوح، كعبادة المياه والشجر والجبال[4]. فاتخذوا لهذه الأشياء آلهة وكان مما عظمته البربر الكهوف والمغارات، وجعلتها محط تقدير، وربما اتخذوا لها أصناماً وجعلوا منها أماكن للتعبد على أقل تقدير[5]، ولقد ثبت أن قبائل البربر كانت تتأثر بآلهة اليونان والرومان ومصر الفرعونية، وهذا نجده في الدراسات الأثرية التي بينت بجلاء تعظيم معبوداتهم كالرَّبَّة المصرية "إيزيس"، حيث حرموا أكل لحم البقر وتربية الخنازير، وهو ما

---

(1) RUNOT louis, **La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et Salé**, éditions Ernest Leroux, paris, 1920, p1- 6.

(2) هيرودوت، مؤرخ ورحالة يوناني قديم يكنى بأبي التاريخ، ولد على الأرجح بين 490 و480 ق.م في بلدة هاليكارناسوس، في عائلة ميسورة محبة للعلم والشعر تتعاطى السياسة، طاف المعمورة شرقا وغربا وزار بلاد العرب ووصف أحولهم وأخلاقهم وأنفتهم، كان له فضل كبير في نشر صورة مشرقة عن الوطن العربي، ترك تاريخا حافلا ومدونة تحفظ مآثر البشر. هيرودوت، **تاريخ هيردوت**، تر أحمد الملاح، مر أحمد السقاف وأحمد بن سراي، المجمع الثقافي، د.ط، أبو ظبي، 2001م، ص ص8–20؛ حدة قادري – مليكة منصورية، **القبيلة في المجتمع المغاربي القديم**، مجلة تطوير، جامعة الجلفة، ع 02، مج 09، 2022م، ص ص202–203.

(3) أوريليوس أوغيستنيوس (354م–430م)، فيلسوف معروف ورجل دين مشهور في المسيحية، ولد في طاجسطا من أعمال نوميديا –سوق اهراس حاليا–، من أب وثني وأم مسيحية، نشأ على حب المسيح والتضلع في معرفة اللاتينية، انتقل لقرطاج وافتتح مدرسة لتعليم البيان، واعتنق المانوية ثم انتقل إلى روما وأنشأ فيها مدرسة كذلك، وانتقل لميلانو بعدها كأستاذ للبيان، وكان له تأثر بالقديس أمبروزا مما أثر على توجهه المانوي. إلياس بن عبد الله دكار، **"أوغسطين تاغست": الفيلسوف اللاهوتي صاحب التأثير العالمي**، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المركز الجامعي تندوف، ع 09، مج 50، ص33؛ يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط**، مؤسسة هنداوي، د.ط، المملكة المتحدة، 2017م، ص ص25–26.

(4) ستيفيان كزيل، مرجع سابق، ج1، ص205.

(5) روني باسيي، **أبحاث في دين الأمازيغ**، تر وتق حمو بوشخار، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الرباط، 2012م، ص ص34–35.

فعله الليبيون، واعتبر نساءهم أن أكله خطيئة كبرى؛ احتراما للصنم المصري "إيزيس" الذي عبدنه وأكرمنه بالصيام والاحتفالات[1].

لقد بقيت مثل هذه الترسبات الوثنية عند البرغواطيين في تعظيمهم للحيوانات، كالديكة التي حرموا ذبحها بدعوى أنها توقظهم للصلاة بصياحها صباحا، وتحريم أكل البيض تبعا لذلك، واستمرت هذه الممارسات في المجتمع المغربي الحديث لعهد قريب جدا، خاصة في مناطق الشاوية، أين كانت تقطن قبائل برغواطة، حيث يدفن الساكنة عظام الديك ويحرمون أكل رأس كل بهيمة تعظيما لشأنها[2]، ومن الطقوس الوثنية التي ورثها البربر من الأمم الغابرة؛ الاستسقاء وطلب المطر، وذلك باللجوء للأصنام والطواف حول أضرحة المقبورين، حاملين أصنامهم الخشبية مع تقديم القربات للمقبورين، مرددين أشعاراً كلها استغاثات شركية، ولا فرق بين أقطار المغرب في ذلك[3].

والمطلع على ما رواه البكري في روايته الثانية عن أبي العباس فضل بن مفضل بن عمرو المذحجي[4]، يدرك جازما أن تأثير معبودات قدماء اليونان والرومان تلقي بظلالها على الديانة البرغواطية بكل وضوح، خاصة فيما تعلق منها بمعبودهم الذي أطلقوا عليه اسم "ياكش" وهو ما أشار إليه العديد من المؤرخين المسلمين وبعض المستشرقين، حيث يذكر سعيد بوليفا وروني باصيي أن باكس –الذي نرجح أنه ياكش وياكوش– هو المعبود الأكثر شهرة، الذي تمت الإشارة إليه في النقوش الموجودة بكهوف قالمة وباتنة وبمغارة بومرزوك قريبا من سلا القديمة[5]، التي تعتبر موطنا واحدا فاصلا بين

---

(1) مصطفى أعشي، مصدر سابق، ص68.

(2) ألفرد بيل، مصدر سابق، ص178.

(3) سمير آيت أومغار، **طقوس الاستمطار في الجزائر نماذج من مطلع القرن العشرين**، مجلة الثقافة الشعبية، سلطنة عمان، ع 41، 2018م، ص110.

(4) البكري، مصدر سابق، ص ص251–255.

(5) روني باسيي، مرجع سابق، ص ص36–40.

سكنى المسلمين والبرغواطيين، بل ورباطا اتخذه بنو المدرار لغزوهم[1]، وهذا الرأي عندي أصوب مما ذهب إليه العبيدي، لأنه مدعم بالأدلة من أقوال مؤرخي الحقبة القديمة، حيث يقول هيرودوت كما في الفقرة خمسون: "لقد جاءت أسماء الأرباب كلها تقريبا من مصر إلى اليونان، وأمَّا أن هذه الأسماء قد جاءتنا بالفعل من الخارج؛ فهذه القضية وصلتُ إلى معرفتها أثناء بحثي، باستثناء اسمي "بوسيدون" و"الدير سكوري"."[2].

وهذا الذي أكده غالبية المؤرخين، حيث يقول مصطفى أعشى: "هذا ولم يحذ المغاربة حذو القرطاجيين في الشؤون المادية والاقتصادية فحسب، بل اقتفوا آثارهم في سائر الميادين الأخرى، فأخذوا عنهم ما كانوا يتحلون به من أخلاق وقلدوهم حتى في وثنيتهم ..."[3]، وربما يقول قائل؛ إن موطن قبائل برغواطة كان بعيدا عن هذا التأثر الذي حصل بسبب امتزاج ثقافة البربر بالفينيقيين المقيمين أول أمرهم بقرطاج التونسية، فنقول أن المتأمل لما كتبه القائد والبحار القرطاجي حانون أثناء رحلته الطويلة باتجاه السواحل الأطلسية بالمغرب الأقصى، –من أجل تأسيس العديد من المراكز التجارية الاستطانية– يفهم جليا حقيقة التأثير الكبير للديانة الوثنية الفينيقية، وذلك من خلال بناء القائد حانون لمعبد الإله "بوسيدون" بالقرب من مدينة آسفي الحالية "كاركون تايكوس"، والتي كانت من أهم حواضر إمارة برغواطة البربرية، بل حتى عاصمتهم سلا "أرامبيس" تم بناؤها واستحداثها من خلال هذه الرحلة الاستكشافية، وبنوا معبد لبوليبول بها، وكذا استحداث مدينة تمارة "ثيمياتيريون"[4] الواقعة في قلب إقليم تامسنا الفسيح.

---

[1] ابن حوقل، مصدر سابق، ص82.

[2] مصطفى أعشى، مصدر سابق، ص30.

[3] نفسه، ص46.

[4] عبد المنعم محجوب، **رحلة حنون والطواف حول الأرجاء الليبية وراء أعمدة هرقل**، دار تانيت، طرابلس، ط2016،2م، ص56؛ نجوى راشي، **تاريخ شمال إفريقيا من خلال أدب الرحلات دراسة تاريخية في رحلة حنون القرطاجي**، مجلة دراسات تاريخية، جامعة محمد الأمين دباغين سطيف2، ع الأول، مج العاشر، 2022م، ص30؛ أحمد توفيق المدني، **قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، 1986م، ص38.

لقد شكلت هذه المعتقدات مجتمعة نظرة المجتمع البربري للدين، وكيف سرى فيهم دين الوثنية بسبب احتكاكهم بالشعوب المجاورة والغازية، مما أضفى على ديانتهم التنوع وتعدد الآلهة، شأنهم شأن الفينيقيين والإغريق، ولا يعتبر هذا تطورا صرفا لديانة بربرية خاصة، ويرتبط وجود الطقوس الدينية بوجود العنصر البشري، حيث تتشكل المعتقدات الدينية بالتدريج والمحاكاة، ومن ثم فإن وجود بعض المظاهر الوثنية المرتبطة بالتعلق بأشخاص اعتُقد فيهم الصلاح والنبوة، واتُّخذ لهم القباب وشُيدت لهم المزارات، تندرج ضمن التأثر الحاصل بين الأديان الوثنية لمختلف المجتمعات المتعاقبة في حقب تاريخية معينة.

ثم إن الأساس الذي تقوم عليه فكرة استمرارية "البقايا الوثنية" في الممارسة ببرغواطة الدينية؛ يهدف إلى ربط الطقوس الدينية الشعبية المنتشرة في المجتمع البرغواطي برواسب وثنية دخيلة، ما دام أن الاستقرار الإنساني بمنطقة الريف "وطن برغواطة" قديم يرجع إلى عصور ما قبل التاريخ[1].

**ب. المجوسية**

يقول ابن منظور: لغة تمجس الرجل، وتمجسوا أي صاروا مجوسا، ومجسوا أولادهم أي صيروهم كذلك، المجوسية نحلة والمجوسي منسوب إليها[2]، والجمع المجوس، يقول الشهرستاني: أثبتوا الأصلين "النور والظلمة"، مع ادعائهم أن النور أزلي والظلمة محدثة"، وانقسموا أوزاعا ثلاثة، وهم "الكيومرثية، الزروانية، والزرادشتية"[3]، يقول العقاد عن الزرادشتية: "كان عماد ملتهم تعظيم النار على أنها هي أصفى وأطهر العناصر المخلوقة"[4]، وهم كما وصفهم ابن خلدون أنهم من أقدم أمم العالم، وأشدهم قوة وآثارا فى

---

(1) أحمد سراج – خديجة لخضيري، مرجع سابق، ص ص46-48.

(2) ابن منظور، مصدر سابق، ج8، ص98.

(3) الشهرستاني، مصدر سابق، ص ص278-281.

(4) عباس محمود العقاد، **موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية توحيد وأنبياء**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1970م، ج1، ص110.

الأرض، وكانت لهم دولتان عظيمتان طويلتان: الأولى: الكينوية، والثانية: الساسانية الكسروية[1]، وتعتبر المجوسية من المعتقدات القديمة التي اعتنقها البشر في العصور الغابرة، وقد كان ظهورها ببلاد فارس شرقا، ثم انتشرت بعد صراع طويل بين الفرس والإغريق، والذي انتهى بهزيمة الإغريق[2]، فكان لها أن تنتقل لبلاد المغرب، فاعتنقها فئام من البربر وأججوا نارها واتخذوا لها المعابد وعكفوا عليها عابدين، يقول ابن خلدون: "وكان دينهم دين المجوسية شأن الأعاجم كلهم بالمشرق والمغرب؛ إلا في بعض الأحايين يدينون بدين من غلب عليهم من الأمم. فإن الأمم أهل الدول العظيمة كانوا يتغلبون عليهم"[3].

في هذا النص دلالة واضحة أن البربر كانوا قد اتخذوا من المجوسية دينا وسرت فيهم، ويردف ابن خلدون قائلا: "كان منهم من تهود ومن تنصر وآخرون مجوسا يعبدون الشمس والقمر والأصنام"[4]، وهذا الذي أشار إليه أغلب المؤرخين، حيث أشار ابن خلدون إلى أن عقبة لما حل ببلاد المغرب الأقصى، ونزل على طنجة، دله صاحبها يوليان على كفار البربر ببلاد المصامدة، وأنهم مجوس لم يدينوا بالنصرانية[5]. وأثبت هذا السلاوي في "الاستقصاء"، من أن عقبة بن نافع لما عزم على غزو الأندلس منعه يوليان، مشيرا عليه بالمسير لقتال بربر السوس الذين كانوا يدينون بالمجوسية[6]، وقد ذكر ابن أبي زرع الفاسي شاهدَين قويين على اعتناق البربر ومنهم برغواطة للمجوسية، وأول هذه الشواهد جاء في معرض حديثه عن مدينة فاس "أنه كان يسكنها قبيلتان من زناتة، زواغة وبني يرغش، وكانوا

---

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ج3، ص307.

(2) غريس عماد الدين، **الصراع بين الدولة الفارسية الأخمينية والمدن اليونانية خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة ابن خلدون تيارت، ع 01، مج 05، 2022م، ص150؛ فرحة هادي عطيوي، **الحروب الفارسية اليونانية 490-479 ق.م دراسة في الأسباب والنتائج**، مجلة الجامعة العراقية، جامعة ديالي، ع 57، ج2، د.ت، ص570.

(3) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص139.

(4) نفسه، ج6، ص123.

(5) نفسه، ج4، ص237.

(6) السلاوي الناصري، مرجع سابق، ج1، ص38.

أهل أهواء مختلفة ... ومنهم على المجوسية، ومنهم بنو يرغش، وكانوا يسكنون بخيامهم بحومة عدوة الأندلسيين الآن وكانت بيت نارهم بالشيبوبة". فإن دل هذا فإنه يدل على تغلغل المجوسية بين قبائل البربر؛ نظرا لبقاء رواسبها لغاية القرن الثاني للهجرة، مع اتخاذ النار وخدمتها واتخاذ المعابد لها للاعتكاف عليها وتقديسها، وثاني هذه الشواهد تبويبه للقتال المرابطي البرغواطي بهذا العنوان: "الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين مجوس برغواطة، وذكر مذهبهم السخيف وديانتهم الخسيسة"، مدعيا أن برغواطة مجوس، وأكد هذا الوصف في ثنايا سرده لأحوالهم قائلا: "لما وصل عبد الله بن ياسين إلى بلاد تامسنا؛ أخبر أن بساحلها قبائل برغواطة من أمم لا تحصى، وأنهم مجوس أهل ضلال وكفر ..."[1].

### 2. القسم الثاني: الديانات السماوية

**الديانات السماوية:** هي الديانات التي كان جوهر دعوتها التوحيد كاليهودية، والنصرانية والإسلام. على خلاف بين أهل العلم في إطلاق هذا اللفظ على ديانة اليهود والنصارى، باعتبار تحريفهما، كما لا يخفى على مسلم عامي فضلا عن عالم من علمائهم، وأصل ما جاءت به اليهودية والنصرانية الحقة هو نفس ما جاء به نبي الله إبراهيم عليه السلام، وهو دين الحنيفية السمحة، وهو دين الأنبياء قاطبة.

#### أ. الديانة اليهودية

**لغة:** يقول ابن منظور[2]: "الهود التوبة، هاد يهود هودا وتهود تاب ورجع إلى الحق، فهو هائد وقومٌ هود، مثل حائل وحول، وفي التنزيل العزيز ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 156] أي تبنا إليك، قاله مجاهد وسعيد بن جبير، والتهود التوبة والعمل الصالح، والهود اليهود هادوا يهودون هودا، وسميت اليهود اشتقاقا من هادوا أي تابوا، والتهويد أن يصير الإنسان

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص ص31، 130.

[2] ابن منظور، مصدر سابق، ج15، ص 108.

يهوديا كما في الحديث: "كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه"[1]، معناه يعلمانه دين اليهودية"[2].

**اصطلاحا:** مصطلح حادث يطلق على الديانة الباطلة المحرفة عن الدين الحق، الذي جاء به نبي الله موسى ﷺ، ولعل هذا هو التعريف الصحيح لليهودية، على العكس من بعض التعاريف المغلوطة[3]، التي ما فتئت تَعتبر اليهودية ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم ﷺ، والمعروفون بالأسباط من بني إسرائيل، الذين أرسل الله إليهم موسى ﷺ مؤيداً بالتوراة ليكون لهم نبيّا، واليهودية ديانة يبدو أنها منسوبة إلى يهود الشعب، وقد تكون نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب ﷺ، وعممت على الشعب على سبيل التغليب[4].

- **دخول اليهودية لبلاد المغرب**

أما اليهود فأمة سامية، نشؤوا عند الحدود الشمالية للصحراء العربية، وعاشوا حياة البدو الرحل طوال قرون، على غرار عدد من القبائل الأخرى[5]، ولقد دخل اليهود بلاد المغرب منذ زمن بعيد لا يُعرف مبدؤه؛ بسبب كثرة الأساطير[6]، وطغيان النمط القصصي على الروايات التاريخية في هذا الباب[7]، إلا أن المحققين من أهل العلم ذكروا أن استيطانهم بهذه البلاد كان على فترتين زمنيتين متباعدتين، وقد دخلوا بلاد البربر بسبب عوامل

---

(1) ابن حبان، أبو حاتم محمد بن أحمد البستي، **صحيح ابن حبان**، تر الأمير علاء الدين الفارسي، تح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، د.ط، مصر، 1952م، ج1، كتاب الإيمان، باب الفطرة، ر.ح 215، ص ص292-293.

(2) ابن منظور، مصدر سابق، ج15، ص108.

(3) محمد بن إبراهيم الحمد، **رسائل في الأديان والفرق والمذاهب**، دار بن خزيمة، الزلفى، ط2، 2008م، ص72.

(4) مانع بن حماد الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط4، 1418هـ، مج1، ص496؛ محمد خليفة حسن أحمد، **تاريخ الديانة اليهودية**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1998م، ص29.

(5) يوسف عيد، **موسوعة الأديان السماوية والوضعية**، دار الفكر اللبناني، د.ط، بيروت، 1995م، ص12.

(6) J. E. Budgett Meakin, **The Jewish Quarterly Review -The Jews of Morocco**, University of Pennsylvania Press, 1892, Vol 4, No 3, p371.

(7) فاطمة بوعمامة، **نفوذ اليهود في بلاط المغرب الأقصى العهد الريني والوطاسي**، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، ع 15، 2016م، ص195.

سياسية، عسكرية، وعقدية مختلفة، آملين في النجاة من الاضطهاد، وراغبين في نشر ديانتهم.

### 1) الفترة الأولى

العصر القديم، وكان نزوحهم نتيجة هجرتهم من المشرق –موطنهم الأصلي– إلى المغرب؛ بسبب ظروف ومتغيرات أيديولوجية أثرت بشكل عام على استقرار المجتمع اليهودي بالمشرق، وتم هذا النزوح عبر مرحلتين زمنيتين متباعدتين:

**المرحلة الأولى:** قدومهم من فلسطين من القدس كما يقول بيجات مياكين في مقاله[1]، وأما عن زمن قدومهم ففيه أقوال أحدها، هجرتهم من فلسطين بعد مقتل جالوت على يد نبي الله داود عليه السلام، فخرج من خرج منهم إلى مصر واستقروا فيها، بينما سارت فئام منهم لبلاد المغرب واستوطنوها[2]، وذهب فريق منهم إلى أن خروجهم إلى المغرب كان في أعقاب خروج الفينيقيين في هجراتهم، فاستقروا بإفريقية، ثم انتشروا في أقطار المغرب، حتى دخلوا المغرب الأقصى[3].

**المرحلة الثانية:** خروج اليهود من بيت المقدس قبل السبي البابلي[4]، كما حصل بعد مهاجمة بختنصر أورشليم، حيث ساق الألاف من اليهود أسرى إلى بابل، وسلبت أورشليم وهدمت أسوارها وأحرق بيت الإله أو ما يعرف عند اليهود بالهيكل، وكان ذلك في عام 587 ق م[5].

---

(1) J. E. Budgett Meakin, Previous reference, pp370-372.

(2) فاطمة بوعمامة، مرجع سابق، ص195.

(3) Simon Marcel, **Le Judaïsme berbère dans l'Afrique ancienne**, In: Revue d'histoire et de philosophie religieuses, 26e année n°1, 1946, p8.

(4) محمود بن عبد الرحمن قدح، **موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة**، مجلة الجامعة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،1419هـ، ع 107، ص257.

(5) جورج رو، **العراق القديم**، تر وتع حسين علوان حسين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ط، 1984م، ص ص508–509.

وذكر بعض المؤرخين أنهم إنما جاءوا بلاد المغرب بعد انتهاء الأسر البابلي، ومن المؤرخين المتقدمين من ذكر أن أول خروج لليهود، حصل بعد غزو يوشع بن نون للأراضي المقدسة[1]، وهذا مثبت حتى أثريا بالنظر للنقش الرخامي الموجود في تيجس قرب عين البرج، والذي نُقش عليه ما يلي: "نحن الهاربون من هذا اللص حبشو بن نون"، ومهما يكن من أمر فإنهم خرجوا في العصر القريب من الأسر البابلي، واستمر خروجهم بعدها لزمان قيام الإمبراطورية الرومانية لبلاد المغرب[2].

**2) الفترة الثانية**

جاءت الفترة اللاحقة بعد الميلاد؛ لغاية نزول الفاتحين المسلمين بلاد المغرب، وقد كانت أقوى موجات الهجرة اليهودية خلال هذه الفترة، زمن الإمبراطورية الرومانية، حيث كانت هجرتهم هروبا من الأوضاع السياسية التي سادت فلسطين وبلاد الشام آنذاك، وقد كانت هذه الهجرات على مرحلتين كذلك.

**المرحلة الأولى:** خروجهم زمن الإمبراطورية الرومانية؛ هروبا من العدوان والاضطهاد الروماني لهم بفلسطين والشام، خاصة زمن الإمبراطور الروماني تيتوس، وخاصة بعد توالي الثورات اليهودية التي حصلت بسبب الهجمات الرومانية على فلسطين، والتي انتهت باستباحة اليهود، وتخريب بيت المقدس، ونزوح الكثير من القبائل اليهودية بلاد العرب شرقا وغربا[3].

**المرحلة الثانية:** بعد وقوع المغرب تحت حكم الوندال في القرن الخامس للميلاد، فقد كانت لليهود حضوة عند الوندال، فدخلوا في خدمتهم من أجل استعمالهم في القتال ضد

---

(1) Simon Marcel, Previous reference, p9.

(2) فاطمة بوعمامة، مرجع سابق، ص195.

(3) إسرائيل ولفنسون، **تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، مطبعة الاعتماد، مصر، د.ط، 1927م، ص ص8-9.

الرومان، مما جعلهم ينصهرون في المجتمع المغربي، فسهل عليهم ذلك ممارسة طقوسهم ومعتقداتهم بحرية[1].

فأما اعتناق البربر لليهودية فأشهر من أن يذكر، حيث رأينا الدخول المبكر لليهود لبلاد المغرب، وكيف تأثر البربر بتقاليد اليهود ونشاطهم الكبير في نشر ديانتهم، خاصة زمن الفينيقيين والوندال، وبقيت تلك الترسبات في المجتمع البربري عامة، والمجتمع البرغواطي على الخصوص، ولقد تجلت تلك التأثيرات في جملة من المظاهر الاجتماعية والدينية دونها أهل التاريخ والجغرافيون، ولا غرابة في ذلك البتة، فقد رأينا موجات الهجرة الاستيطانية لليهود، التي حصلت من المشرق للمغرب على امتداد عصور التاريخ المتعاقبة، وكانت منطقة تامسنا والريف هدفا لبعض أولئك المهجرين، مما جعل منها موطنا لاستقرار قبائل يهودية كبيرة[2]، والتي عملت على تهويد قبائل البربر، مما سهل عليهم الانغماس وسط البربر ونشر أفكارهم وعاداتهم وطقوس ديانتهم بسهولة ويسر.

ذكر ابن أبي زرع في "أنيسه" أن فاس كان يسكنها قبائل من زناتة وزواغة وبني يرغثن، وذكر أن منهم من كان على اليهودية[3] ... وقال في وصفه بناء مدينة فاس في رواية عن البرنسي: "أن رجلا من اليهود احتفر أساس دار ليبنيها؛ فوجد بها دمية رخام بخط المسند منقوش عليها ما معناه؛ أن هذا البيت كان حماما ثم صيروه دار للعبادة، وذلك من ألف عام"[4]، وهذا فيه دلالة قاطعة على أن دخول اليهود للمغرب كان جد متقدم، يقول ابن خلدون: "وكان منهم من تهود وتنصر ..."[5]، ويقول في موضع قريب من هذا: "وكذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية، أخذوه عن بني إسرائيل عند استفحال ملكهم؛ لقرب الشام وسلطانه منهم، كما كان جراوة أهل جبل الأوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب

---

[1] إبراهيم حركات، مرجع سابق، ج2، ص95.

[2] سحر عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص23.

[3] ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص31.

[4] نفسه، ص38.

[5] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص123.

لأول الفتح، وكما كانت نفوسة من برابر إفريقية، فندلاولة ومديونة وبهلولة وغياثة وبنو فازاز أو فازان من برابرة المغرب الأقصى، حتى محا إدريس الأكبر الناجم بالمغرب من بني الحسن جميع ما كان في نواحيه من بقايا الأديان والملل[1]. ومعلوم أن مملكة إدريس الأكبر وابنه من بعده كانت مجاورة لإمارة برغواطة، وكان القتال بينهما مستمرا بغرض الجهاد؛ من أجل القضاء على ديانتهم، التي كانت خليطا من اليهودية والنصرانية، كما ورد في كتب التاريخ[2].

وكان لهذا الامتزاج عظيم الأثر في ظهور الكثير من الإشارات والشواهد؛ التي تثبت تأثير المعتقد اليهودي في البرغواطية؛ كديانة أريد لها الاستقلال عن الشرق الإسلامي، ولعل أبرز هذه الشواهد ما كان متصلا بعادات المجتمع البرغواطي، كهيئتهم ولباسهم ومأكلهم.

**ب. الديانة النصرانية**

**لغة:** نسبة إلى نصرانة وهي قرية المسيح عليه السلام من أرض الخليل، وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية، والنصرانية والنصرانة كذلك واحدة النصارى، أَما سيبويه فقال: "أَما نَصارَى فذهب الخليل إلى أَنه جمع نَصْرِيّ ونَصْران"[3].

**اصطلاحا:** هي دين النصارى الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام، وكتابهم الإنجيل، والتنصر: الدخول في النصرانية، وفي المحكم الدخول في دين النصارى، وفي الحديث: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه". وأما المسيحية فتطلق على أتباع المسيح عليه السلام في وقته، ولا يمكن أن تطلق على النصارى؛ لاعتبارات منها: أنهم خالفوا دين المسيح عليه السلام الذي جاء به، وكذلك نسخ القرآن الكريم

---

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص ص140-141.

(2) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص20.

(3) ابن منظور، مصدر سابق، ج5، ص ص211-212.

لشريعة عيسى عليه السلام التي جاء بها[1]، فالأصل في دين النصارى أنه منزل من عند الله تبارك وتعالى، لكنه غير وبدل وحرفت نصوصه وتعددت أناجيله، وانحرف أتباعه عن التوحيد إلى الشرك، حتى نسخها الله بشريعة الإسلام فأصبحت باطلة[2].

- **دخول النصرانية لبلاد المغرب**

النصارى أمة سامية من بني إسرائيل وديانتهم امتدادا لليهودية، وعيسى بن مريم عليه السلام نبي مرسل لبني إسرائيل، مجددٌ لشريعة نبي الله موسى عليه السلام، وكان ظهورهم في المشرق، وذلك قبل دخولهم بلاد المغرب منذ القرن الميلادي الأول، حيث كان ذلك مبكرا حسب روايات القديس تريتيليان[3]. وإن كان هذا محض استنتاج ورأي مرجوح مخالف للمنطق، والشواهد التاريخية[4]، والتي أثبتت دون شك أن المسيحية بدأت تفد متأخرة على بلاد المغرب، وذلك في بداية القرن الميلادي الثاني، كديانة توحيدية معادية لعقيدة تأليه الإمبراطور، والتي كانت الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية في العصر القديم[5]. وهذا ما أثبته القديس أوغستين في رده على بيتيليانوس السيرتي[6].

---

(1) ابن منظور، مصدر سابق، ج5، ص212؛عبد القادر شيبة الحمد، **الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة**، مطبوعات الجامعة الإسلامية، د.ط، المدينة، 1387هـ، ص30.

(2) ناصر القفاري – ناصر العقل، **الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة**، دار الصميعي للنشر، الرياض، ط1، 1992م، ص64.

(3) ترتليانوس، كرينتوس سبتيموس فلورس (Tertullianus Florens Sybtimus Quintus)، ولد مابين سنة 150–160م من أبوين وثنيين، درس القانون بروما ومارس المحاماة بها، تحول إلى المسيحية سنة 193م، استقر بمدينة قرطاج وخدم المسيحية ليصير قسا فيما بعد، كان من أشد المعارضين للهرطقة والوثنية مدافعا عن النصرانية بشدة، توفي حوالي سنة 225م. عادل فرج عبد المسيح، **موسوعة آباء الكنيسة**، دار الثقافة، القاهرة، ط2، 1999م، ج2، ص154.

(4) بن عطا الله عبد الرحمن، **انتشار الديانة المسيحية في إفريقيا خلال الاحتفال الروماني وموقف السلطة الرومانية منها**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تبسة، عدد 11، مج9، 2016م، ص139.

(5) عمران عبد الحميد، **الديانة المسيحية في المغرب القديم –النشأة والتطور– (180–430م)**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011م، ص3.

(6) HENRI MARROU, **saint augustin et l'augustinisme**, éd SEUL, Paris, 1973, p11.

ورغم أنها لاقت اضطهادا شديدا من طرف الإمبراطورية الرومانية الوثنية، التي لم تتوان في استعمال كافة الوسائل المتاحة لمحاربتها، لكن الوضع تغير تماما بوصول الإمبراطور قسطنطين (306-337م) للحكم سنة 306م، حيث اعتنق النصرانية وأمر أتباعه باعتناقها سنة 312م، متبنيا سياسة التسامح الديني من أجل إحكام سيطرته السياسية على البلاد[1]، فانقسمت الكنيسة ببلاد المغرب على نفسها، معلنة بداية عصر جديد من الصراع الكنسي الديني، ما بين كنيسة كاثوليكية توالي السلطة، وأخرى دوناتية مناهضة لها[2]، وقد كان لليهود اليد الطولى في انتشار النصرانية انطلاقا من بِيَعهم ومعابدهم[3].

ذكر ابن خلدون وغيره وجود المسيحيين في أقاليم متعددة من بلاد إفريقية والمغرب، ويؤكد كلامه قائلا: "... فكان البربر بإفريقية والمغرب قبل الإسلام تحت ملك الفرنج، وعلى دين النصرانية، الذي اجتمعوا عليه مع الروم ..."، ويمضي ابن خلدون يروي كيف تأثر البربر بالنصرانية، حتى ذكر زعيما من زعماء أوربة كان يدين بالنصرانية، وإن الفاتحين توغلوا في تلمسان، ثم وليلي متجهين إلى جبال درن، وقاتلوا قبائل أوربة، غمارة، ثم مصمودة التي دانت بالنصرانية[4]. ولما جاء على ذكر دولة الأدارسة ذكر إشارات واضحة تدل على تغلغل النصرانية بين بطون قبائل برغواطة، حاكيا زحف إدريس بن عبد الله لبرابرة المغرب على دين المجوسية واليهودية والنصرانية، مثل فندوالة، بهلوانة، ومديونة، وفتح تامسنا، شالة، وتادلا، فأسلموا على يديه طوعا وكرها[5].

تتقوي هذه الرواية التي ساقها ابن خلدون بروايتين ذكرهما ابن أبي زرع في تاريخه، عند كلامه على تأسيس دولة الأدارسة وعاصمتها فاس، وأولى هاته الإشارات أنه لما عزم

---

(1) عبد الرؤوف أحمد عرسان جرار، **الديانة المسيحية في بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي**، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، عدد 30، 2016م، ص37.

(2) عبد الرؤوف أحمد عرسان جرار، مرجع سابق، ص37.

(3) François Décret, **Le Christianisme en Afrique du Nord Ancienne**, éd du Seuil, Paris, 1996, p23.

(4) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص ص141-142.

(5) نفسه، ج4، ص ص16-17.

إدريس الأكبر على بنائها مر به شيخ كبير راهب من رهبان النصارى –قد نيف عن المائة والخمسين سنة–، وكان مترهبا بصومعة قريبة من تلك الجهة[1]، وثاني الإشارات القوية التي دلت بوضوح على انتشار النصرانية بين قبائل برغواطة، أنه لما نزل إدريس الأكبر بوليلي واستتب له الأمر، خرج بجيش من بطون زناتة وغيرها من وجوه البربر لغزو تامسنا، فنزل شالة وافتتحها، ثم فتح سائر بلاد تامسنا، ثم بلاد تادلا، ذاكرا أنها كلها كانت تدين بدين النصارى واليهودية[2]. وهذه دلالة قاطعة على انتشار النصرانية بقوة في إقليم برغواطة والنواحي القريبة منها.

وأما ما ذكرته الأستاذة سحر في بحثها حول برغواطة، من أن مارسي عثر على وثيقة بمدينة وليلي، تتضمن ما يشير إلى وجود مواطنين من الروم في هذا الإقليم كانوا على الديانة المسيحية عند الفتح الإسلامي، فإنه يدعم وجود المسيحية بقوة. لذلك لا يُستبعد الأثر المسيحي في الفكر البرغواطي، خاصة وأن صالح أخبره ولده إلياس طبقا لما أوردته المصادر أن عيسى عليه السلام صاحبه، وأنه يصلي خلفه، وقد سبق أن أوضحنا آراء بعض المستشرقين أمثال جوتيه، من الربط بين الدوناتية المسيحية واستبسال أبنائها، ربما يذكرنا هذا التفاني الدوناتي في الدفاع عن عقيدتهم باستماتة البرغواطيين في الدفاع عن معتقدهم[3].

## II. إسلام قبائل برغواطة

### 1. فتح إقليم برغواطة

لم يعرف البرغواطيون الإسلام إلا من خلال حملة عقبة بن نافع الفهري(50–55،60–64هـ)، في ولايته الثانية، حيث كانت له حملة كبيرة خرج فيها بسبب ارتداد بعض

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص ص37–38.

[2] نفسه، ص20.

[3] سحر عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص45.

البرابرة عن الإسلام، مستخلفا على القيروان زهير بن قيس البلوي(67-73هـ)، فاخترق فيافي المغرب الأوسط حتى وصل لمدينة طنجة، التي كانت تحت إمرة الكونت يوليان، والذي أطاعه وهداه وقدم له نصائح حول غزو بلاد السوس الأدنى موطن برغواطة[1]، فاتجه عقبة بن نافع (50-64هـ) صوب السوس الأدنى، ونزل بجموعه على مدينة وليلي وافتتحها بعد قتال عنيف، وواصل مسيره متوغلا في بلاد السوس[2]، ولما وصل عقبة بن نافع لإقليم السوس؛ قاتل البربر وفرق جموعهم وألحقهم بدرعة، وتقدم لإقليم تامسنا على ساحل آسفي موطن برغواطة[3]، وأدخل فرسه البحر وقال قولته الشهيرة: "يا رب لولا أن البحر منعني لمضيت في البلاد إلى مسلك ذي القرنين مدافعا عن دينك، مقاتلا من كفر بك"، ثم نزل من درعة إلى بلاد صنهاجة، وقتل مسوفة من أهل اللثام التي تقع بلادهم خلف السوس[4]، وانكف راجعا لإفريقية أين لقي مصرعه بتهودة من بلاد الزاب الكبير[5].

لقد كانت سياسة عقبة بن نافع تتسم بالقوة والصرامة في قتال الأعداء، بسبب ما لمسه من قوة شكيمة البربر، وكثرة ارتدادهم كلما تخف عنهم وطأة الحرب، وكان كلما افتتح محلة إلا اتخذ فيها مسجدا، وترك فيه من أتباعه من يقوم على دعوتهم للإسلام، وتعليمهم فروضه، ومنهم رباط شاكر[6]، الذي بقي صامدا لليوم، فاتخذ لذلك مسجدا بدرعة، وآخر بالسوس، وبنى مسجدا بإيجلي، وبالسوس الأقصى كذلك[7].

---

(1) شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م)**، تع محمد مزالي، البشير ابن سلامة، دار التونسية للنشر، تونس1878م، ص2؛ ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص237.

(2) محمد محمود القاضي، **عقبة بن نافع فاتح إفريقية**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1999م، ص44.

(3) السلاوي الناصري، مرجع سابق، ج1، ص38.

(4) البلاذري، مصدر سابق، ص226؛ ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص42.

(5) أبو زيد الدباغ، مصدر سابق، ص51.

(6) محمد السعيدي الرجراجي، **رباط شاكر والتيار الصوفي حتى القرن السادس الهجري**، وليلي للطباعة والنشر، د.ط، مراكش، 2010م، ص27.

(7) ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج1، ص27.

بقيت المنطقة بعد غزوة عقبة الكبيرة دون تثبيت الفتح، لغاية قدوم موسى بن نصير واليا على بلاد المغرب، والذي كان له شرف فتحها ونشر الإسلام بها، حيث غزى مدينة طنجة بعد أن زحف عليها بخيله عام 89هـ، وجَعل واليا عليها ونواحيها مولاه طارق بن زياد(88-95هـ)[1] في جموع من فرسان العرب والبربر، كما أمر بتعليم البرابرة القرآن والفقه والعربية، وارتحل لغزو بلاد السوس الأدنى -موطن برغواطة-، أين أوقع بقبائل المصامدة وسباهم واتخذ منهم رهائن على الطاعة، فأطاعوه وقام بنقلهم لطنجة ونواحيها، وأمر العرب بتعليم البربر الإسلام والفقه والعربية، ثم يمم وجهه قبالة درعة وتافيلالت، أين ترك أحد أبنائه لاستكمال عملية الفتح، ورجع للقيروان[2].

واصل مولاه طارق بن زياد في عملية نشر الإسلام بين قبائل البربر، حيث قطع المجاز الذي بين العدوتين لفتح جزيرة الأندلس، وفي صحبته الرهائن الذين أخذهم موسى بن نصير من إفريقية وبلاد السوس، وهذا من أصح الدلالات التي تبين رسوخ الإسلام في قلوب بربر السوس، إذ أنهم وطنوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله، وذلك بعد مدة وجيزة من إسلامهم، وفي هذه الفترة انتشر الإسلام بين قبائل البربر بالمغرب الأقصى، وحولوا المساجد التي بناها المشركون إلى القبلة وجعلوا المنابر في مساجد الجماعات[3].

بعد وفاة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ) وتولية عمر بن عبد العزيز (99-101هـ) ﷺ؛ اهتم هذا الأخير بنشر الإسلام بين قبائل البربر، فقيض لبلاد المغرب عاملا تقيا فقيها هو إسماعيل بن عبيد الله، فكان أكبر همه الدعوة إلى الله، ودعمه الخليفة ببعثة رسمية

---

[1] طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم النفزي من سبي البربر، مولى لموسى بن نصير، كان واليا على طبرقة ثم ولاه موسى طنجة وجعله أميرا على الجيش الذي توجه لفتح الأندلس سنة 92هـ، اختلف الإخباريون وأهل النسب في أصله بين نفزة وورفجومة الزناتية، وبين الليث الكناني والصدف القحطاني . عبد الملك بن حبيب السلمي، **كتاب التاريخ**، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 2008م، ص143؛ ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص239؛ ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج1، ص27؛ البلاذري، مصدر سابق، ص238.

[2] ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ص42.

[3] نفسه، ص43.

تتكون من عشرة فقهاء، أشرفوا على تعليم الناس أمور دينهم باتخاذهم المساجد وعكوفهم عليها[1]، مع تعاهد الخليفة بإرسال الكتب يعظ البربر ويحثهم على الإسلام يقرأها عليهم عماله[2].

ورغم انتشار الإسلام بين البربر إبان حكم الوالي إسماعيل بن أبي المهاجر (99-101هـ) في أقطار المغرب الثلاث، إلا أن بقاء بعض متعلقات الديانات القديمة كان أمرا حتميا تقتضيه طبيعة البربر النفسية والاجتماعية، وتفرضه تضاريس المنطقة الوعرة[3]. ويرجع ذلك بالأساس إلى انتشار النصرانية واليهودية على السواحل وقريبا منها.

لقد بقي أهل المناطق الجبلية على ديانتهم الأصلية المتمثلة في عبادة الأصنام واتخاذ التماثيل وعبادة النار على حد سواء، خاصة بمنطقة تامسنا التي نأت عن أقطار المغرب الأقصى، حيث سكنتها الكثير من بطون القبائل البربرية التي أبت مفارقة ديانات أجدادهم كالمجوسية والنصرانية واليهودية، رغم مرور حقبة زمنية طويلة على الفتح الإسلامي بمراحله، وهو ما أشار إليه ابن خلدون وغيره، من أن بقايا التواجد المجوسي واليهودي والنصراني بقي لغاية قيام دولة إدريس بن عبد الله الحسني بمدينة فاس[4].

### 2. اعتناق برغواطة للخارجية

لقد كان للضربات القوية التي تلقتها فرق الخوارج بالمشرق الأثر الكبير في تشتتها وانتشارها في الأمصار البعيدة والنائية عن أعين الخلافة بالمشرق، فسار الدعاة متخفين لنشر مذاهب الخوارج على اختلاف فرقها، فكان نصيب بلاد المغرب أن رحل إليها داعية الصفرية عكرمة مولى ابن عباس، وقد صحبه داعية المذهب الإباضي سلمة بن سعد[5]،

---

(1) عبد العزيز الثعالبي، مرجع سابق، ص118.

(2) رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص22.

(3) حسن محمود، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقية**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1986م، ص142.

(4) ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص ص16-17؛ ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص20.

(5) الدرجيني، مصدر سابق، ص11.

لكن لم نجزم بصحة ما ذهب إليه بعض المؤرخين من تعاونهما[1] على نشر عقيدة الخوارج، إلا أن المؤكد هو أن داعية الصفرية نزل القيروان، واتصل بزعماء البربر ممن كانت له ميول ثورية، وجلسوا في حلقته يبث فيهم مبادئ الصفرية، وكانت الدعوة آنذاك سرية؛ فافتقرت بسبب ذلك المصادر التاريخية لأخبار الدعوة في هذه المرحلة؛ إلا إشارات عابرة في بعض أمهات الكتب، وما نستشفه من هذه الإشارات هو أن المذهب الصفري بدأ في الظهور والانتشار بعد رحلة عكرمة مولى ابن عباس للقيروان.

اتخذ عكرمة من القيروان مركزا لدعوته لنشر عقيدة الصفرية، باعتبار عاصمة المغرب الإسلامي مركز استقطاب علمي وأدبي، وحتى لا يثير شكوك الولاة وعمال بني أمية، فكان ممن اتصل بعكرمة أثناء مقامه بالقيروان ميسرة المدغري زعيم قبيلة مطغرة، والذي كان يعمل سقاء بالقيروان[2] إمعانا في التخفي، وسمح له هذا العمل في أن يستتر عن أعين الخصوم والدولة، وسهل على نفسه الانتقال والتواصل مع الأتباع دون إثارة الشكوك حوله. وهكذا استطاع اقناع أتباعه بشرعية ما يدعوهم إليه من المطالبة بالعدالة، عن طريق الثورة على عمال بني أمية؛ باعتبارهم حكاما ظالمين معتدين، ونفس الأمر مع زعيم مكناسة سمكو بن واسول الذي لازم عكرمة لغاية وفاته سنة 105هـ[3].

كان طريف بن شمعون البرغواطي ممن اتصل بعكرمة كذلك، وصاحَبه وأخذ عنه مبادئ الصفرية، كما أشار لذلك ابن خلدون[4]. وقد قام طريف هذا بنشر الصفرية بين بطون قبيلته فاعتنقوها، وكان له دور كبير في الثورة التي قادها ميسرة عام 122هـ[5]، وبذلك عج المغرب الأقصى بالمذهب الصفري من شماله لجنوبه، وأدى هذا في الأخير لخروج المغرب الأقصى عن حكم الأمويين وتمزقه لإمارات خارجية صفرية.

---

[1] محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص49.

[2] نفسه، ص47.

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص172.

[4] نفسه، ص107.

[5] إسماعيل محمود، الخوارج في بلاد المغرب، ص49.

لقد تأثرت قبائل برغواطة بمذهب الخوارج الذي جلبه عليهم زعيمهم طريف، وابنه صالح الذي كان من قواد ميسرة أثناء الثورة[1]، وبقيت تلك الآثار في العقيدة البرغواطية كإمعانهم في تقتيل مخالفيهم، وإصدار بعض الأحكام التي لم تخرج عن فقه الخوارج، فنجد أن صالح بن طريف كان أوصى ابنه إلياس ألا يظهر حقيقة ديانتهم، "حتى إذا قوي وأمن فإنه يدعو حينئذ إلى ملته ويقتل من خالفه"، وكذلك خلال فترة حكم ابنه يونس الذي يعتبر الأكثر عنفا وارهابا من سابقيه، حيث أجرى حمامات الدم وأعمل السيف في رقاب مناوئيه، كما قال البكري: "فأظهر ديانتهم ودعا إليها وقتل من لم يدخل فيها، حتى أخلى ثلاثمائة مدينة وسبعا وثمانين مدينة، حمل جميع أهلها على السيف لمخالفتهم إياه، وقتل منهم بموضع يقال له تاملوكاف سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين قتيلا، وقتل من صنهاجة خاصة في وقعة واحدة ألف وغد".

استمرت العقيدة الصفرية تعبث بالبرغواطيين وتلغ في دماء مخالفيهم، وهذا الأمر قد تكرر في حكم أبي الغفير يحمد بن معاذ الذي استولى على الحكم دون مبايعة، بل بالقهر والغلبة كما يفعل الخوارج، فأقام المذابح في مخالفيه "وكانت كثيرة لا تنسى مع الأيام كوقعة تيمغسن، وكانت مدينة عظيمة أقام القتل في أهلها ثمانية أيام من الخميس إلى الخميس، حتى شرقت دورهم ورحابهم وسككهم بدمائهم، ومنها وقعة بموضع يقال له بهت، عجز الإحصاء عن عدد من قتل فيها".

فهذه الأفعال الإجرامية التي ارتكبها البرغواطيون في حق الأبرياء والعزل، ما كانت لتقع لولا المسحة الخارجية التي أنبتت فيهم التعطش للدماء، شأنهم شأن الخوارج قاطبة، كما يقول ابن كثير عنهم: "إذ لو قَووا هؤلاء لأفسدوا الأرض كلها عِراقًا وشامًا، ولم يتركوا طفلًا ولا طفلةً، ولا رجلًا ولا امرأةً؛ لأن الناس عندهم قد فسدوا فسادًا لا يصلحهم إلا القتل جملة"[2].

---

[1] البكري، مصدر سابق، ص249.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص584.

ومن رواسب الخوارج التي بقيت في نفوس آل صالح البرغواطي امتناعهم من الزواج من المسلمين، وهذا لأنهم يرونهم كفارا ليسوا من أهل القبلة جريا على فقه الخوارج، ولأن البكري لما ساق رواية أبي العباس فضل بن مفضل أكد على أنهم "لا ينكحون المسلمين ولا ينكحون فيهم"، وكذا الأمر في الأموال لا يأخذون من المسلمين شيئا[1].

ومن المسائل التي تدل على تغلغل الصفرية في الدين البرغواطي؛ بعض الأحكام الفقهية التي اتصفت بها ديانتهم، كقتلهم للسارق[2]، وهذه من سمات الخوارج الأول، إذ أنهم يرون أن مرتكب الكبيرة يكون مستحلا لهذا الفعل، وبالتالي أحل ما حرمه الله تعالى، فيرون أنه ارتد بذلك وكفر، فيقيمون عليه الحد كفرا لا تعزيرا[3].

وقد كان لموقع تامسنا –وطن برغواطة– كبير الأثر في بقاء المعتقد الصفري سائدا لفترة طويلة، رغم زواله من بلاد المغرب عقب المد الإسماعيلي نهاية القرن الهجري الثاني، وتحور مذهبهم وصار أكثر تطرفا[4] وعنفا، بل حصل تزاوج بين خليط من المعارف ومعتقدات القدماء وطقوسهم وشعائرهم، لينتقل البرغواطيون من الإسلام المعتدل للتطرف الخارجي، ثم الانسلاخ من ربقة الإسلام جملة.

### 3. ارتداد برغواطة عن الإسلام

**الردة لغة واصطلاحا:** اتفق اللغويون أن الردة معناها اللفظي هو الرجوع والتحول عن الشيء إلى غيره، والردة الاسم من الارتداد وهو الرجوع في الطريق الذي جاء منه، ومنه المرتد، لكن الردة غالباً ما تستعمل في الكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره، كما عبروا

---

[1] البكري، مصدر سابق، ص248.

[2] نفسه، ص253.

[3] ابن أبي العز الحنفي صدر الدين علي بن علي بن محمد، **شرح العقيد الطحاوية**، تح مصطفى العدوي، دار بن رجب، المنصورة، ط1، 2002م، ص 296.

[4] محمود إسماعيل عبد الرزاق، مغربيات، ص22.

عنها كذلك بأنها صرف الشيء بذاته أو بحالة من الأحوال[1]، وهنا وجب التفريق بين المفاهيم التي وقع بها خلط عجيب كالزندقة والنفاق والحرابة والبغي[2].

وأما المفهوم الشرعي الاصطلاحي الذي درج الفقهاء على استعماله، هو الرجوع عن الإسلام بعد الدخول فيه بنية الكفر، أو ترك جنس العمل الصالح الذي لا يصح الإيمان إلا به، كترك الصلاة أو الوقوع في ناقض من نواقض الإسلام قولا كان أو فعلا أو اعتقادا، وكان ذلك جادا أو هازلا[3]، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: 217] وقوله تعالى ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 21].

لقد أشار الكثير من المؤرخين والرواة إلى ارتداد وكفر قبائل برغواطة[4]، بعد أن كانت تدين بالإسلام، خاصة بعد حملة عقبة بن نافع الكبيرة التي وصل فيها إلى إقليم تامسنا، ثم جهود من جاء بعده في بناء المساجد بإقليم السوس، لتعليم الناس الإسلام والعربية، إلا أن التحولات الكبرى التي شهدتها بلاد المغرب عجلت ببروز أفكار منحرفة جاءت كرد فعل ونكاية في المسلمين، فنجد كبار المؤرخين والجغرافيين وعلماء الملل والنحل ممن نقل أخبار

---

(1) ابن فارس، مصدر سابق، ج2، ص386.

(2) طاهري بلخير– راضي عبد الإله، **الردة أحكامها وآثارها – دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية**، مجلة الشهاب، جامعة الوادي، مج5، عدد 01، 2019م، ص285.

(3) النووي، محي الدين أبو زكرياء يحيى بن شرف، **منهاج الطالبين وعمدة المفتين**، تح محمد محمد طاهر شعبان، دار المنهاج، جدة، ط1، 2005م، ص501؛ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي**، تح علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، تق محمد بكر إسماعيل – عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م، ج12، ص149؛ محمد أبو ليل، **الردة: عقوبتها وضوابطها في الفقه الإسلامي**، مجلة دراسات، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، مج 36، 2009م، ص672.

(4) ابن حوقل، مصدر سابق، ص82؛ ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 276؛ البكري، مصدر سابق، ص ص252–255؛ ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص130؛ ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص56؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 466؛ ابن حزم، الفصل في الأهواء والملل والنحل، ج4، ص138. مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص197.

هذه الإمارة؛ وصفوا ما أقدمت عليه برغواطة بأنه كفر وردة وزندقة، وهو ما وصفهم به ابن حزم الأندلسي بقوله: "وكفار برغواطة إلى اليوم ينتظرون صالح بن طريف الذي شرع لهم دينهم"[1]، وقال في "الجمهرة": "وبنو طريف من أشونة ومنهم كان الذي تنبأ ببرغواطة فاتبعوه على دينه"[2]، وفي هاتين الجملتين من المعاني والإشارات ما يكفي للاستدلال على انحراف برغواطة عن الإسلام الذي جاء به الفاتحون، هذا إذا علمنا أن ابن حزم كان قريب عهد بدولة آل طريف، وأنه من أعلم الناس بنسب البربر ونحلهم التي انتحلوها، بل هو إمام هذا الفن دون منازع، ولا يمكنه إصدار هذه الأحكام جزافا، لأنه عالم يصدر عن علم وحجج وأدلة راجحة.

ولم يكن ابن خلدون دونه في الوصف، بل توسع في ذلك في غير موضع من كتابه، فيقول عن جدهم طريف بن شمعون: "أنه تنبأ وشرع لهم الشرائع"[3]، وقال عن صالح: "... ثم انسلخ من آيات الله وانتحل دعوى النبوة، وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده"[4]، وقال عن إلياس بن صالح البرغواطي: " فلم يزل مظهرا للإسلام، مسرا لما أوصاه به أبوه من كلمة كفرهم"[5]، وعن يونس ابنه قال: "فأظهر دينهم ودعا إلى كفرهم"[6]، ونفس الوصف حظي به أبو المنصور عيسى بن أبي الأنصار الذي "سار سير آبائه وادعى النبوة والكهانة"[7].

وقد تكلم عن كفر برغواطة وردتهم عن الإسلام مؤرخون آخرون كابن أبي زرع الفاسي، حيث وصفهم بالمجوس وديانتهم بالخسة والسخافة، كما أطلق على قبائل برغواطة

---

(1) ابن حزم، الفصل في الأهواء والملل والنحل، ج5، ص38.

(2) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص466.

(3) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 276.

(4) نفسه، ج6، ص 277.

(5) نفسه، ج6، ص 277.

(6) نفسه، ج6، ص 277.

(7) نفسه، ج6، ص 278.

وصف الضلال والكفر، وأنهم اجتمعوا على صالح بن طريف الذي ادعى النبوة –ذاكرا أن أصله من يهود الأندلس–، وقد رأى فقهاء المرابطين حسبه تقديم جهادهم على غيرهم من الطوائف المنحرفة التي جاورتهم؛ بسبب ردتهم وتبديلهم شريعة الإسلام، خلافا لما كان عليه غيرهم[1].

ولم يختلف ابن عذارى عن المؤرخين المذكورين، حيث افتتح الكلام عن برغواطة بقوله: "ذِكر برغواطة وارتدادهم عن الإسلام"، ثم بدأ في ذكر بعض الأحداث والإرهاصات التي أدت لظهور هذه الإمارة، وأن طريفا هو من وضع نحلتهم ثم دعا لنفسه قبل أن يهلك، ليخلفه ابنه صالح الذي ادعى حسبه النبوة[2].

وإذا جئنا لفحص روايات الجغرافيين ممن نقل لنا نتفا من أحوال برغواطة ونحلتهم، وجب البدء بابن حوقل، باعتباره أقدم من عاصر برغواطة وسافر لتقصي أخبارهم، ورغم أن وصفه لهم كان مقتضبا، إلا أنه لم يخل من إشارات توضح ردة القوم وتبديلهم لشرع الله، كقوله عن صالح بن طريف: "وذكر أنه نبي ورسول مبعوث إليهم بلغتهم"[3]، وقال عند وصف ديانتهم: "افترض عليهم طاعته في سنن ابتدعها وأحوال فرضها واخترعها"[4]، وقوله عن قرآن برغواطة: "عمل لهم كلاما رتله بلغتهم وشرع فيه محابه على نحلته، فهم يتدارسونه ويعظمونه ويُصلّون به"[5]، ونفس الأمر مع أبي الغفير "وهو في جميع ذلك يذكر أنه يوحى إليه، وأن الملائكة تأتيه بما يأمرهم به وينهاهم عنه"[6].

وأما البكري فقد توسع في ذكر تاريخ مملكة برغواطة وسرد أيامهم، فبدأ بطريف وأقر أنه كان من أصل أندلسي يهودي، ثم أسلم وخلف من الولد أربعة من الذكور، استخلف منهم

---

(1) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص ص130–132.

(2) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص ص56–57.

(3) ابن حوقل، مصدر سابق، ص82.

(4) نفسه، ص 82.

(5) نفسه، ص 82.

(6) نفسه، ص83.

بعد موته صالح، الذي تنبأ وشرع لهم الديانة التي هم عليها اليوم، وادعى أن الله أوحى إليه قرآنا، ثم لم يلبث أن ادعى المهدوية والرجعة على طريقة الرافضة، مدعيا تلقي كل هذا من موسى عليه السلام، ومن سطيح الكاهن ومن عبد الله بن عباس رضي الله عنه[1].

ولما تولى إلياس ابنه أظهر الإسلام مع النسك والطهر والعفاف، مبطنا الذي عهد إليه به أبوه تقية وخوفا، كما تفعل طوائف الرافضة إذا أحست بالضعف، فلما هلك هذا تولى ابنه يونس، فدعا إلى ديانتهم وقتل من لم يدخل فيها، وقد أخبر البكري في روايته الثانية التي ساقها نقلا عن أبي العباس المذحجي، أن يونس هذا رحل إلى المشرق وتكهن، ثم ادعى النبوة ورجع لبلاد المغرب، وقد فتن هؤلاء القبائل القاطنة بتامسنا بتمويهاته ودجله فأطاعوه فيما تنبأ به[2].

ومعلوم أن تعاطي السحر والكهانة، وإظهار الإسلام مع إبطان الزندقة، وادعاء النبوة، والكذب على الله، وادعاء الوحي، واتخاذ الكتب مضاهاة للشرع الحنيف، كفر وردة عن الإسلام، كما صرحت بذلك نصوص الوحيين من الكتاب والسنة، وإن أهل العلم على القول بكفر من يفعل ذلك ويعتقد فيه، قولا واحد من أقوالهم لا اختلاف في ذلك، كما سيأتي بيانه وافيا فيما بعد.

## III. تأثيرات العقيدة البرغواطية

### 1. الآثار العقدية

تواترت روايات التاريخ والجغرافيا في وصف بلادهم وبيان نحلتهم مع اختلاف في وصف بعض أحكام ديانتهم، مما جعلها مادة دسمة للنقاد من المؤرخين والمستشرقين، فجاءت دراساتهم متباينة في أحكامها ونتائجها، وذلك بسبب اختلاف مشاربهم وأهوائهم ما بين مدافع عنهم ومنتقد لهم.

---

[1] البكري، مصدر سابق، ص ص247-250.

[2] نفسه، ص ص251-253.

لقد جاءت أخبار الديانة البرغواطية والتي مفادها تنبؤ صالح بن طريف البرغواطي في أهل تامسنا، ودعوته لهم باتباعه سرا وتشريعه للديانة التي صاروا عليها آنذاك، مدعيا أنه أُنزل عليه قرآن من ثمانين سورة يتلونه ويُصلّون به، كما أن واضع نحلتهم عمد للشريعة الإسلامية فانتحل منها الكثير من العبادات والأحكام، وأضفى عليها من ترسبات ثقافتهم التي اكتسبوها من الديانات السالفة، وبعض ما اكتسبه من خلال رحلته للمشرق، أين تلقى الكثير من المفاهيم الفلسفية وتمويهات السحرة والكهان، فجاءت عقيدتهم مزيجا من الوثنيات الغابرة، واليهودية والنصرانية وبعض النتف من الملل المنحرفة، كعقيدة الخوارج الصفرية والرافضة الإمامية.

- **أهمية تعلم العقيدة الصحيحة**

تعتبر العقيدة الصحيحة بمثابة الأساس المتين والركن العظيم، فهي أساس الدين وعليها يبنى العمل، وجوهرها التوحيد الذي لا تكون النجاة ولا تتقبل الأعمال إلا به، وما جاءت الرسل إلا منوهة به وهدم ما يضاده من عقائد الشرك[1]، والواجب على كل مسلم أن يعتقد عقدا سليما يبني عليه أعماله، ويلهج بذكره لسانه[2]، فالعقيدة هي السور المحيط بالدين، ومناعته التي بها يحتمي المسلم من افات الشرك والأحداث في دينه، وما أوتي المسلمون إلا بسبب إهمالهم لعقيدتهم وعدم عنايتهم بها، فظهرت فيهم الأهواء التي كانت فيمن سبقهم من الأمم الماضية.

**أ. عقيدتهم في الله تعالى**

الله –عز وجل–، وكل ما اتخذ من دونه معبودا، إله عند متخذه، والجمع آلهة. والآلهة الأصنام، سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها، وأسماؤهم تتبع اعتقاداتهم لا ما عليه

---

[1] مبارك بن محمد الميلي، **تلخيص رسالة الشرك ومظاهره**، جم أبو عبد الرحمن محمود، دار الفضيلة، الجزائر، ط1، 2013م، ص5.

[2] عبد الحميد بن باديس، **آثار ابن باديس**، إعداد عمار الطالبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1997م، مج2، ص163.

الشيء في نفسه، وهو بين الآلهة والآلهانية[1]، والله علم على الباري، وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء، وهو ليس صفة للخالق بل عطف بيان[2]، فالأسماء الباقية كلها صفات له، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، ولفظة الجلالة "الله" اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى، ولهذا لا يعرف في كلام العرب له اشتقاق[3].

وهذا ما لم نجده في نحلة البرغواطيين التوليفية، فهم أطلقوا على معبودهم تهجية لم تعرف في دين الإسلام ولا في لغة العرب، وإن ذكروه بصفات حسنة مثبتين له بعض الصفات الحسنة كالعلو، إلا أنهم ألحدوا في أسمائه[4]، فأطلقوا عليه اسم ياكش[5] وتعني في رطانتهم الإله[6]، حيث يفتتحون صلاتهم بقولهم: "أبسمن ياكش" أي باسم الله، ويتابعون صلواتهم مرددين ألفاظا ما أنزل الله بها من سلطان، لا في كتابه العزيز ولا في سنة نبيه ﷺ، فيرددون عبارات: "مقر ياكش" ومعناها الكبير الله، "إيحن ياكش" ومعناها الواحد الله، و"ردام ياكش" ومعناها لا أحد مثل الله[7]، وهذا خلاف ما جاءت به السنن وقرره علماء الأصول في مصنفاتهم في باب الأسماء والصفات، إذ أنهم عَرَفوا الله بأسمائه وصفاته التي وردت في

---

(1) ابن منظور، مصدر سابق، ج1، ص140.

(2) محمد بن صالح العثيمين، **شرح الثلاثة أصول لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي**، تح هاني الحاج، دار الإمام مالك للكتاب، الجزائر، ط2، 2012م، ص9.

(3) ابن كثير أبو الفدا عماد الدين اسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تح محمد ناصر الدين الألباني، تخ محمود بن جميل ووليد بن محمد وخالد بن محمد بن عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2002م، ج1، ص ص31-32.

(4) الإلحاد يقصد به التكذيب، كما جاء عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الإلحاد التكذيب، وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والانحراف. ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج3، ص303.

(5) G camps et S chaker, **enscyclopedie berber**, ed peters, 1986, pp431-432.

(6) ألفرد بيل، مرجع سابق، ص ص174-175.

(7) البكري، مصدر سابق، ص253.

الأصلين، كما عَرَفوه بآياته ومخلوقاته[1]، فانقادوا لشريعته وتعبدوه بأسمائه وصفاته[2]. إلا أن خلافا كبيرا أثاره الكُتّاب والمؤرخون حول مسألة تسمية إله البربر بـ: "ياكش"، باعتبار أن الأسماء والصفات في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ توقيفية، لا اجتهاد فيها، وليس هذا اللفظ عربي ولا من اشتقاقات العربية، وأما المستشرقون فقد اختلفوا في تفسير معنى هذا الاسم الذي اتخذته برغواطة اسما لمعبودها من موروثهم القديم، ولقد طفحت كتابات الباحثين على مختلف مشاربهم بجدلية التأصيل التاريخي لهذه التسمية، والبحث عن مصدرها الذي اشتقت منه، فكان أن اهتم الأستاذ الطالبي بهذه المسألة ونقل الخلاف الجدلي الحاصل فيها بين جمهور النقاد والمتدخلين.

قام الأستاذ المذكور بجمع آراء المستشرقين الذين اهتموا بديانة برغواطة، مجمعين على أن هذا اللفظ الذي تعبدت به برغواطة وطلقته اسما لمعبودها، أنه منتحل من الثقافة الدخيلة على البربر، حيث يرى مارسي أن "ياكش" هو تحريف لكلمة "يسوع"، إله النصرانية ودين الإمبراطورية الرومانية، بينما جعله ناحوم شلوس مشتقا من اليهودية معتبرا أن "ياكش" هو تحريف لـ: يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام، وعمدته في ذلك وجود مؤثرات يهودية في دين البرغواطيين، دون أن ننسى أن واضع ملتهم من أصول إسرائيلية، وكان أجداده يهودا بالأندلس، وهو ما قاله المستشرق دوفردان[3].

---

(1) قال محمد بن عبد الوهاب التميمي: فإذا قيل لك من ربك؟ فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، **الأصول الثلاثة وأدلتها**، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1418هـ، ص9.

(2) قال محمد بن إبراهيم آل الشيخ: ما تَعرَّف به إلينا في كتابه وعلى لسان رسوله من وحدانيته وأسمائه وصفاته فهذا أصل الأصول. وقال ابن عثيمين: ويتعرف العبد على ربه بالنظر في الآيات الشرعية في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، وبالنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات، والدليل قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: 20-21]. محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، **شرح الثلاثة أصول**، تح عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 2019م، ص94؛ ابن عثيمين، مرجع سابق، ص ص10-11.

(3) محمد الطالبي – إبراهيم العبيدي، مرجع سابق، ص54.

وأما ديسلان فخالفهم بقوله أن إله البرغواطيين "ياكش" هو مشتق من لفظ "باخوس" إله اليونان، باعتبار النطق العربي لباخوس هو ياكش، وكون طقوس عبادة إله الخمر والمجون كانت منتشرة في بلاد البربر، وهو نفس ما ذهب إليه المستشرق الهولندي دوزي[1]. فند الأستاذ الطالبي هذه الآراء كلها، مبتدئا برأي دي سلان، حيث أفاد أن كاتب مادة برغواطة في دائرة المعارف الإسلامية نقده قائلا: "وقد خطأ بعض العلماء في ظنهم أن كلمة ياكش هي باخوس أو باكص الواردة في الكتابات النوميدية، وضللهم اعتمادهم على صيغة من صيغ هذه الكلمة وهي باكش والتي تعني الله، وهي ترجمة للكلمة العربية وهّاب، وهي كلمة استعملها الإباضيون أيضا بما كان لصالح صلة بالخوارج"، وأما مارسي فقد قام بنفي مزاعم دوزي ودي سلان متمسكا بمسيحية برغواطة، محاولا إثباتها لغويا، لكنه أخفق كما يقول الأستاذ الطالبي: "لو سلمنا جدلا بأن إله برغواطة هو يسوع فأين الأب وروح القدس لتتكامل الأقانيم الثلاث"[2]، ثم إن المسيحية لم تنتشر في أواسط بلاد المغرب بل بالمدن الساحلية المتوسطية للمغرب.

وأما ناحوم سلوش القائل بيهودية برغواطة انطلاقا من أصول مؤسسيها؛ فقد فنده الأستاذ الطالبي معتبرا إياه من المتعصبين لديانتهم اليهودية، متناقضا في ادعائه القائل بيهودية بني صالح سابقا[3].

فالمطلع على ما نقله المؤرخون وأهل الاختصاص فيما يتعلق بالبرغواطية؛ لا يمكنه أن يتنصل من تأثير الديانات القديمة، شركية كانت أم توحيدية، وحتى تأثير مذهب الخوارج يبدو واضحا من خلال سلوك التطرف الذي وسم سياسة البرغواطيين، خاصة إبان حكم يونس بن إلياس ومن جاء بعده، والشاهد على هذا الكلام المجازر التي ارتكبوها ضد

---

[1] محمد الطالبي – إبراهيم العبيدي، مرجع سابق، ص53.

[2] نفسه، ص ص54–56.

[3] نفسه، ص56.

الأهالي[1]، كما ذكرنا آنفا، وإطلاقهم اسم ياكش على معبودهم أسوة بالإباضية الذين يستعملون نفس الكلمة لاطلاقه على لفظ الجلالة[2].

**ب. عقيدتهم في النبوة والرسالة**

النبوة في اللغة من النبأ وهو الخبر، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر: 49]، وقيل النبي من النباوة وهي الارتفاع عن الأرض –أي أنه شرف على سائر الخلق–، وتصغيره نُبَيْء، وتصغير النبوءة نُبَيْئَة، وتقول العرب في التصغير: "وكانت نبيئة مسيلمة نبيئة سوء"، وأسقطت همزتها تخفيفا لكثرة استعمالها[3].

والنبوة من ناحية الشرع هي: صفة تحدث في الشخص بعد أن يصطفيه الله عز وجل، فيخبر بخبر السماء، فإن كلفه بتبليغه للناس يكون نبيا رسولا [4]، وأما الرسالة في مفهوم لغة العرب فهي: الإرسال والتوجيه والتتابع أو المتابعة، أي يتابع أخبار من أرسله، أو هو من تتابع عليه الوحي، وأما من ناحية الشرع فالرسول هو: من بعثه الله بشرع وأمره بتبليغه إلى من خالفوا أوامره[5].

لذلك وصف الشارع الحكيم مدعي النبوة بالمفتري وتوعده بأليم عقابه، إذ يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [العنكبوت: 68]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: 93]، فهذا من أظلم الخلق لأنه عارض شرع الله بشرع مزور نسبه

---

(1) البكري، مصدر سابق، ص250.

(2) الدرجيني، مصدر سابق، ص488.

(3) ابن منظور، مصدر سابق، ج1، ص163.

(4) أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، **عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية**، إش عثمان عبد المنعم، رسالة ماجيستر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع العقيدة، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، 1398م، ص10.

(5) عبد الرؤوف محمد عثمان، **محبة الرسول بيت الاتباع والابتداع**، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، 1414هـ، ص15.

لله زورا؛ بقصد تغيير أحكام الشريعة مجاراة لله في أحكامه وشرائعه، ويدخل في هذا كل من يزعم أنه يقدر على معارضة القرآن[1]، وادعاء النبوة كفر محض صريح ليس يقبل التأويل؛ نظرا لمصادمته نصوص الوحيين من الكتاب والسنة، يقول الإمام ابن كثير: "لا أحد أشد عقوبة ممن كذب على الله، فقال أن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله فلا أحد أظلم منه"[2]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الله تبارك وتعالى جعل محمدا خاتم النبيين، وأكمل له ولأمته الدين، وبعثه على حين فترة من الرسل، وظهور الكفر وانطماس السبل، وكان دينه الذي ارتضاه الله هو الإسلام الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، ولا يقبل من أحد دينا غيره"[3]، والدليل قوله الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: 85].

أعلن صالح بن طريف النبوة في قومه برغواطة، مدعيا أن محمداً رسول العرب خاصة، وأنه رسول إلى قومه من البرابرة برطانتهم[4]، محتجا بقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4]، مدعيا أنه صالح المؤمنين المذكور في سورة التحريم في قوله الله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم: 4]، محرفا قول رسول الله ﷺ "لا نبي بعدي" بضم الياء – وهي في أصلها منصوبة– وقال اسمي "لا" وأنا نبي بعده[5].

لقد تواترت شهادات المؤرخين في تنبؤ صالح بن طريف، وأنه أول أمراء برغواطة من دعا قومه سرا للإيمان به كنبي مرسل بزعمه، يقول ابن حوقل –أقدم من أرخ لبرغواطة–:

---

(1) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تق عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل – محمد بن صالح العثيمين، تح عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2002م، ص265.

(2) ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج3، ص209، ج6 ص124.

(3) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تح علي بن حسن بن ناصر– عبد العزيز العسكر – حمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، د.ط، 1999م، مج1، ص ص78، 81.

(4) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، مصدر سابق، ص82.

(5) مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، مصدر سابق، ص198.

"فدعاهم إلى الإيمان به، وذكر أنه نبي ورسول مبعوث إليهم بلغتهم ..."[1]، ويضيف البكري قائلا: "... وكان من أهل العلم والخير فتنبأ فيهم وشرع لهم الديانة التي هم عليها ... وزعم أن اسمه العربي صالح، وفي السرياني مالك، وفي الأعجمي عالم، وفي العبراني وربيا، وفي البربرية وریاورا، أي الذي ليس بعده شيء."[2]

لقد نبتت نابتة عند بعض المؤرخين المتأخرين فقاموا بتسخير أقلامهم للدفاع عن برغواطة، ونفي مسألة ادعاء النبوة بينهم، ورغم أن ظاهرة التنبؤ لم تكن وليدة الزمن البرغواطي؛ بل منذ صدر الإسلام الأول، والمطلع على ما أرخه أهل الفن يعلم يقينا أن إمارة برغواطة ما قامت دعوتهم إلا على تنبؤ أمرائها، فلا مجال لنفي صحة هذه الأخبار.

يقول الأستاذ سعد زغلول في معرض دفاعه عن برغواطة ونفيه لتنبؤ قادتها: "ويروي الكتّاب أخبارا غريبة عن انحراف أبناء صالح بن طريف وقومهم برغواطة، من التنبؤ وتحريف أصول الإسلام"[3]، مستغربا هذا الخبر ومنزها لهم عن هذه الآفة التي جرفت الكثير من زعماء القبائل العربية، خاصة بعد وفاة رسول الله ﷺ، مما دفع بالخليفة الصديق رضي الله عنه لقتالهم وتسيير الجيوش لحصارهم والقضاء على حركتهم، فعن أي غرابة يتحدث الأستاذ سعد زغلول؟ وكل ما ساقه من حجج للدفاع عنهم لا تقوم به حجة ولا يستقيم به حق، وأما اتهامه للكتّاب بأنهم بالغوا في اتهامهم لأغراض سياسية ومذهبية معادية للبرغواطيين؛ فهذا الكلام يعوزه الدليل، وما حاجة البكري أو ابن حوقل في كيل التهم جزافا لإمارة برغواطة، التي تجاهلها أغلب الرحالة والجغرافيين، بل حتى المؤرخون لم يتوسعوا في التأريخ لدولتهم وذكر أيامهم، ولو كان الكتّاب منحرفين عنهم لما ذكروا تحليهم بالخلال الحميدة والصفات الكريمة، "كتجنبهم للكبائر من الحرام والمحظورات من الآثام"[4]، وهذا لا يخرجهم من ادعاء النبوة والإلحاد في دين الله تعالى.

---

[1] ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، مصدر سابق، ص82.

[2] البكري، مصدر سابق، ص249.

[3] سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ص433.

[4] ابن حوقل، مصدر سابق، ص83.

وقد حاول الأستاذ رجب عبد الحليم[1] أن يثبت نفس الطرح من خلال تحليله لنص ابن حوقل، ومقارنته مع روايتي البكري، واتخذ من سكوت الرحالة والجغرافيين عن ذكرهم لنحلة برغواطة دليلا على عدم صحة ما نقله البكري وابن حوقل، ونسي أن من ذكرهم من الجغرافيين لم يذكروا برغواطة بتاتا ولا تعرضوا لتاريخها، فكيف يريد منهم أن يتطرقوا لديانتهم؟ وربما كان هدفهم إلا يشيع باطلهم، كما أخبر إمام النسابين بن حزم[2].

وأما عبد الرزاق عمر أزريكم فقد اعتقد جازما أن تنزه البرغواطيين عن كبائر الذنوب واتصافهم بحسن الخلق دليل قاطع على صحة ما اعتقدوه وذهبوا إليه في نحلتهم[3]، ولقد أمطرهم كل من نقل خبرهم بعبارات صريحة لا تدع مجالا للشك في انحرافهم في مسألة دعوى النبوة، فابن حوقل يقول عن صالح بن طريف: "... أنه نبي ورسول مبعوث إليهم بلغتهم ..."، وقال بعدها: "فأفسد عقولهم وبدل معارفهم وافترض عليهم طاعته في سنن ابتدعها ..."، ونفس الوصف كاله لأبي الغفير: "... وهو في جميع ذلك يذكر أنه يوحى إليه، وإن الملائكة تأتيه بما يأمرهم به وينهاهم عنهم ..."، فماذا بقي لهم ليتشبثوا به من حجج لنفي تهمة ادعاء النبوة، التي استفاض وصفها عند ابن حوقل؟

وأما البكري فقد أثرى روايتيه اللتين ساقهما بعبارات تدل على ضلالهم وانحرافهم، وفي هذا الصدد يذكر قائلا: "وكان من أهل العلم والخير، فتنبأ فيهم وشرع لهم الديانة التي هم عليها اليوم"، ويواصل بكل وضوح نقلا عن زمور: "وعهد صالح إلى ابنه إلياس بديانته"، وكذا فعل مع بقية أمرائهم فوصفهم بأنهم كانوا يدعون لديانتهم ويقاتلون عليها[4]. وأما تأويل الأستاذ رجب ادعاؤهم للنبوة؛ بأنهم قوم يمارسون السحر والكهانة، فهذا يدل على انحرافٍ يؤكد تنبؤهم كذبا وزورا، لأن الساحر والكاهن يأتيهما الشيطان كما يأتي مدعي النبوة،

---

[1] رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص ص78-79.

[2] ابن حزم، الفصل، مصدر سابق، ج5، ص38.

[3] عبد الرزاق عمر أزريكم، **الغرب الإسلامي من الفتح إلى القرن الخامس الهجري**، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2016م، ط1، ص181.

[4] البكري، مصدر سابق، ص ص248-250.

والعجيب في أمره أنه اعتمد على ابن حوقل والبكري في تفسير ظاهرة التنبؤ، لكنه لو رجع لنفس المصدرين لوجد فيهما ما يشفي غليله، حيث أن ابن حوقل يقول عن صالح بن طريف: "وذكر أنه نبي ورسول مبعوث إليهم بلغتهم"، وهذا الكلام لا يقبل التأويل، ونفس الأمر مع البكري في وصف صالح البرغواطي: "وكان من أهل العلم والخير فتنبأ فيهم". قال ابن حزم في كتابه "الفصل": "... وكفار برغواطة إلى اليوم ينتظرون صالح بن طريف الذي شرع لهم دينهم"[1]، وقال في "الجمهرة": "وبنو طريف من أشونة ومنهم كان الذي تنبأ ببرغواطة فاتبعوه على دينه"[2]، وأما ابن خلدون فقد قال عن يونس بن إلياس: "فأظهر دينهم ودعا إلى كفرهم"، ولم يشذ ابن أبي زرع الفاسي عن جمهور الإخباريين واصفا إمارة صالح بن طريف: " فادعى النبوة وتسمى بصالح المؤمنين ..."[3].

على صعيد الدراسات الإجتماعية قام المبروك المنصوري بالحديث عن ظاهرة التنبؤ في بلاد الغرب الإسلامي من زاوية سوسيولوجية، مستخلصا أن النحلة البرغواطية دين صاغه مخيال محلي، واعتبرها مجرد فهم محلي للإسلام في بيئة مخالفة لبيئة إنتاجه رغم تهميشها، ونعتها بوصف "الدين المحاكاتي"[4].

الظاهر من أن التحليل الذي أقدم عليه المبروك المنصوري لا يخلو من انحرافات ومجازفات، سواء فيما يتعلق بديانة برغواطة، أو فيما يخص بعض الأوصاف التي أطلقها على الشريعة الإسلامية، فيقول عن البرغواطية أنها مصوغة في مخيال محلي كمحاكاة لديانة سماوية، ثم يتناقض ويجعلها فهم محلي للإسلام، والإشكال في هذا التحليل المتضارب هو غياب نماذج مماثلة عن فهوم محلية للإسلام –كما سماها– في بلاد الغرب الإسلامي؟ ومعلوم أن بلاد البربر واسعة، ومأهولة بالبطون والأفخاذ الضاربة في عمق الصحاري،

---

[1] ابن حزم، الفصل في الأهواء والملل والنحل،ج4، ص38.

[2] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص466.

[3] ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص130.

[4] المبروك المنصوري، **ظاهرة التنبؤ في المغرب الإسلامي وأثرها في تشكيل ملامح التجربة الدينية إلى نهاية القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي**، مجلة موارد، عدد 5، 2000م، ص26.

الموغلة في القفار المتنائية عن العمران، ورغم كل هذه العوامل ما حفظت لنا كتب التاريخ، ولا رحلات الجغرافيين هذا الوصف الذي وصل إليه فهمه للبرغواطية، ثم يواصل الباحث استخلاصه الغريب فيصف دين الإسلام بأنه شريعة منتجة في بيئة معينة؟ ويصف أحكام الشرع الحنيف بأنها تصورات فقهية، وكان الأجدر به وبغيره من الباحثين أن يسموا الأحكام الشرعية بمسمياتها باعتبارها وحي منزل، بينما يتم التلاعب بنصوص التاريخ ولي أعناقها لخدمة رأي بعينه، وتسويق صورة خاطئة عن الظاهرة التاريخية محل الدراسة.

ولم يشذ محمود إسماعيل عن بقية المنافحين عن برغواطة ودينها المحدث، فشحذ لسانه وسل سيفه على جملة من المؤرخين المتقدمين، الذين جمعوا لنا تاريخ الإمارة المغمورة، والتي اتخذت من إقليم تامسنا وطنا لها، فلم يسلم منه إلا ابن خلدون[1]، وكان أول من صب عليه جام غضبه، الجغرافي الأندلسي أبا عبيد البكري، الذي نقل روايتين فيهما من الشطط ما فيهما، وقد كان ذلك محمولا على جمع الحقائق والروايات التاريخية كي لا تضيع هباء، وهذا هو منهج كبار المحدثين والمؤرخين من قبل ومن بعد، لكن الأستاذ محمود إسماعيل رفض كل تلك المسوغات التي أوردها البكري، والتي تثبت حقيقة ادعاء صالح بن طريف البرغواطي وذريته النبوة، ووصفها بالزيف وزهد فيها، متهما إياه في صدق نقله لرواية زمور.

وبما أن منطلق رؤيته كان غير مبني على قاعدة علمية ومنطقية؛ فإنه لا بد أن يتناقض، إذ أن البكري لما وصف أخلاق البرغواطيين وصفاتهم هرع ليستدل بكلامه، وكان قد حكم على روايتي البكري بالتناقض، واتهمه وابنَ حوقل بالتحامل على إمارة برغواطة[2]، كما تنقص من ابن أبي زرع الفاسي وابن الخطيب[3].

---

[1] محمود إسماعيل، مغربيات دراسات جديدة، ص ص16-19.

[2] نفسه، ص ص43-44.

[3] نفسه، ص 18.

وبالنسبة لموقفه من رواية ابن خلدون فيما تعلق بمسألة ادعاء النبوة؛ فإنه رأى أنه عمل في رواية البكري عقله النقدي، والحقيقة التي لا يجب العدول عن غيرها، أن ابن خلدون أخذ برواية البكري ولم يشكك فيها، بل اعتمدها وأكد على ضلال آل طريف في ادعاء النبوة، لم يتعامل الأستاذ محمود إسماعيل مع ما كتبه ابن خلدون في هذه المسألة بأمانة، بل حاول التدليس نصرة لما ذهب إليه من نتائج كان قد جزم بها في أول بحثه، وليته لم يفعل، إذ أن ابن خلدون كان صريحا واضحا في مسألة ادعاء النبوة، والشاهد من كلامه عن صالح بن طريف حيث قال: "ثم انسلخ من آيات الله وانتحل دعوى النبوة، وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده، وهي معروفة في كتب المؤرخين، وادعى أنه نزل عليه قرآن، كان يتلو عليهم سورا منه[1]" وقوله عنه كذلك: "وأنه إنما انتحل ذلك عنادا ومحاكاة لما بلغه شأن النبي ﷺ"[2]، ولما وصل لحكومة ابنه إلياس قال: "ولم يزل مظهرا للإسلام، مسرا لما أوصاه به أبوه من كلمة كفرهم"، وهكذا مع إمارة ابنه يونس كذلك: "فأظهر دينهم ودعا إلى كفرهم وقتل من لم يدخل في أمره"[3]، فأين يرى الأستاذ محمود إسماعيل تكذيب ابن خلدون للبكري؟ بل ما هو الفرق الجوهري الذي لمسه بين ما كتبه الرجلان؟

إن المتمعن ببصيرة وموضوعية بين الكتابتين؛ يرى بأم عينيه أنهما خرجتا من مشكاة واحدة، وأن ابن خلدون لم تكن له حيدة واحدة فيما سوده البكري، بل اقتصر في هذه الجزئية على الروايتين اللتين ساقهما البكري رغم أنهما مختلفتان، وإنما أضاف ابن خلدون بعض الجزئيات التي تتعلق بالحروب التي خاضتها الدول المعاصرة لبرغواطة، وهذا يعتبر تقريبا الفرق بين ما خطه الرجلان، ولا يزال مؤرخو العصر الحديث يتفننون في الدفاع عن برغواطة، وآخر ما جادت به قريحتهم ما ادعاه الأستاذ طاهري من أن مسألة النبوة في برغواطة محض تحامل من أهل القلم وإرجاف على عقيدة برغواطة، وهي إن حصلت –أي النبوة– فهي بقوة البصيرة وصفاء النفس وتنبؤ بالمستقبل حسبه، وتوسع في التبرير لهم حتى

---

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص277.

[2] نفسه، ج6، ص 276.

[3] نفسه، ج6، ص 277.

وقع على أم رأسه بتشبيه نبوة من تنبأ منهم بإطلاق المذهب الجعفري الإثنا عشري وصف النبوة على أئمتهم، والذي صاغه في قالب الرياسة الدينية متمثلا بقول صاحب المنية والأمل[1]، ونسي أو تناسى أن الرافضة على اختلاف طوائفهم يرفعون قدر أئمتهم عن الأنبياء والرسل، بل جعلوا منهم شركاء لله في الربوبية وفي الأسماء والصفات، وهذا مثبت في أمهات كتبهم، لا يقدر أحد دفعه عنهم بحال من الأحوال، وقد ذكر ذلك متقدموهم؛ كابن فروخ الصفار، ومحمد بن يعقوب الكليني، ومتأخروهم؛ كمحمد باقر المجلسي، ومعاصروهم؛ كالخميني، في مصنفاتهم السرية والمنشورة[2].

### ج. عقيدتهم في القرآن

القرآن أول أسماء الكتاب العزيز وأشهرها، ومعناه اللغوي مرادف للقراءة، ويدل على جمع واجتماع وهو التنزيل، وسمي قرآنا لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص، ونقول قرأه قراءة وقرآنا إذا تتبع كلماته نظرا ونطق بها[3]، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [القيامة: 17-18]، وأما اصطلاحا فهو اللفظ العربي المعجز المنزل على

---

(1) أحمد الطاهري، **المغرب الأقصى ومملكة بني طريف البرغواطية خلال القرون الأربع الهجرية الأولى**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2005م، ص131.

(2) القمي أبو جعفر، محمد بن الحسين بن فروخ الصفار، **بصائر الدرجات في فضائل آل محمد**، تص وتع الحاج ميرزا محسن التبريزي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم، د.ط، 1995م، ص ص257-501؛ الكليني محمد بن يعقوب، **أصول الكافي**، منشورات دار الفجر، بيروت، ط1، 2007م، ص210؛ المجلسي محمد باقر، **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، تح يحي العابدي الزنجاني، مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي طهران، ط1، 1365هـ، ج23، ص ص99-352؛ الخميني آية الله، **الحكومة الإسلامية**، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2011م، ص ص78-147.

(3) مصطفى ديب البغا - محي الدين ديب متو، **الواضح في علوم القرآن**، دار الكلم الطيب - دار العلوم الإنسانية، دمشق، ط2، 1998م، ص13؛ مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004م، ص722.

النبي ﷺ من أول سورة الفاتحة لأخر سورة الناس[1]، وهو كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا على ذلك بالحقيقة[2].

قام صالح بن طريف البرغواطي باختلاق قرآن من عنده، مدعيا أنه وحي من الله إليه، وتلى عليهم سورا منه بلغتهم[3]، يقول ابن أبي زرع: "ووضع لهم قرآنا يقرؤونه في صلاتهم ويتلونه في مساجدهم"[4]، وكان غرضه من ذلك وضع الخطوط العريضة لنحلتهم الجديدة؛ بهدف الاستقلال الديني والسياسي عن الخلافة الأموية بدمشق، ولقد كان الانتحال من الشريعة الإسلامية السمة الغالبة في ملة برغواطة، في جوانب كثيرة كالعبادات والحدود، مع إدخال بعض المفاهيم ذات الطبيعة البربرية، كدلالة على غلبة النزعة القبلية ذات التوجه الشعوبي على مفاهيم البرغواطيين، فجاءت نحلتهم نسخة مشوهة عن تعاليم الإسلام المستمدة من القرآن وصحيح السنة المطهرة.

ذكر البكري أن قرآن البرغواطيين جاء "في ثمانين سورة، أكثرها منسوبة إلى أسماء الأنبياء منذ آدم، أولها سورة أيوب وآخرها سورة يونس"، وبعض هذه السور قصص لمن غبر "كسورة فرعون، وسورة هامان، وسورة يأجوج ومأجوج، وسورة الدجال، وسورة هاروت وماروت، وسورة طالوت، وسورة النمرود"، ومنها سور بأسماء الحيوانات مثل "سورة العجل، وسورة الديك، وسورة الحجل، وسورة الجراد، وسورة الجمل، وسورة الحنش"، والبعض الأخر من السور بها قصص عن "غرائب الدنيا وهناك العلم العظيم عندهم"[5]، ويظهر الاقتباس والمحاكاة في تسمية بعض السور بأسماء الأنبياء، كما هو الحال في القرآن العظيم، كسورة

---

(1) مصطفى ديب البغا – محي الدين ديب متو، مرجع سابق، ص14؛ جملات عيد محمود أبو ناصر، **لفظة القرآن في القرآن الكريم**، رسالة ماجيستر، إش رياض محمود جابر قاسم، غ.م، كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية غزة، 2011م، ص7.

(2) الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد، **متن العقيدة الطحاوية بيان عقيدة أهل السنة والجماعة**، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1995م، ص12.

(3) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276؛ البكري، مصدر سابق، ص249؛ ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص56.

(4) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص82.

(5) البكري، مصدر سابق، ص254.

محمد، وسورة إبراهيم، وكذا إطلاق أسماء الحيوانات على بعض سور قرآن برغواطة تشبها بقرآن المسلمين، كسورة النمل، وسورة النحل، وسورة البقرة.

لقد أسهب البكري في تفصيل ووصف قرآن البرغواطيين، وأسماء سوره، وعددها، وترتيبها، مقارنة بما أورده غيره ممن ذكر قرآنهم وصفته، مع ذكر جزء مقتضب من سورة أيوب، والتي بها استفتحوا كتابهم[1]، فابن حوقل مثلا جاءت روايته موجزة حيث يقول: "وعمل لهم كلاما، رتله بلغتهم، وشرع فيه محابه على نحلتهم، فهم يتدارسونه ويعظمونه ويصلون به"[2]، ويعتقدون "أنه وحي من الله لا يشكون فيه"[3]. ورغم أن ما قام به صالح بن طريف وبنوه من بعده يعتبر تحريفا صريحا لأحكام الإسلام المستمدة من الكتاب والسنة، وتشويها للفروض الإسلامية[4]، فغيروا بذلك معالم الدين زورا وبهتانا.

قام بعض الباحثين في مجال التاريخ والأنثروبولوجيا بالدفاع عن البرغواطية وقرآنها باستمامة ، وحاولوا تأويل ما فعله صالح بن طريف باتخاذه قرآنا غير الذي جاء به نبي الله ﷺ، فكان سعد زغلول من أقدم المؤرخين الذين حاولوا إيجاد تفسيرات للظاهرة البرغواطية، معتبرا أن بني طريف قاموا بترجمة معاني القرآن الكريم بلغتهم؛ من أجل أن تسهل عليهم العبادة، معتبرا اتهامهم بالزندقة أمر "فيه مبالغة من كتّاب يخدمون أغراضا مذهبية وسياسية معادية لبني طريف"، ولكنه لم يأتنا بحجج مقنعة لما ذهب إليه من رأي، وإنما نقل هذه الافتراضات كما بينه في الحاشية من كتب المستشرقين الأوائل، مثل مارسي، ودي سلان، وباسي[5]، وإلا لماذا لم نجد تراجم غيرها للقرآن في مجتمعات البربر المجاورة لوطن برغواطة؟ مثل قبائل صنهاجة الجنوب، التي رغم تنائيها في القفار البعيدة جنوبا بمحاذاة السودان الغربي؛ إلا أنه لم تنجم فيهم دعوى النبوة، بالرغم من أنهم كانوا من أَولى

---

[1] البكري، مصدر سابق، ص254.

[2] ابن حوقل، مصدر سابق، ص84.

[3] ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص226.

[4] ألفرد بيل، مرجع سابق، ص175.

[5] سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج2، ص433.

القبائل بهذا الفعل؛ نظرا لبعدهم عن العرب ومدنيتهم، لكن المحفوظ عنهم غير ذلك، رغم فشو الآفات الاجتماعية بينهم، مثل الزنا والسرقة وترك الصلاة وقطع السبيل[1]، حتى جاء يحيى بن إبراهيم الجدالي[2] بصحبة عبد الله بن ياسين الجزولي[3]، ودعوا إلى الكتاب والسنة وأسسوا الدولة المرابطية، والتي محت أثر الجاهلية التي كان يعيشها المجتمع الصحراوي أنداك.

وأما محمود إسماعيل عبد الرزاق فإنه أفرد دراسة للدفاع عن برغواطة معتنقا آراء سعد زغلول ومن سبقه من المستشرقين، والتي مفادها أن بربر برغواطة قاموا بصياغة جديدة لشريعة الإسلام بما يتوافق وخصوصية مجتمعهم. لكنه في مقابل ذلك لم يزن هذا الرأي بميزان الشرع، إذ أن أحداث التاريخ الإسلامي لا يمكنها بأية حال من الأحوال فصلها عن أحكام الشريعة الإسلامية، خاصة إذا كانت المسألة لها علاقة وطيدة بالعقيدة الإسلامية كما هو الحال مع تاريخ إمارة برغواطة الذي تميز بوضع ديانة محدثة يضاهون بها دين الله تعالى، لكن الأعجب من ذلك وقوعه في تناقض مريب، فمن جهة تجده يدافع عن ديانتهم وقرآنهم المزعوم في دراسته، التي وسمها بـ: "مغربيات دراسة جديدة"، ومن جهة أخرى وصف صالح بن طريف البرغواطي بالزندقة، وأنه شرع ديانة جديدة في بحثه الذي عنونه بـ:

---

(1) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص124.

(2) يحيى بن إبراهيم الجدالي، أمير قبائل اللثام، خرج حاجا سنة 427هـ وعرج أثناء رجوعه على الشيخ أبي عمران الفاسي، والذي نصحه بزيارة أحد فقهاء السوس ليمده بطالب من طلبته للقيام بأعباء الدعوة في بلاد اللثام بالصحراء، فأمر الشيخ زلو طالبه عبد الله بن ياسين الجزولي للقيام بذلك. ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص243.

(3) عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي المصمودي، إمام المرابطين، وصاحب دعوتهم، اختاره شيخه وجاج للدخول مع الأمير يحيى بن إبراهيم لبلاد صنهاجة من أجل نشر العلم بينهم، حارب البدع وأقام الشريعة، لما تقوى قام بمحاربة صنهاجة حتى أذعنوا، ثم زحف إلى الشمال لقتال زناتة ومصمودة وبرغواطة التي قتل في حروبها سنة451هـ. الزركلي خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، 1986م، ج4، ص144؛ محمود حسن أحمد، **قيام دولة المرابطين**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط7، د.ت، ص114.

"الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري"، والذي نال على إثره شهادة الدكتوراه[1].

ومن الباحثين المتأخرين ممن تأثر بآراء سعد زغلول ومحمود إسماعيل، حيث ادعى الأستاذ رجب في بحثه الذي حمل عنوان: "دولة بني صالح بتامسنا بالمغرب الأقصى"؛ اتخاذ آل صالح بن طريف لقرآن خاص بلغة البربر مجرد "ترجمة دخلها شطط أو خطأ"، ويرى في تصور غريب أن هذه السور التي ذكرها البكري، وحملت سور الأنبياء، هي نفس السور الواردة في القرآن الكريم مع ترجمة معانيها إلى البربرية، معلنا تضعيف رواية البكري التي نقلت لنا مقتطفا من قرآنهم المزعوم بحجة جهالة الناقل[2]، ونسي أن المحدثين يتساهلون في نقل الأخبار والسير، بل تناسى إجماع الأمة[3] على ضلال برغواطة وادعائهم النبوة، وأما دعواه أن السور التي وردت عندهم، هي نفس سور القرآن الكريم، فهذا أمر جد مستغرب؛ لأن الكثير من السور التي وردت في رواية البكري[4]؛ ليس لها ما يقابلها في كتاب الله، مما يجعلنا نقطع جازمين أنه محض انتحال وتشويه مقصود لكتاب الله.

ومن الكتّاب المعاصرين الذين سخّروا أقلامهم للدفاع عن برغواطة وقرآنهم المزعوم؛ الكاتب المغربي جهادي حسين، حيث ألف كتابا ينتصر فيه لبرغواطة منافحا عنهم، مؤولا نصوص التاريخ بما يخدم عصبيته، غير آبه بالحقائق التاريخية، معتمدا على المقارنات الفاسدة بين موقف قبائل برغواطة وموقف كفار قريش من القرآن الكريم، معتبرا أن إيمان قبائل برغواطة بالقرآن الكريم لا يمنعهم من: "الاجتهاد، والتفكير، والإبداع، ليصدعوا بالجديد"، الذي وصفه "الإنتاج الكبير والتشريع العظيم"[5]، كما نعت كل من كتب عن تاريخ

---

[1] محمود إسماعيل عبد الرزاق، مرجع سابق، ص48.

[2] رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص ص83-85.

[3] بوزياني الدراجي، مرجع سابق، ج1، ص133.

[4] البكري، مصدر سابق، ص ص254-255.

[5] جهادي حسين، **نموذج المقاومة المغربية في دولة برغواطة الأمازيغية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، د.ط، 2014م، ص ص26-161.

برغواطة بالجهل وعدم الإحاطة بلهجتهم وثقافتهم، لكنه نسي أن الدول التي ناصبت برغواطة العداء تتكلم لغتهم وتعلم جيدا ثقافتهم، وقد تواطأت كلها على قتالهم؛ وذلك بسبب كفرهم وخروجهم عن الإسلام، كما نقل الإجماع الأستاذ بوزياني الدراجي[1].

وسار على نهجهم الأستاذ عبد الله بنفور الذي تحفظ على إطلاق مؤرخي الإسلام وصف "قرآن برغواطة" على تشريعهم الموضوع واستبدل هذا الوصف باللغة الدينية البرغواطية وهذا الأمر أتى به من عنده حيث لا يوجد له معنى تاريخي قائم بذاته بل هو تشريع ضاهوا به القرآن الكريم شكلا ومضمونا[2].

إن الحقيقة التي وجب عدم العدول عنها فيما يخص تشريع برغواطة؛ هي الاعتقاد أن الذي جاء به صالح بن طريف محض تشويه مقصود، أو كما قال ألفرد بيل في تفسيره لاقتباس برغواطة للشريعية الإسلامية: "... تقليدا تافها لشريعة الإسلام قام به بربري من أجل البربر، مع إضافات هنا وحذف هناك كانت كافية لتشويه الفروض الإسلامية، مع تركها تشف من ورائها"[3]، وقد أطلق العروي وصفا متضادا عن النحلة البرغواطية، قائلا عن مؤسسها بأنه: "لم يرفض تعاليم الإسلام، بل قام بتحويرها"[4]، فكيف جعله من جهة غير رافض لتعاليم الإسلام، ثم يقول أنه حورها، فعن أي قبول كان يتحدث؟ ولو قبِل تعاليم الإسلام ما تصرف فيها، ولا بدلها، ولكن للأسف نجد الكثير من الباحثين حاول عبثا إيجاد مخارج لانحرافات البرغواطيين.

---

(1) بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين، ج1، ص133.

(2) abd allah bounfour, référence précédente, t2, p234.

(3) ألفرد بل، مرجع سابق، ص 175.

(4) عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م، ج2، ص16.

وعلى عكس العروي أقر إسماعيل سامعي بأن قرآن برغواطة؛ هو تشويه وتحريف لكتاب الله[1]، وهو الاجماع الذي نقلة الأستاذ الدراجي قائلا: "... حيث أجمعت المصادر التاريخية على ذلك تقريبا"[2].

## 2. الآثار الفقهية

الفقه لغة؛ هو العلم بالشيء، والفهم له، وحسن الإدراك، والفطنة[3]، يقول تعالى: ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ﴾ [الأنعام: 98]؛ أي: يفهمون، وقوله كذلك: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٨٧﴾ [التوبة: 87]، يقول الحافظ ابن كثير: "لا يفقهون؛ أي لا يفهمون ما فيه صلاحهم"[4]، فنعني به العلم، أو العلم والفهم معا[5]، أما مفهومه الاصطلاحي: فقد عرّفه أبو حنيفة بأنه: "معرفة النفس ما لها وما عليها"، وقد ذكر أبو حامد الغزالي: "أن الناس تصرفوا في اسم الفقه، فخصوه بعلم الفتاوى، والوقوف على دلائلها وعللها"، وقد رأى الشافعية أنه: العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية[6]، وقد يراد به ما أقره الشارع الحكيم[7]، وهو في اصطلاح الفقهاء: مجموع الأحكام والمسائل، التي

---

(1) إسماعيل سامعي، **مدعو النبوة في بلاد المغرب الإسلامي تحدي واستجابة**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2003م، عدد 13، ص138.

(2) بوزياني الدراجي، ج1، ص133.

(3) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص698؛ ابن منظور، مصدر سابق، ج13، ص225.

(4) ابن كثير، مصدر سابق، ج4، ص116.

(5) عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، **المهذب في علم أصول الفقه المقارن**، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1999م، مج1، ص17.

(6) محمد علي التهانوي، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تق رفيق العجم، تح علي دحروج، تر جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م، ج1، ص ص39-40.

(7) السيد سابق، مرجع سابق، ج1، ص10.

نزل بها الوحي، واستنبطها المجتهدون[1]، وبالتالي فالفقه هو: العلم بالأحكام الفرعية باستنباطها من الأدلة الشرعية[2].

لقد كان للبرغواطيين فقه اختصوا به من دون قبائل البربر قاطبة، أورد أهل التاريخ من الإخباريين والرحالة بعضا من أحكامه الغريبة، والذي يستشف منه المطالع له؛ محاكاته الظاهرة للفقه الإسلامي بوضوح، خاصة فيما تعلق منه بالعبادات؛ كالطهارة، والصلاة والصيام، والمعاملات؛ مثل: الزواج، والطلاق، والبيوع، بالإضافة لبعض مظاهر حياتهم الاجتماعية؛ كاللباس، والهندام، والتبادل التجاري مع جيرانهم.

**أ. الوضوء**

الوَضوء في لغة العرب؛ الماء الذي يتوضأ به، والوُضوء: المصدر من توضأت للصلاة؛ مثل الوُلوع، والقَبول، قال أبو حاتم: توضأت وُضوءاً، وتطهرت طُهورا، والوضاءة: الحسن والنظافة. وقد وَضُؤ يوضَؤُ وَضاءة؛ صار وضيئا، فهو وضيء من قوم[3]. ومعناه عند جملة الفقهاء والأصوليين: طهارة مائية تعبدية بصفة مخصوصة، لأعضاء أربعة مخصوصة؛ وهي: الوجه، واليدين، والرأس، والرجلين على وجه التغليب[4].

لم يكن وُضوء البرغواطيين يشبه الوضوء الذي شرعه الإسلام؛ إذ أن وضوءهم يبدأ بغسل السرة، والخاصرتين، ثم الاستنجاء، ثم المضمضة، وغسل الوجه، ومسح العنق والقفا، وغسل الذراعين من المنكبين، ومسح الرأس ثلاث مرات، ومسح الأذنين كذلك، ثم غسل

---

(1) عبد الكريم بن علي النملة، مرجع سابق، مج1، ص18.

(2) ابن بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى، **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ط، د.ت، ص58.

(3) إسماعيل بن حماد الجوهري، **تاج اللغة وصحاح العربية**، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 2009م، ص1251؛ ابن منظور، مصدر سابق، ج15، ص288.

(4) السيد سابق، **فقه السنة**، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2015م، ج1، ص45؛ محمد بن صالح العثيمين، **الشرح الممتع على زاد المستقنع**، دار بن الجوزي، الرياض، ط1، 1422هـ، ج1، ص183.

الرجلين من الركبتين[1]، وأما رفع الحدث الأكبر عندهم؛ لا يكون إلا من الحرام[2]. والملاحظ لهذه الشعيرة التي شرعها البرغواطيون؛ كيف يظهر الاقتباس بوضوح من دين الإسلام، مع تعمد تشويهها؛ بغرض طمس معالمها؛ للتعمية على أنها شعيرة تختلف عما جاء به النبي محمد ﷺ، حيث قاموا بخلطٍ وتأخير مقصود لفرائض معينة، مع غسل أعضاء ليست من صميم الوضوء عند المسلمين، لكنهم تناسوا أنهم جعلوه طهورا بالماء ويسبق الصلاة، إلا أنهم عبثوا بترتيب فرائض الوضوء، ومستوى غسل كل عضو[3]، وكان هذا ديدن واضع ديانتهم مع كل شعيرة من شعائر الإسلام.

حاول جهادي حسين أن يجد مخرجا لتخليط البرغواطيين في مسألة الوضوء، وغسلهم لأعضاء ليست معنيه بالغسل أصلا في شرع الله تعالى، فيضرب في ذلك مثلا بعيد المرام عن تأثر البرغواطيين في وضوئهم باليهود والنصارى: "فاليهود يتوضؤون ولكن ما هي كيفية وضوئهم؟ وما هي كيفية وضوء برغواطة؟"، متسائلا باستفهام عن اقتباس الديانات السماوية من بعضهم حسبه[4]، مسقطا بذلك أمرا جوهريا؛ وهو: أن هذه الديانات منشؤها وأصلها الإسلام الحنيف، دين التوحيد الخالص، وبالتالي فالدين عند الله هو الإسلام، فلا غرابة في تشابه شعائر الإسلام مع بعض ما تبقى من النصرانية واليهودية، ولم يمسه التحريف بشكل كامل، وإلا فالذي عمله بنو طريف البرغواطي شبيه بما أقدم عليه اليهود في تحريفهم لدين الله تعالى.

ثم ساق الحديث الذي رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "ويل للأعقاب من النار"[5]؛ ليستدل به عن تبديل البرغواطيين لشرع الله، وأنى له ذلك، حيث

---

(1) البكري، مصدر سابق، ص253؛ ابن عذارى، مصدر سابق، ج1 ص57.

(2) ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص131.

(3) ألفرد بيل، مرجع سابق، ص175.

(4) جهادي حسين، مرجع سابق، ص ص129-130.

(5) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: تخلف عنا النبي ﷺ في سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: ويل للأعقاب من النار، مرتين أو ثلاثا. الإمام مسلم، أبو =

أن رسول الله ﷺ نبه صحابته لخطورة عدم إتقان الوضوء؛ مما قد يكون سببا في إبطال صلاتهم، وقد نص تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ [المائدة: 6]، فما هو وجه الشبه الذي أراد من خلاله أن يضرب لنا به المثل؟ وما الشاهد من وراء استدلاله بهذا الحديث الصحيح؟ أليس هذا من العبث بنصوص التاريخ؛ بل بنصوص السنة الشريفة؟

اعتبر الأستاذ عباس جبير سلطان التميمي أن: "مثل هاته الأمور موجودة في الدين الإسلامي، خاصة أن النظافة والتطهر تشكل الباب الذي يدخل منه المسلم لهذا الدين؛ فالوضوء قبل الصلاة ... بينما تلك التي وردت في دين برغواطة، فيما يخص وضوءهم؛ فهي معفية عند المسلمين في وضوئهم العادي[1]، ولا ندري ما كان يقصده بكلامه، هل هو موقف حيادي؟ أم هو تبرير غير منطقي لانحراف برغواطة عن جادة الصواب؟

**ب. الصلاة**

اختلف اللغويون واالنحاة في ماهية الصلاة، هل هي ركوع وسجود؟ أم يقصد بها الدعاء؟ كما أشارت إلى ذلك عموم الأدلة من الكتاب والسنة، وأما عند الفقهاء والأصوليين؛ فهي كما عرفوها تقريبا: عبادة تتضمن أقوالا وأفعالا مخصوصة، مفتتحة بتكبير الله تعالى، مختتمة بالتسليم[2]، قال نبي الله ﷺ: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة ..." الحديث[3]، وهي أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات من غير واسطة[4].

---

=

الحسين بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما، دار طيبة، الرياض، ط1، 1426هـ، ر.ح 241، ج1، ص129.

[1] عباس جبير سلطان التميمي، مرجع سابق، ص378.

[2] حمد بن حمدي الصاعدي، **دعائم التمكين**، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ع 110، ص55.

[3] محمد عبد الرحمن مباركفوري، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، د.ت، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ر.ح 2749، ج7، ص ص463-464.

[4] السيد سابق، مرجع سابق، ج1، ص100.

قال أنس ﷺ: "فرضت الصلاة على النبي ﷺ ليلة أسري به خمسين، ثم نقصت، حتى جعلت خمسا..." الحديث[1]، وهي أول ما يحاسب عليه العبد في الآخرة، وهي آخر ما أوصى به ﷺ قبل موته: "الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم"[2]، وهي آخر ما ينقض من عرى الإسلام[3].

وكسائر شعائر الدين تعرضت الصلاة لتشويه وتحريف عجيبين من طرف واضعي دين برغواطة المحدث، حيث قام آل صالح بن طريف إلى بمحاكاة شعيرة الصلاة عند المسلمين؛ حتى تتميز صلاتهم وتأخذ صورة خاصة بهم، وكانت صفة صلاتهم كما نقل البكري أنها إماء بلا سجود، وبعضها على كيفية صلاة المسلمين، يسجدون فيها ثلاث سجدات متصلة -إلا في الركعة الأخيرة فإنهم يسجدون خمس سجدات-، ويرفعون جباههم وأيديهم عن الأرض مقدار نصف شبر، وإحرامهم أن يضع إحدى يديه على الأخرى ويقول: "أبسمن ياكش"؛ وتفسيره باسم الله، "مقر ياكش"؛ وتفسيره الكبير الله، ويضعون أيديهم مبسوطة في الأرض طول ما يتشهدون، ويقرؤون نصف قرآنهم في وقوفهم، ونصفه في ركوعهم، ويقولون في تسليمهم بالبربرية: "الله فوقنا لم يغب عنه شيء في الأرض ولا في السماء"، ثم يقول: "مقر ياكش" خمسا وعشرين مرة، "إيحن ياكش"، مثل ذلك؛ ومعناه: الواحد الله، "وردام ياكش"، مثل ذلك؛ ومعناه لا أحد مثل الله[4].

جاء تشريع برغواطة ينص على أداء عشر صلوات كاملة؛ خمسا بالليل، ومثلها بالنهار، مستعيضين صلاة الجمعة بالخميس ضحى[5]، وأما شعيرة الأذان والإقامة؛ فقد تم

---

(1) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، دار التأصيل، القاهرة - بيروت، ط1، 2014م، ر.ح 2803، ج4، ص ص12-13.

(2) ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الإحياء للكتب العربية، القاهرة، د.ط، د.ت، ر.ح 1625، ج1، ص519.

(3) الألباني، ناصر الدين محمد بن نوح، **صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2002م، ر.ح 216، مج1، ص126.

(4) البكري، مصدر سابق، ص253؛ ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص ص226-227؛ ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص131.

(5) البكري، مصدر سابق، ص226؛ ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص ص130-131.

إلغاؤها، وجعلوا بدلها صياح الديوك ميقاتا؛ فحرموا ذبحه، وأكل كل رأس طير، حتى البيض[1].

لقد كان نهج البرغواطيين في تحريف الشريعة الإسلامية يسير على خط ثابت؛ إذ أنهم عمدوا لكل الفرائض، وما تعلق بها، فغيروا معالمها معتمدين على التحريف والاقتباس، فكانت الصلاة هدفا لهم؛ بغرض صنع ديانة هجينة، ونسخة مزورة عن الإسلام، فجعلوا عدد الصلوات مضاعفا، خمسا بالليل ومثلها بالنهار، كما بين الأستاذ الطالبي قائلا: "... المصادر تشير كفاية إلى استعارتها من الإسلام"، وقوله كذلك: "ولن نذهب إلى حدود التأكد من أن البرغواطيين كانوا يرتلون في صلاتهم نصف قرآنهم، ونصفه الأخر ركوعا، فهذا صنيع يبدوا مستحيلا جسديا"[2]، إلا أن يكون قرآنهم به سور قصار؛ فهنا يمكننا القول أنهم بمقدورهم فعل ذلك، أو ما رواه البكري من تنطعهم في أداء الصلاة.

وهو نفس الاستغراب الذي عبر عنه الأستاذ العبيدي متسائلا: كيف يمكنهم أداء العشر صلوات في اليوم والليلة مع قراءة نصف القرآن وقوفا، ونصفه الآخر ركوعا[3]؟ وتابعهما الأستاذ حركات واصفا صلاتهم أنها: "بطريقة مخصوصة، وأنها ليست من صميم الإسلام"[4]، كما نعتها بالطقوس الغريبة[5]، وأما الأستاذ رجب محمد فقد سار في ركاب المبررين لشذوذ البرغواطيين، موغلا في تأويل انحراف آل صالح بن طريف في تشريع صلاتهم وأدائها، فرأى الأمر من زاوية الغلو والتطرف؛ لأنهم صفرية في الأصل: "كما أنهم غالوا كثيرا في أداء عدد كبير من الركعات"، والحقيقة ليست كما ادعى من أن صلاتهم

---

[1] البكري، مصدر سابق، ص254.

[2] محمد الطالبي – إبراهيم العبيدي، مرجع سابق، ص ص26-27.

[3] نفسه، ص ص51-66.

[4] إبراهيم حركات، المجتمع الدكالي والفكر الديني، ص72.

[5] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، ص103.

بالليل قضاء فائتة[1]؛ بل هي صلاة مأخوذة من الإسلام بصورة مشوهة، مثلها مثل ما سبق من العبادات والاعتقادات.

وكان رأي ألفرد بيل غامضا على غير العادة؛ لأنه رأى أن واضع البرغواطية ألغى الأذان والإقامة، وضاعف عدد الصلوات، معترفا أن كيفية أداء "الصلاة عدلت تعديلا شديدا في بعض هذه الصلوات فيما يتعلق بالسجود"، ثم عاد وصرح أن الاختلاف بين صلاتهم وصلاة المسلمين "ليست ذات أهمية"[2]، وهذه مغالطة وهفوة منه؛ لأن التعديل مس جوهر الصلاة، وأركانها، وواجباتها، وسننها، فعن أي تشابه كان يتكلم؟ والشاهد على هذا قول البكري: "وبعض صلواتهم إيماء بلا سجود".

فإسقاط الركوع والسجود عمدا يبطل الصلاة، والدليل الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن العباس بن عبد المطلب ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب ...الحديث"[3]، وكما يبطل إسقاط الأركان الصلاة، فكذلك زيادتها عمدا يعتبر ناقضا للصلاة، وهو ما تتصف به الصلاة في دين صالح بن طريف، "... وهم يسجدون ثلاث سجدات متصلة؛ إلا في الركعة الأخيرة فإنهم يسجدون خمس سجدات"[4]، كما أسقطوا الفاتحة في أداء صلاتهم؛ لأنهم لما وصفوا صلاتهم لم يوردوا قراءتهم لها. وبالتالي ينتفي وجه التشابه بينها وبين الصلاة في الدين الإسلامي، وتصير صلاتهم باطلة بإسقاط الفاتحة منها، وحتى التشهد لهم فيه صفة عجيبة؛ حيث يقومون "بوضع أيديهم مبسوطة في الأرض طول ما يتشهدون"[5]، وهو خلاف ما جاء في السنن الصحاح، كما ورد في مسلم عن عبد الله بن عباس ﷺ قائلا: "إن رسول الله ﷺ يعلّمنا التشهّد كما يعلّمنا السّورة من القرآن"، فمسألة التشهد والتسليم ليست هامشية؛ بل توقيفية لا يمكن الاجتهاد فيها؛ انما

---

(1) رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص74.

(2) ألفرد بيل، مرجع سابق، ص175.

(3) مسلم، ج1، كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود، ر.ح 229، ص225.

(4) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص131.

(5) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص253.

تحتاج للدليل الشرعي، هذا دون أن ننسى تلاعب البرغواطيين بمواقيت الصلاة، ضاربين كلام الله تعالى عرض الحائط، غير آبهين بخطورة تأخير الصلاة عن وقتها، أو تقديمها كذلك، فكل ذلك يجعلها باطلة لا تصح؛ لأن من شروط صحتها دخول الوقت[1]، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: 103]، وقال عبد الله بن عباس: "أي مفروضا"، وقال أيضا: "إن للصلاة وقتا كوقت الحج"، وبه قال ابن مسعود[2]. وقوله: "... وهم يجمعون يوم الخميس ضحى"[3]؛ أي غيروا وقت صلاة الجمعة إلى يوم الخميس، فهل يبقى بعد هذا للمبررين لهم حجة يتعلقون بها؟

أثار ألفرد بيل مسألة تعبد الله بغير العربية؛ لغة الوحي، وإن الجمهور على عدم جواز ذلك، خلا ما كان من مذهب أبي حنيفة؛ وسبب ذلك أن ترجمة القرآن للأعجمية يخرجه من وصفه وصفته؛ فترجمته لا تعد قرآنا، قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞ﴾ [فصلت: 44]، نفى أن يكون للعجمة إليه طريق، قال علماؤنا: هذا يُبطل قول أبي حنيفة ﷺ، إن التبيان والإعجاز إنما يكون بلغة العرب، فلو قُلب إلى غير هذا لما كان قرآنًا، ولا بيانًا، ولا اقتضى إعجازًا[4].

حشر جهادي حسين حججا بعيدة عن المنطق والعقل، من أجل إضفاء نوع من الشرعية على صلاة برغواطة؛ لكنه فشل كعادته في إثبات براءة البرغواطيين من شبهة تزوير شعائر الدين، فقام يدندن حول انحرافهم عن قبلة المسلمين، محاولا تشبيه ذلك بتغيير قبلة الصلاة في بداية البعثة، وذكر أنهم ربما لم يعلموا بتغيير قبلة المسلمين، وهذه من أعجب ما جاء به[5]، متسائلا: فهل توصلت برغواطة بخبر تحويل القبلة؟ ثم يردف بجواب

---

(1) ألفرد بيل، مرجع سابق، ص176.

(2) ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج1، ص ص244-245.

(3) البكري، مصدر سابق، ص253.

(4) مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، 1995م، ص ص311-312.

(5) جهادي حسين، مرجع سابق، ص209.

غاية في الغرابة وذلك بقوله: "نحن لم نعثر على من بلغ لهم ذلك"[1]، فكيف يعقل أن أحكام الدين وصلت للأندلس غربا، ولحدود الصين شرقا، وقبائل برغواطة لم تصلها أخبار تحويل القبلة؟ وهل جهلت قبائل البربر في الجوار هذا الحكم، وصلوا لغير القبلة؟ ألا يعلم جهادي وغيره من المنافحين عن برغواطة بالباطل؛ أن تغيير اتجاه القبلة حكم رباني؟ ذكره المولى ﷻ في كتابه الكريم بقوله جل شأنه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: 144]، فصلاتنا لبيت المقدس نسخت بعد ستة عشرة شهرا من فرض الصلاة[2]، وبقي المسلمون من ذلك العهد يصلون للمسجد الحرام، فكيف استقام في ذهنه أن البرغواطيين تعلقوا منذ ذلك الحين بالحكم القديم، وهم لم يكونوا مسلمين حينها، بل لم يكن الإسلام قد انتشر في الجزيرة العربية وما جاورها؟ وهذا بسبب جهلهم وبداوتهم[3]، بل هي منظومة كان دأبها تحريف شرع الله تعالى؛ من أجل التحضير لديانة تخدم مشروعهم الشعوبي، القاضي برفض كل ما له صلة بالعرب وثقافتهم.

### ج. الصيام والزكاة

#### 1) الصيام

الصيام في اللغة هو: ترك الإنسان الأكل، وامساكه عنه[4]، وأما ما اصطلح عليه العلماء فهو: التعبد لله سبحانَه وتعالى بالإمساكِ عن المفطرات، مِن طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية، وهو ينقسم إلى فرض وتطوع[5]، فأما صيام رمضان فقد فرضه الله جل شأنه في الكتاب، وبينه نبي الله تعالى في السنة المطهرة، فأما دليله من الكتاب قوله

---

(1) جهادي حسين، مرجع سابق، ص209.

(2) ابن كثير، مصدر سابق، ج1، ص229.

(3) نفسه، ص206.

(4) النسفي أبو البركات عبد الله بن أحمد، **البحر الرائق شرح كتاب الدقائق**، تح زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، ج2، ص447.

(5) السيد سابق، مصدر سابق، ج1، ص ص445-446.

سبحانه: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البقرة: 185]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: 183]، وأما الدليل من السنة على سبيل الذكر لا الحصر، ما رواه البخاري ومسلم، يقول نبي الله ﷺ: "بني الإسلام على خمس ..."، وذكر: "صيام رمضان"، ومن حديث الأعرابي عند البخاري قَالَ: أخبرني مَا فرض اللَّهُ علي مِنَ الصيام؟ فقال: "شهر رمضان إلا أَنْ تطوع شيئا"[1].

لقد خالف البرغواطيون حكم الشريعة بإفطارهم رمضان، واستبدلوه بصيام شهر رجب، كما نقل ذلك البكري، عن أبي العباس المذحجي: "وصوم رجب وأكل شهر رمضان ..."[2]، فهل بقي للقوم ما يعتذر لهم به؟ إذ أنهم شوهوا كل تعاليم الدين، وما وجدوا شعيرة إلا طمسوها، فبالإضافة لصيامهم رجب عوض رمضان، قاموا بفرض صيام الجمعة، وكانوا يرونه فريضة من فروضهم[3]، وهو خلاف السنة الشريفة، حيث نهى رسول الله ﷺ أن تفرد الجمعة بصوم، مصداقا للحديث الذي رواه محمد بن عباد قال: "سألت جابرا ﷺ: نهى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة؟ قال: نعم، فما ترك القوم شيئا فيه نهي إلا أتوه، وما وجدوا ترغيبا إلا فرَّطوا فيه، ولا سنة فعلية إلا شوهوها.

يرى المبروك المنصوري أن البرغواطيون ربما كانوا يصومون صياما تعبديا قبل مجيء الإسلام، كما يقول: "مما يضفي على الصوم الذي جاء به الإسلام صفة الطروء، بينما يثبت الصيام المحاكاتي، ويكون ما قام به المتنبيء؛ هو إثبات بنية الصوم القديمة المستقرة في تراثه التعبدي"، مفترضا أن: "الصيام الأمازيغي كان قد سبق في كل جزئياته صيام الإسلام"،

---

[1] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن بردزبه، **صحيح البخاري**، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 2002م، كتاب الإيمان، ر.ح 8، ص13؛ مسلم، مصدر سابق، كتاب الإيمان، ر.ح 8، ص ص36–37.

[2] البكري، مصدر سابق، ص252.

[3] نفسه، ص253.

وذكر في سياق كلامه أنهم صاموا رجب؛ لقدسيته؛ وباعتبار وقوع معجزات كبيرة فيه، وذلك من لدن نوح عليه السلام[1].

بينما قام جهادي حسين بمقارنة صيام الصحابة رضي الله عنهم لرمضان في بداية فرضه بصيام برغواطة، قائلا عن صيام نبي الله للتطوع: "ثلاثة أيام في كل شهر"[2]، معلقا بقوله "نفس الشيء عند برغواطة"[3]، ولا نرى أين وجه شبه بينهما دفعه لعقد تلك المقارنة؟ وهل صام البرغواطيون التطوع مثل الذي أقره نبي الله ﷺ؟

وبمقارنة كلام الأستاذين في الدفاع عن تشريع برغواطة، ومحاولة تبرئتهم من تهمة تحريف الدين؛ يتضح لنا أن كلامهما اعتمد على طرح افتراضات، وتخمينات بعيدة عن الحقيقة والواقع، ولا أساس لها من الصحة، كما أن جل المقارنات التي جاء بها جهادي حسين ليس لها وجود منطقي، فهي كمن يقارن بين شيئين يختلفان كليا في صفته وجوهره.

فالحقائق تبنى على الروايات التاريخية التي وردت في كتب التاريخ، لا على الافتراضات والتخيلات، فعلى الباحث أن يتحلى بروح العلم وأن يبتعد عن التعصب العرقي، وأن تكون لغته مفهومة لا مموهة، يفهم منها ما يفيد القطع بصحة الشيء المتكلم فيه، ولا يجنح لاستعمال ما يفيد التوقع، كما فعل الأستاذ المبروك المنصوري عند استعماله لأداة التحقيق[4] "قد"؛ ليفترض تصورا يتعلق بديانة البربر الغابرة، فهل يعقل أن نجعل من العادات القديمة لمجتمع ما؛ كواجهة لظاهرة التنبؤ التي ما تركت مجتمعا، ولا زمنا إلا ظهرت فيه؟

والأشد عجبا بينهما الأستاذ رجب عبد الحليم، الذي فسر انحراف وضلال البرغواطيين في مسألة الصيام تشددا وتنطعا في العبادة، وهذه الصفة –حسب رأيه الغريب– اكتسبوها

---

[1] المبروك المنصوري، مرجع سابق، ص21.

[2] جهادي حسين، مرجع سابق، ص 218.

[3] نفسه، ص 218.

[4] محمد محي الدين عبد الحميد، **التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، د.ط، 2007م، ص15.

من انغماسهم من قبل في منهج الخوارج الصفرية، الذين عُرفوا بشحوب وجوههم، واصفرارها؛ بسبب تفانيهم في العبادة، وطول القيام، وكثرة الصيام، حيث يقول: " أن بني صالح وبرغواطة غالوا أيضا في الصيام، فكانوا يصومون يوما من كل أسبوع، ويصومون الجمعة الأخرى التي تليه أبدا، كما صاموا شهر رجب، وليس من المعقول أنهم صاموه بدلا من شهر رمضان كما يقول البكري"[1]، فانظر كيف يلجأ لتكذيب رواية البكري؛ لنصرة نموذجه التبريري، فهل من المعقول أن يتحامل البكري عليهم في موضوع شعيرة الصيام؟ فما نقول في باقي انحرافاتهم التي وردت في روايتي البكري، والتي تخص تشريعاتهم في باب الاعتقاد والعبادات والمعاملات؟

كان دأب صالح بن طريف وبنيه الإتيان بدين مغاير للإسلام، يضمن لهم الاستقلالية، والتميز عن الديانة التي جاء بها العرب من الجزيرة، ونشروها شرقا وغربا؛ وهذا بسبب حقدهم الدفين على كل ما هو عربي، مثلها مثل التيار الخارجي؛ إباضية كانوا، أم صفرية، طالما يسمح لهم ذلك بمواجهة عمال بني أمية؛ للاستيلاء على السلطة؛ بغرض الاستقلال بحكم بلادهم بأيديهم، وأن يكونوا أحرارا في ذلك.

**2) الزكاة**

الزكاة لغة تعني: النماء، والطهارة، والبركة، والزيادة[2]، وعرفها الفقهاء بأنها: التعبد لله تعالى بإخراج الإنسان لجزء واجب شرعا من ماله؛ إذا بلغ نصابا، لجهة مخصوصة، أو طائفة؛ كالفقراء[3]، وسميت زكاة؛ لما يكون فيها من رجاء البركة، وتزكية النفس، فإنها مأخوذة من الزكاء وهو: النماء، والطهارة، والبركة[4]، وللزكاة منزلة في الإسلام عظيمة، إذ

---

(1) رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص75.

(2) علي بن محمد الجرجاني، **معجم التعريفات**، تح محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، 2004م، ص99؛ ابن منظور، مصدر سابق، ج14، ص358.

(3) محمد رواس قلعة جي، **معجم لغة الفقهاء**، دار النفائس، بيروت، ط1، 1996م، ص208؛ ابن عثيمين، الشرح الممتع، مرجع سابق، ج13، ص6.

(4) السيد سابق، مرجع سابق، ج1، ص355.

هي ركن الإسلام الثالث، وأحد مبانيه، وهي قرينة الصلاة، فقد جمع الله بينهما في مواضع كثيرة في كتابه الكريم؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: 43][1]، لقد حجر البرغواطيون واسعا؛ لما حصروا الزكاة في جمع العشر من زكاة الحبوب؛ وبالتالي اختزلت شعيرة الزكاة، وأسقط منها باقي الأصناف، وضيقوا على جامعي الزكاة؛ بأن لا يأخذوها من المسلمين؛ وبالتالي يقل مبلغها؛ بسبب قلة من تؤخذ منهم، وإسقاط الكثير من مصادر جبايتها؛ وبالتالي ضاعت قيمتها وحُرم الناس من خيرها.

ينقل البكري : "وأمرهم أن يخرجوا العشر من جميع الثمار"[2]، وعند بن أبي زرع "ويأخذون العشر من الزكاة من جميع الحبوب، ولا يأخذون من المسلمين شيئا"[3]، كما أسقطوا زكاة الذهب والورق، وهذا شذوذ من الفعل، لكن الأستاذ المبروك المنصوري أول تلك النصوص، التي نقلت لنا أخبار تشريعاتهم، حيث قال عن الزكاة: "أنهم يأخذون العشر من كل شيء"، وهذا غير صحيح كما رأينا، فهم أسقطوا زكاة النقدين، ثم لجأ للتخمين بأنهم ربما كان هذا هو عرفهم، والعادة عندهم في جمع الزكاة[4]، إلا أن الأستاذة سحر كانت قد أجابت عن هذا الاشكال قائلة: "وأما الزكاة فقد أعفاهم صالح منها، واكتفى بجمع العشر من جميع الحبوب"[5].

---

[1] القحطاني سعيد بن علي بن وهف، **الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة**، مركز الدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط3، 2010م، ص11.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص131.

[3] البكري، مرجع سابق، ص253.

[4] المبروك المنصوري، مرجع سابق، ص21.

[5] سحر عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص47.

**د. إقامة الحدود**

الحدود جمع حد، وهو: الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالأخر، وله معنى لغوي آخر وهو المنع، وسميت العقوبة حدا لكونها مانعة من ارتكاب سببها[1]، فنقول حدَّه؛ يعني حبسه، ومنعه من الإقدام، وحدود الله محارمه لقوله تعالى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَا﴾ [البقرة: 187]، وقوله: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا﴾ [البقرة: 229]، وأما اصطلاحا فقد انحصرت تعاريف الفقهاء في قولهم: أنها عقوبة مقدرة[2]، وجبت حقا لله تعالى، صيانة للأعراض، والأنساب، والأموال، والعقول، والأنفس[3]، وهي في كتاب الله ضربان:

ضرب منها: حدود حدها الله للناس في حياتهم، من حيث المأكل، والمشرب، والملبس، والمنكح، وهي نهايات نهى الله عن تعديها.

الضرب الثاني: عقوبات جعلت لمن ارتكب ما نهى الله عنه، كحد السارق، وحد الزاني، وحد القاذف[4].

كانت تشريعات البرغواطيين في باب الحدود انتحالا شنيعا من شرع الله تعالى، كما هو الحال مع كافة أحكام ملتهم، فرتبوا على السرقة؛ حد القتل، عن إقرار منه، أو عن بينة[5]، والله تعالى نص في كتابه الكريم على أن السارق حده القطع؛ لقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ [المائدة: 38]،

---

(1) زياد بن عابد المشوخي، **الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي**، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2012م، ص258؛ السيد سابق، مرجع سابق، ج2، ص427.

(2) زياد بن عابد المشوخي، مرجع سابق، ص258.

(3) وهبة الزحيلي، **الفقه الإسلامي وأدلته**، دار الفكر، دمشق، ط2، 1985م، ج6، ص12.

(4) حسن عيسى عبد الظاهر، **الحدود في الإسلام من فقه الجريمة والعقوبة**، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، قطر، 1985م، عدد 4، ص546.

(5) البكري، مصدر سابق، ص253.

باعتبار أن ذنب السرقة لا يطهره إلا السيف[1]، ومعلوم أن إزهاق روح المسلم في الشرع لا يحل إلا بإحدى ثلاث، مصداقا للحديث الذي رواه البخاري في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "لا يحل دم امرء مسلم إلا بإحدى ثلاث، الزنى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة"[2]، وقول رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه، الذي روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا"[3].

دلت هذه النصوص وغيرها مجتمعة، أن حد السارق قطع اليد؛ إذا كان ما سرقه تفوق قيمته ربع دينار من ذهب، وليس عليه القتل، وأما حد الزنى عندهم أن يرجم الزاني؛ محصنا كان، أو أعزبا، وهذه كذلك خالفوا فيها السنة؛ لأن المحصن يقتل رجما بلا خلاف، ويجلد الأعزب مائة جلدة، كما نص الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ [النور: 2]، مع الاحتياط في تنفيذ هذا الحكم، كما أشار لذلك فقهاء الأمة قديما وحديثا، ودافِع ذلك يكمن في صعوبة إثبات ما اشترطه الشارع الحكيم لإثبات هذا الجرم الشنيع، وهو أربعة شهود من الرجال العدول، وألا تكون بينهم امرأة، ولا فاسق، وقد شهدوا الزنى، ورأوا ما يكون من الرجل مع أهله، كالميل في المكحلة، والرشاء في البئر، وهذا متعذر في أغلب الأحوال، ولو شهد الثلاثة وامتنع رابعهم أقيم عليهم حد القذف، وهو من احتياط الشريعة لأعراض الناس وأنسابهم[4].

ثم إن البرغواطيين جعلوا للكذب –ويسمونه المغير– حدا، ألا وهو النفي[5]، والتغريب عن الأوطان، وهذا لا وجود له في الشرع، بل هو عقوبة ملحقة بحد الزنى، والسرقة، والتزوير، وغيرها من المعاصي التي تستوجب الحدود، ولم يرد نص في نفي الكاذب على

(1) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص131.

(2) البخاري، مصدر سابق، ر.ح 6878، ص1701.

(3) متفق عليه. البخاري، باب الحدود، ر.ح 6790، ص1680؛ مسلم، كتاب الحدود، ر.ح 1684، ص1213.

(4) السيد سابق، مرجع سابق، ج2، ص ص463-464.

(5) البكري، مصدر سابق، ص253.

رأي الجمهور[1]، ولـيس لهـا علاقـة بالكـذب، وإنمـا مـا ورد فـي حـد الافتـراء؛ هـو أن يجلـد المفتري الكذاب؛ للحديث الذي رواه الحافظ ابن كثير، في مسند الفاروق، عن عامر الشعبي، من أن عمرا ﷺ قال: "لا أوتى برجل فضّلني على أبي بكر ﷺ إلا جلدته أربعين ..."[2].

ولقد جاء الحديث عن الديات في نحلتهم جد مقتضب ومبهم، حيث أشار البكري إلى أنه مائة من البقر[3]، دون ذكر أي تفصيلات أخرى، فدية الرجل المسلم ليست كدية الكافر، ودية المرأة نصف دية الرجل في ديننا، ثم هناك دية مغلظة، وأخرى مخففة، ودية عن الأعضاء، وعن الجروح، والشجاج، ودية الجنين وفيها تفصيل مبسوط في كتب الفقهاء[4]، وكل هذا مسكوت عنه وغير موضح في رواية البكري، فما علمنا هل هذا بسبب اقتضاب في الرواية عن زمور؟ أم أنه لم يبلغه تفصيلها فجاءت مبتورة مبهمة؟ وعلى العموم فذكر مائة من البقر فيه إشارة واضحة على انتحالها، ونسخ حكمها من الإسلام، مع استبدال الإبل بالبقر، والإبقاء على قيمة الدية مائة.

### 3. العادات والمعاملات

#### أ. الزواج والطلاق

للبرغواطيين في عقد الزواج عادات ما أنزل الله بها من سلطان، وسلوكيات تأباها الفطر السليمة، تنم عن توجه بهائمي غريزي، ولم يدرك مفهوم الزنى عندهم، إذ النكاح في ملة بني صالح أن يباعل الرجل ما يشاء من النسوة، وينفق عليهن بلا حد، وهذا خلاف

---

[1] الحموي أسامة محمد منصور، **عقوبة النفي دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي والقانون**، كلية الشريعة، جامعة دمشق، 2003م، مج19، عدد 2، ص ص494-531.

[2] ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي، **مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب وأقواله على أبواب العلم**، تح عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، 1991م، ج2، ص522.

[3] البكري، مصدر سابق، ص253.

[4] السيد سابق، مرجع سابق، ج3، ص ص39-50.

القرآن والسنة، وما تعدى حكم الكتاب فهو نكاح باطل وزنى[1]، كما حرموا الزواج من المسلمين، ومن بنات العم إلا ثلاثة جدود، ولا يتسرون كذلك، وأما الطلاق عندهم لا تبين منه الزوجة، ولو كان ألف مرة في اليوم[2]، فهم يطلقون ويراجعون ما أحبوا[3]، وهذا من جنس تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرمه، يقول المولى جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٨٧﴾ [المائدة: 87]، وهو مناف للسنة كما بينه العلماء[4]، وقد ثبت أن أمراء دولتهم تزوجوا بعدد كبير من النساء، حيث يقول البكري عن أبي الغفير –الذي خلف يونس بن إلياس بن صالح– "... وكانت لأبي الغفير من الزوجات أربعة وأربعون زوجة، كان له من الولد بعددهن"[5].

**ب. الطعام واللباس**

ومن العادات الغريبة عندهم، امتناعهم عن أكل بعض أصناف الحيوانات الداجنة، وتحريم رأس كل حيوان، وأنهم لا يأكلون السمك إلا أن يذكى، ويكرهون أكل الدجاج إلا اضطرارا، وأما البيض فقطعوا بحرمة تناوله[6]، وما هذه إلا ترسبات ورثوها من ثقافات أمم غابرة مرت على وطنهم، فنثرت منها عادات علقت بهم، فصيروها دينا، ورتبوا عليها كفارات، وعظموا بعض الطيور؛ مثل الديوك، يتخذون زقاءها مكان الأذان لصلاتهم، فهم يرون حرمة أكلها[7]، وقد بقيت بعض هذه العادات في إقليم الشاوية[8]، وجنوب مراكش، إلى

---

(1) السيد سابق، مرجع سابق، ج3،، ج2، ص469.

(2) ابن أبي زر الفاسي، مصدر سابق، ص131.

(3) البكري، مصدر سابق، ص253.

(4) يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره: نزلت في رهط من الصحابة الأطهار حرموا على أنفسهم المأكل والملبس والمرقد والمنكح، وذهبت طائفة من العلماء لتكفير من يحرم المعلوم من الدين وتحليل المحرم وجعلوه ردة عن الإسلام. ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج3، ص103؛ السيد سابق، مرجع سابق، ج2، ص500.

(5) البكري، مصدر سابق، ص250.

(6) البكري، مصدر سابق، ص254.

(7) نفسه، ص254.

(8) ألفرد بيل، مرجع سابق، ص176.

الآن يعظمون الديوك، ويدفنون عظامها، ولا يأكلون رأسه، وأما أحوالهم في اللباس؛ فقد اشتهر بعض من أمرائهم بعدم لبس العمائم، والأقمصة، إلا في الحرب، فهم لا يعتمون، ولا يلبس أحد منهم العمامة، إلا الغرباء[1].

### ج. الجنائز

لقد أثبتت الدراسات الأثرية التي أجراها فريق من الخبراء في علم الآثار، بمنطقة زعير، قرب المحمدية، والتي أجريت على قرابة 105 مواقع أثرية جنائزية، أن البرغواطيين ربما استعملوا غرفا للدفن؛ أسوة بالأمم الغابرة، وهو ما تم إماطة اللثام عليه بمقبرة سيدي بوعمر[2]، والمكتشفة سنة 1997م، على بعد خمسة كيلومتر شرق المحمدية، وهي في الأصل مقبرة قديمة لايزال جزء منها مستخدما للدفن، وكانت شواهد القبور التي اكتشفت بالغرف الجنائزية تحمل نقوشا أثرية لا تمت بصلة للعصور القديمة، كما أنها ليست إسلامية صرفة، وهي نفس الشواهد الموجودة في رأس بدوزة بالفضاء البرغواطي القديم، وهو ما يعطي الانطباع أنها غرف دفن عائلية، وهكذا يمكن القول أن فريق التنقيب الأثري، يكون قد عثر على الشواهد الأولى، التي تعود للفترة البرغواطية، خاصة أن هذه الشواهد اختصت بها منطقة آسفي، والرباط، وهي من ضمن وطن برغواطة القديم[3].

### د. أحوال أخرى

يعتقد البرغواطيون البركة في أمرائهم، "فكانوا يبصقون في أيديهم فيلعقونه تبركا به، ويحملون بصاقهم إلى مرضاهم يستشفون به"[4]، وكانوا "أعلم الناس معرفة بالنجوم، وأحذقهم بالقضاء بها"[5]، وليس هذا بمستغرب؛ إذ أن أكابر متنبئيهم وأمراءهم، كانوا يتعاطون

---

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص278.

[2] أحمد سراج – خديجة الخديري، مرجع سابق، ص105.

[3] أحمد سراج – خديجة الخديري، مرجع سابق، ص ص106–107. ينظر الملحقين 02 و03.

[4] البكري، مصدر سابق، ص254

[5] نفسه، ص254.

التنجيم، أخذوه من المشرق ونبغوا فيه، وجلبوه لبلادهم ونشروه بين قومهم، كما كان صالح بن طريف لما دخل العراق، ودرس النجوم، وقوّم الكواكب، وعمل التقاويم والمواليد[1]، فلا غرابة في أن يتعلم منه رعيته ذلك، ويحذقون فيه.

عُرف البرغواطيون ببعض الأخلاق التي دعاهم إليها حكامهم؛ "كالإقبال على الزهد، وترك الدنيا، إلى أن حُفظ عنهم صبرهم على الطعام خمسا، وسبعا، وتسعا من الدهر، وفيهم أمانة، وبذل للطعام، وتجنب للكبائر من الحرام، والمحظورات من الآثام، وفيهم جمال بارع، وشدة بأس، وصبر على القلاء والمراس"[2]، حتى كانت "الجارية البكر منهن تثب ثلاثة حمر مصطفة، ولا يمس ثوبها شيئا من الحمر، ولا تقدر على ذلك ثيب"[3]، وكانوا في حروبهم على قدر عظيم من الشجاعة، والإقدام على الموت، كما كانوا من أكثر القبائل سفكا للدماء، قساة القلوب، لا تأخذهم رحمة ولا شفقة على من عاداهم، ولو كان أعزلا من السلاح، والفظائع التي ارتكبوها خير شاهد، فقد بلغوا منها ما يشيب له الرأس؛ كبقرهم البطون، وجزرهم لرقاب الناس، حتى أفنوا قرى بأكملها، ويصدق فيهم قول سعيد بن هشام المصمودي:

ألم تسمع ولم تر يوم بهت *** على آثار خيلهم رنينا
رنين الباكيات فبين ثكلى *** وعاوية ومسقطة جنينا[4]

عَرفت برغواطة كباقي قبائل البربر ديانات متعددة، تراوحت بين الوثنية والمجوسية، متأثرين بمن سبقهم من الأمم البائدة، التي كانت لها الصولة عليهم، فقلدوهم في مثقفاتهم، واتخذوا أوثانهم، واعتنقوا معتقداتهم، وانتقل بعدها مجتمعهم لاعتناق الديانات السماوية للأمم الوافدة عليهم؛ وذلك جراء الهجرات الجماعية تارة؛ كاليهود الهاربين من بطش بختنصر،

---

(1) ابن حوقل، مصدر سابق، ص82.

(2) نفسه، ص83.

(3) البكري، مصدر سابق، ص254.

(4) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص277.

وتارة أخرى على شكل حملات عسكرية؛ كالرومان الذين نشروا بينهم دين النصارى، حتى إذا جاء الإسلام ومحى تأثير هذه الديانات، عفى الزمن أثرها، ولم يبق منها إلا بعض المتعلقات، التي صارت جزءاً من ثقافات وعادات البرغواطيين، لكن لم يلبث الإسلام إلا برهة حتى تسلل للمجتمع البربري أفكار الخوارج، والثورة، تساقطت إليه؛ نتيجة فرار رؤوس بعض الخوارج؛ هروبا من بطش بني أمية، فخرج من خرج من أمرائهم، وطلابهم، وبعض مشيختهم لبلاد البربر فأفسدوهم، وبثوا فيهم أفكار الخروج، بعدما كانوا من أطوع الأمم وأبعدهم عن الفتن والقلاقل.

ولما فشت فيهم ريح الخوارج وأسهموا فيها؛ شبت نار الثورات في بلادهم، فكانوا هم وقودها؛ فطحنتهم رحى الحرب، وأكلت منهم بطونا وأفخاذا وقبائل شتى، ولم تنته إلا بفشلهم الذريع في تحقيق ما كانوا يرومونه من الاستقلال التام عن خلافة العرب وحكمهم بالمشرق، ولما كانت عليهم الدبرة في معركتي القرن، والأصنام، وهم ألوف مؤلفة؛ فهموا حينها أنه لا سبيل لجمع كلمتهم تحت راية واحدة، خاصة بعد مقتل كبيرهم ميسرة السقاء المدغري، فما كان منهم إلا أن انحاشوا كل لعشيرته ووطنه، وأعلنوا أنهم أمراء على قومهم، وهم في حقيقة أمرهم كانوا ملوكا عليهم يتوارثون الملك كالعرب، فوقعوا فيما عابوه على الأموية، وكان لبرغواطة نصيب من هذا الذي صاروا إليه، فبايعوا لطريف بن شمعون البرغواطي الصفري.

سار طريف خلال سنوات حكمه في صمت مطبق، رجح كافة المؤرخين أنه لم يخرج عن تعاليم مذهب ابن صفار، الذي جاء به عكرمة البربري مولى بن عباس مطلع القرن الثاني للهجرة، فلم يتخذ لهم شريعة غير الإسلام، ولم يعقد لهم غير الصفرية معتقدا، حتى إذا اشتد ابنه صالح وضعف هو عن الحكم؛ تنازل له وأوصاه، فأخذ صالح هذا في تأصيل ما كان يجيش في صدره، وما تلقاه من خلال هجرته للمشرق، فوضع لهم أساس ديانتهم التي دانوا بها، ووضح أحكامها، ثم عهد بكل ذلك الإرث الثقيل لابنه إلياس وأوصاه ألا ينشر أحكام نحلتهم حتى يقوى ويأمن، ودله على أن يبقي باب الأمويين مفتوحا لا يصده، مرشدا إياه إلى استعمال العنف والقسوة مع مخالفيه، فكان إلياس هذا حكيما حليما عفيفا، لم يتلبس بأمور الدنيا، ولم يظهر شيئا مما عهد به والده، ولما تولى ابنه يونس وجد الأمور ممهدة، والقوة موفورة، والأمن ضارب سرادقه؛ فكشر لهم عن أضراسه، وجهر بما أسر به

آباؤه؛ فقتل مخالفيه، ونشر عقيدة البرغواطية بحد السيف، فكان أول من أعلنها في قومه، وفي القبائل المجاورة لهم، حتى هابوه ودخلوا في دينه، وهكذا مع الذي خلفه في استعمال البطش والتقتيل، إرهابا للأهالي؛ من أجل أن يعتنقوا نحلتهم الموضوعة.

لقد كانت البرغواطية مزيجا من الإسلام، ومثقفات الأمم الغابرة، التي كانت قد علقت بالمجتمع البربري طيلة حقب الزمن الغابرة، حيث قام واضع أحكام دينهم بانتحال أحكام الشريعة، مع تغيير جوهرها، وإضفاء تلك المتعلقات الدينية المتوارثة من تراثهم المكتسب طيلة الزمن الماضي؛ فجاءت تأثيرات تلك الديانات على البرغواطية ظاهرة لا تخفى على صاحب لب، سواء في معتقدهم وفقههم، أو في معاملاتهم وهيئتهم.

# الفصل 4:

## الواقع السياسي لإمارة برغواطة وآثاره على بلاد المغرب

وفيه:

- تأسيس إمارة برغواطة
- أمراء برغواطة
- العلاقات الخارجية للبرغواطيين

## I. تأسيس إمارة برغواطة

عرفت بلاد المغرب أحداثا كبرى مطلع القرن الهجري الثاني، كان لها نتائج سياسية خطيرة؛ توجت بظهور إمارات، ودول ببلاد المغرب الإسلامي؛ إيذانا ببداية ظهور مخايل الضعف والتضعضع على الدولة الأموية، التي بدأت تفقد الكثير من الأقاليم لصالح الثوار، والخوارج، والعلويين، الفارين من الضربات التي تلقوها من طرف قادة الجيوش بالعراق، والشام، والجزيرة، وكان أن تسربت تلك الأفكار المتشبعة بالمطالبة بالعدالة، والحرية للمجتمع البربري؛ فتلقفتها الجماعات الصفرية، وتنادوا بها، ولما كانت عليهم الدبرة في معركتي القرن، والأصنام، الشهيرتين سنة 122هـ؛ انزووا لأقاليمهم، وأسسوا كيانات محلية؛ فكان من نصيب طريف بن شمعون البرغواطي إقليم تامسنا الخصيب، أقام فيه إمارة صفرية له ولنسله، ثم ما لبثت تلك الإمارة أن تغيرت عقيدتها، وصارت تدين بنحلة لا تمت للإسلام الذي جاء به الفاتحون بصلة، وصار لهم قرآن خاص بهم، وأحكام شاذة ما أنزل الله بها من سلطان.

### 1. أسباب قيام الإمارة

كان من نتائج قيام الدولة الأموية على مبدأ العصبية القبلية؛ كبير الأثر في تغول بعض ولاة، وعمال الأقاليم البعيدة عن أعين الخلافة؛ إذ أن سياسة بعض هؤلاء الولاة كانت تتسم بالتعالي على الرعية، وتحقير كل جنس غير عربي، ومن هنا تشكلت الثغرة، التي دخل منها دعاة الثورات، من فرق الخوارج على مختلف مشاربها؛ فتساقطت أفكارهم ومبادئهم على الأمصار النائية عن مقر الخلافة في دمشق، وكان من نصيب المغرب أن فر إليه بعض دعاة الصفرية، والإباضية، والعلويين من العراق، والجزيرة؛ فأفسدوا رعيته، ودفعوهم لاعتناق الخارجية، ولم يلبث الأمر سريعا حتى اشتعلت الثورات، واضطرمت نارها؛ مما أدى لتقلص حكم الخلافة، وخرجت أقطار كبيرة، ورساتيق شاسعة عن حكمهم، فكان لزاما على الثوار أن يأخذوا المبادرة ويسدوا الثغرة؛ وبالتالي ظهرت إمارات علوية، وخارجية ببلاد المغربين الأقصى، والأوسط، وكان من بين هذه الإمارات إمارة آل صالح بن طريف البربرية، التي تأسست على ساحل البحر المحيط، وعرفت في كتب التاريخ بإمارة برغواطة، ومقرها تامسنا، وقد كان لبروزها عوامل وأسباب متعددة.

**أ. الأسباب السياسية**

اتسمت سياسة بعض ولاة بلاد المغرب بالعسف، والجور مع الرعية، واستعمال العنف، والتعذيب، وإصدار المكوس التي أثقلت كاهل الأهالي، ناهيك عن سياسة الإذلال التي استعملوها إمعانا في تحقير البربر، وغصب حقوقهم، خاصة بعد تولية يزيد بن عبد الملك(101-104هـ)، هذا الأخير كان يرى أن سياسة التسامح واللين غير مجدية، وأن سياسة العنف أجدى للدولة، وخاصة بعدما رأى أنّ نتائج سياسة سلفه أتت أكلها، وتحول البربر أفواجا للإسلام؛ وبالتالي انقطاع السبي والجزية؛ مما أضر ببيت المال، فدفعه ذلك لتعيين يزيد بن دينار (102هـ) واليا على بلاد المغرب[1]؛ من أجل جباية أموالهم، وخراج أراضيهم، وسبي نسائهم، هذه السياسة الفظة أدت في الأخير إلى تجرؤ البربر على الخلافة، وقاموا بقتل الوالي، وإعادة سلفه إلى الحكم[2].

ومن الأمثلة الحية عن انتهاج الأمويين لسياسة العنف والشدة في حكم بلاد المغرب؛ تعيينهم لعبيدة بن عبد الرحمن السلمي(110-115هـ)، الذي أمعن في غزو البربر، وإذلال كبرائهم[3]، ونهب أموالهم، ونفس السياسة انتهجها خلفه عبيد الله بن الحبحاب(116-121هـ)، الذي أبان عن براعة كبيرة في الجانب الإداري؛ لكن للأسف كان قيسيا عنصريا متعصبا لقيسيته، لا يقيم وزنا لغير العرب؛ فعانى البربر من تعسفه وجبروته[4].

هذا دون أن ننسى تعصب هؤلاء العمال والولاة لقبليتهم، فإذا كان الوالي قحطاني؛ فإنه يقوم بتقريب اليمانية، ويقسوا على العمال القيسية، وكلما تم تعيين والي قيسي؛ يقوم بالبطش بالبربر، واليمانية، باعتبارهم أول العرب قدوما لبلاد المغرب؛ فكان من نتائج هذه السياسة الجائرة أن قامت الثورات ببلاد المغربين الأقصى، والأوسط، وطال أمدها، ولم تنته إلا

---

(1) فرج محمد الهوني، مرجع سابق، ص257.

(2) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص48.

(3) خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص145.

(4) سعد زغلول، مرجع سابق، ج1، ص279.

بفقدان الخلافة لأجزاء واسعة من بلاد المغرب، مما عجل بظهور كيانات ذات التوجه الخارجي.

**ب. الأسباب الفكرية**

وتتمثل في زحف أفكار الخروج، والثورات لبلاد المغرب؛ بسبب جملة من العوامل تظافرت، وعجلت بظهورها؛ ولعل أهمها:

فشل فرق الخوارج إجمالا ببلاد المشرق وتفرقها؛ بسبب تشعب أفكارها، وغلبة الهوى على منظريها، ونظرا للضربات القوية التي تلقتها على يد كبار القادة الأمويين؛ كالمهلب بن أبي صفرة، والحجاج بن يوسف الثقفي، مما جعلها تغير نهجها من العمل الثوري للعمل السري[1] ونظرا لتطرف بلاد المغرب، اتخذته رؤوس الحركات الثورية كحاضنة بعيدة من مركز الخلافة، ساعدها هذا في إعادة ترتيب أفكارها، وبعث دعوتها الفكرية، منها التي تمحورت حول تحقيق العدل، والتداول على السلطة، فكانت بلاد المغرب المكان الملائم لنشر دعوتهم[2].

ملائمة أوضاع بلاد المغرب لمثل أفكار الخوارج؛ بسبب حالة الاحتقان التي صار يعيشها البربر؛ نظير السياسة الجائرة التي طبقت عليه من طرف بعض ولاة الأمويين، وعمال النواحي، وهو ما استغله دعاة العراق فقاموا ببث أفكار الثورات في الرعية، وغيروا معتقدهم في باب طاعة ولاة الأمور؛ فصيروهم بسبب ذلك على مذهب الخوارج، يرون السيف على الولاة، من أجل تغيير المنكر، كما نقل ذلك الطبري، وابن الأثير، وغيرهما في مصنفاتهم[3].

---

[1] موسى لقبال، مرجع سابق، ص153.

[2] محمد علي دبوز، مرجع سابق، ج2، ص221.

[3] الطبري، مصدر سابق، ج4، ص245.

وقد كان لتفاعل العوامل المذكورة الأثر الكبير في اعتناق البربر لفكر الخوارج، والقتال من أجل فرض مبادئهم، والتي تضمن للعنصر البربري الاستقلال، والعيش بكرامة[1]، وهذا حسب فهومهم التي استقوها من دعاتهم[2] الذين قدموا من المشرق، حيث قاد زعماؤهم الذين تتلمذوا على دعاة الخوارج الثورات، التي أقامها البربر على الخلافة؛ كميسرة المدغري، وطريف بن شمعون مؤسس دولة برغواطة[3].

### ج. الأسباب الاجتماعية

تتمثل الأسباب الاجتماعية التي عجلت في قيام إمارة برغواطة في عاملين مهمين:

#### 1) العامل الأول: الموروث الثقافي

ونقصد بها: مجموع العادات، والتقاليد، واللغة، والممارسات، والطقوس الدينية، التي توارثها العنصر البربري من جيل لآخر عبر الزمن، وهي ما شكلت عائقا صلبا أمام تقبل الإسلام في البداية؛ باعتبارها لصيقة المجتمع الإنساني[4] في كل زمان ومكان، حيث استغرقت عملية الفتح أزيد من سبعة عقود[5]، ولما لاحت بادرة الثورة والخروج مطلع القرن الهجري الثاني؛ كانت بمثابة المتنفس لهم للحفاظ على ثقافتهم، والنأي عن مثاقفة العرب، ومنها الممارسة الدينية والموروث اللغوي[6].

---

(1) سعد زغلول عبد الحميد، **فترة حاسمة من تاريخ المغرب موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين في أفريقيا ونقلتهم إلى مصر**، مجلة كلية الآداب، جامعة بنغازي، ع1، 1958م، ص219.

(2) الدرجيني، مصدر سابق، ج1، ص11.

(3) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص107.

(4) عاطف عطية، **الثقافة الشعبية أساس الحضارة الإنسانية**، مجلة الثقافة الشعبية، المنظمة الدولية للفن الشعبي، مطبعة أوال، البحرين، ع43، 2020م، ص9.

(5) إيمان شعبان، **الآثار الحضارية للفتح الإسلامي لبلاد المغرب**، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر2، ع 8، 2020م، مج3، ص384.

(6) شنعة خديجة، **برغواطة قراءة جديدة في إشكالية صدها للتعريب**، مجلة مدارات تاريخية، جامعة أحمد بن بلة وهران1، مج1، ع2، 2019م، ص240.

**2) العامل الثاني: ذهنية الفرد البربري**

من بين أهم العوامل التي عجلت بقيام الإمارات الخارجية ببلاد المغرب عامة، وإمارة برغواطة بشكل خاص؛ هو عقلية الفرد البربري، التي تميزت بصفات ذهنية، وعقلية انفعالية متشددة[1]، تأبى الضيم، والتسلط، وتتطلع لنيل الحرية، والاستقلال عن مثاقفة العرب وهويتهم، مع الاحتفاظ بنسخة محلية معدلة عن ديانتهم، مشوبة بمعتقدات البربر القدماء، مضاف لها بعض من معتقدات الأمم الغابرة، التي كان لها مرور ببلاد المغرب.

**2. أصل طريف بن مالك**

لقد اختلف المؤرخون في شخصية طريف، وذهبوا مذاهب شتى في بيان حاله وإثبات نسبه، فمنهم من نسبه لقبائل النخع العربية، ومنهم من جعله بربريا من مصمودة، وآخرون نسبوه ليهود الأندلس، من بني يعقوب بن إسحاق، من حصن برباط قرب شذونة، بينما سكت فريق آخر والتزموا الحياد، مكتفين بنقل آراء كل فريق، على غرار ابن الخطيب[2]، واختلفوا في كونه نفس الفاتح الذي قاد أول حملة استطلاع لفتح الأندلس، أم هو شخص آخر غيره. ورغم كل هذا الاختلاف إلا أن المؤرخين اتفقوا أن مؤسس إمارة برغواطة كان من قواد ميسرة المطغري –رأس الصفرية–، وأنه حضر حروبه مع ابنه صالح، ثم لما قتل البربر قائدهم ميسرة انحاش لإقليم تامسنا، وبايعته قبائل برغواطة، فقدم ابنه صالح واضع أسس ملتهم.

فمن المؤرخين القدماء القائلين أن طريف بن مالك هو نفس القائد الأموي الذي جاز المضيق قبيل افتتاح الأندلس، نجد البكري صاحب الروايتين الشهيرتين[3]، ومن المتأخرين عبد العزيز الثعالبي، وسعد زغلول، وغيرهما ممن أخذ برواية البكري دون التفات للرأي المخالف، والذي ينص على أن طريفا هذا نفسه أمير سرية فتح الأندلس، فعبد العزيز

---

(1) ALI DRIS, **L'Histoire de l'Education et les Idées Pédagogiques en Ifriqiya. Depuis Ibn Sahnûn - m. 256/869 jusqu'à Ibn Haldûn - m. 808/1406,** Thèse de Doctorat d'Etat, encadrement par André Miquel, Université de la Sorbonne Nouvelle, T III, p513.

(2) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص181.

(3) البكري، مصدر سابق، ص248.

الثعالبي اعتمد رواية البكري دون أدنى نقد، ومعلوم أن البكري صرح أن أصل طريف يرجع لبني إسرائيل من يهود الأندلس[1].

على عكس الثعالبي، قام محمد الطالبي بمناقشة أصل طريف البرغواطي، ومحاولة إثبات انتسابه لبني إسرائيل، معتمدا رواية زمور، التي ساقها البكري، ضاربا نظرية ابن خلدون عرض الحائط، والتي تنص على استحالة التملك، والتغلب على النواحي لمنقطع الجذم، دخيل النسب[2]، وقد اجتهد الأستاذ الطالبي وجاء بأدلة، واستنتاجات لم يسبق إليها، كما جمع بين روايات التاريخ، وخلص لرأي تفرد به، حاصله أن طريفا هذا من يهود الأندلس، قياسا بما كان لآل طريف من الأملاك، والإقطاعات بشذونة، وأشونة[3]؛ كمكافأة لهم نظير ما قدموه من جهود لفتح الأندلس، وقد دخل في خدمة العرب مطلع الفتح، ثم لما قتل قائده ميسرة؛ انزوى بمن بايعة من قبائل زناتة، وزواغة، واتخذوا من إقليم تامسنا قاعدة لهم.

لقد استدل لإثبات ما ذهب إليه بجزئية غاية في الدقة، والأهمية، أوردها ابن الأثير في "الكامل" مفادها: أن بلج بن بشر القشيري، ومن معه ممن تخلصوا من حصار البربر لهم بسبتة، وسمح لهم والي الأندلس عبد الملك بن قطن بجواز البحر، قاموا بمهاجمة البربر بسيدونيا وأوقعوا بهم، وأن هذا حسبه لا يستساغ فهمه حتى يوضع في سياق ما ذكره ابن أبي زرع، وابن حزم آنفا، من أنّ سكناهم بهذه المناطق[4]، إلا أن الرأي الذي ذهب إليه الأستاذ الطالبي عليه بعض الملاحظات:

---

[1] عبد العزيز الثعالبي، مرجع سابق، ص ص146-147.

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص270.

[3] ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص130؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص500.

[4] محمد الطالبي – إبراهيم العبيدي، مرجع سابق، ص ص8-11.

• أولهما قفزه على حقيقة تاريخية ثابتة، وهي مسألة نسب طريف بن مالك، فقد ذكر أرباب التاريخ أنه عربي من قبيلة النخع اليمانية[1]، ومعلوم أن بني أمية لم يكونوا يولوا على الأمصار إلا من كان عربي النسب، ناهيك عن قيادة الجيوش وطلائع الفتح، فكيف يستقيم في ذهن الأستاذ الطالبي أنّ رجلا يهوديا أندلسي الأصل، يوليه موسى بن نصير قيادة أول حملة استطلاعية لفتح الأندلس[2]، وفي جيوشه من قادة العرب، وأشرافهم، وشجعانهم، ممن لا يمكن أن يستغنى عنه، ولا يسعهم السكوت عن مثل هذه السقطة المدوية؟ وقد رأينا كيف اعترض قادة الجيوش العربية في المشرق والمغرب، إذا ولى عليهم بنو أمية أمراء من العرب اليمانية، فإن القيسية لا ترضى حتى يعزلوه عنهم، ويستعيضوا عنه برجل من قيس، فكيف وهذا يهودي الأصل بربري السحنة؟

• وأما العيب الآخر هو: تغاضيه عن مناقشة القول بأنهما شخصان مختلفان، ولا يوجد أدنى وجه شبه بينهما إلا في الاسم، فكنيتهما تختلفان؛ فالأول كنيته أبو زرعة طريف بن مالك النخعي، كما أورده ابن خلدون[3]، والمقري في "نفح الطيب"، نقلا عن الرازي[4]، والثاني كنيته أبو صبيح، أو أبو صالح طريف بن مالك[5]، وعند البكري: طريف بن شمعون[6]، وأما الحميري فسماه: طريفا أبا زرعة المعافري ونسبه في البربر[7]، فلا يمكن الجزم بأنهما شخص واحد، هذا بغض النظر عن المدة الزمنية بين فتح الأندلس، وقيام إمارة برغواطة، والتي تقارب ربع القرن؛ فلا يمكن والحال هاته، أن نجمع الروايات

---

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص150.

(2) سحر عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص19.

(3) البكري، مصدر سابق، ص248.

(4) المقري أبو العباس أحمد بن محمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، 1988م، مج1، ص254

(5) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص275.

(6) البكري، مصدر سابق، ص248.

(7) الحميري، مصدر سابق، ص ص35، 392.

التاريخية المتضاربة، وصهرها في بوتقة واحدة، من أجل الخروج من الخلاف، ولو على حساب الحقيقة التاريخية.

• وآخر ما ينتقد على اختياره؛ هو اعتماده الكلي على روايتي البكري رغم أنهما متضاربتان، والإشارة التي جاءت في رواية أبي صالح زمور، من أن جزيرة طريف تنسب لطريف[1] بن شمعون، فهذا الحديث مدرج من كلام البكري كجملة اعتراضية، وليس من كلام زمور، ولا يفيد هذا أنهما شخص واحد.

ورغم أن سعد زغلول لم يتطرق لنسب طريف البرغواطي، واكتفى بإيراد رواية البكري في الحواشي، إلا أنه أكد جازما على أنه نفس القائد الذي جاز المضيق في حملته الاستكشافية قبيل فتح جزيرة الأندلس، وهذا نقلا عن البكري[2].

ولم يكن رأي الأستاذ رجب موافقا لاختيار الأستاذ الطالبي، بل رجح قول ابن خلدون من كون الزعيم البرغواطي بربري الأصل مغربي المولد[3]، وحجته في ذلك طبعا رواية ابن حوقل[4]، باعتبارها أقدم الروايات، وأول المصادر التي تكلمت عن إمارة برغواطة، بينما وجد تفسيرا لنسبته إلى معافر كونه مولى لهم[5]، ولم تذكر مصادر التاريخ أنه من الموالي، وأما ادعاؤه أن موسى بن نصير كان قد ولى قائدا غير عربي لفتح الأندلس؛ وهو طارق بن زياد، فهذا الرأي غير مسلم له فيه؛ لأن أقدم وأكثر المصادر، وأهمها، ذكرت أنه ليثي كناني، وعلى رأسهم ابن خلدون[6].

---

[1] البكري، مصدر سابق، ص248.

[2] سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج2، ص431.

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص280.

[4] ابن حوقل، مصدر سابق، ص ص82-83.

[5] رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص34.

[6] ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص150.

المصادر التي ذكرت أنه بربري من نفزة قليلة، والأغرب من كل هذا تغافل الأستاذ رجب عن نقد رواية ابن حوقل، باعتباره لم يدخل لإقليم تامسنا، بل استشف أخبارهم من بعيد حينما وصل لسجلماسة[1]، لذلك جاءت روايته مضطربة، وبها الكثير من الأغاليط، فليس عليها التعويل فيما اختاره وذهب إليه، ثم دفاعه المستميت عن انتساب قبائل برغواطة إلى مصمودة[2]، مقلدا ابن خلدون في نظريته، بل حاول جاهدا الاستدلال على الصاق تسمية برغواطة ببطون مصمودية، إنما سببه الرئيس استقرارهم بوادي برباط بعد فتح الأندلس، ومن ثم أخذوا التسمية التي اشتهروا بها، وصاروا يسمون برغواطة[3]، وهذا لا يستقيم إلا إذا كانوا أبناء تلك المناطق كابرا عن كابر؛ إذ أن رساتيق الأندلس كانت تعج بالبطون البربرية، ولم ينقل لنا علماء النسب أن بطنا من بطونهم تغيرت تسميته، وصار يحمل اسم الوطن الذي استقر به في الأندلس، إلا برغواطة هؤلاء، والغريب في الأمر انتشار التسمية بالعدوة المغربية، خلافا للمنطق السائد وهو أن يشتهر بالتسمية بالبطن المستقر بالأندلس.

إن الدافع الذي حفز الأستاذ لنصرة موقف ابن خلدون في القول ببربرية طريف البرغواطي؛ هو دفاعه عن فكرته التي جزم بها مسبقا، جاعلا إياه نفس الشخص الذي قاد حملتي الفتح والنجدة، وغاب عنه أن ابن خلدون نفسه جعلهما شخصين مختلفين؛ أحدهما عربي معافري قحطاني، والآخر بربري برغواطي مصمودي[4].

والظاهر أن طريفا البرغواطي لا يشبه طريف بن مالك، إلا في الاسم فقط، وإلا فالشواهد التي جاءت بها الروايات التاريخية تثبت أنهما شخصان مختلفان، ولا أدل على ذلك

---

(1) ابن حوقل، مصدر سابق، ص83.

(2) رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص ص34-35.

(3) رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص39.

(4) ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص143، ج6، ص280.

من قول زمور عنه أنه يهودي الأصل[1]، من نسل يعقوب بن إسحاق عليه السلام[2]، وأن أصولهم تنحدر من حصن برباط بالقرب من شذونة، وهو الذي أكده ابن حزم، وابن أبي زرع الفاسي، وصاحب "المفاخر"[3] من أنه نزح من الأندلس إلى إقليم فاس بالعدوة، حيث نزل في وطن يعج باليهود، كما مر بنا، ثم أسلم وصار قائدا ثوريا صفريا، وابنَه، عاملا لميسرة على إقليم تامسنا، وليس هذا بالأمر الغريب على أهل المغرب الذين تميزوا بالبساطة، والانقياد باللين، ومبايعتهم للغرباء، طمعا في إيجاد التغيير المنشود، والتطلع للحرية والاستقلال عن حكم الخلافة الإسلامية، كما هو الحال مع بيعتهم لعبد الرحمن بن رستم الفارسي، أو ولائهم لإدريس الأكبر، وتنازل إسحاق بن عبد الحميد الأوربي له عن حكم البربر، ونفس الأمر مع أبي عبد الله الشيعي اليماني، وتولية البربر له، وقتالهم معه رغم أنه غريب عن ديارهم، فكذلك الأمر مع طريف بن شمعون، خاصة أنه كان من زعماء وقادة الحركة الصفرية، وممن جالسوا أكبر دعاتها ومنظريها، وحضر حروبهم هو وابنه صالح؛ فانقاد لهما البربر، وأطاعوهما، وصاروا عندهم سادة معتبرين، وقادة مطاعين.

### 3. قيام إمارة برغواطة.

بعد فشل الحركة الصفرية ومقتل زعيمها ميسرة المدغري انسحب طريف البرغواطي، وابنه صالح، وتزعما حلفا قبليا من زناتة، والمصامدة، وانعزلوا عن الثورات الكبرى التي اندلعت ضد الخلافة الأموية بدمشق، منشغلين بإرساء دعائم حكم ذاتي محلي، لهم ولنسلهم، بإمارتهم الفتية الواقعة بإقليم تامسنا، المتنائي عن مركز الحكم الأموي، ومتشبعين بأفكار الخوارج الصفرية، الرامية إلى الاستقلال عن المشرق في جميع مناحي الحياة، إلا أن انحياشهم إلى تلك الجهات، وتزعمهم لذلك الحلف القبلي، وانسلاخهم من تعاليم الإسلام،

---

[1] محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1960م، ص306.

[2] البكري، مصدر سابق، ص248.

[3] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص500؛ ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص130؛ مجهول، مفاخر البربر، مصدر سابق، ص139.

يوحي بأن كل هذا دبر بليل، وأمر كان مخطط له، وإلا كيف نؤوِّل انفصالهم عن ثورة البربر بمجرد مقتل ميسرة المدغري؟ فهذا لا يعتبر سببا وجيها لانفصال قبائل برغواطة، ولا لتأصيل تلك الأحكام الدينية، بمجرد ابتعادهم عن إخوانهم الصفرية.

إن إذعان البرغواطيين، وقبولهم لملة صالح بن طريف وولده، يُظهر أن العمل على وضعها كان قد سَبق الإعلان عنها بزمن، إذ أن إقناع الساكنة بها يتطلب وقتا طويلا، خاصة إذا ظهر من يعارض مذهبهم المحدث، ثم ما الدافع الذي يجعل قائدا ثوريا صفريا، كان قد تلقى أصول الحركة على يد عكرمة مولى بن عباس، أن ينسلخ من تعاليم مذهبه، بل يرتد عن الإسلام جملة –إن صحت الأخبار–؟ وهذا تساؤل ملفت للنظر يستحق الوقوف عنده.

لقد كان لمقتل ملهمه وقائده السابق؛ كبير الأثر في هذا التغير الذي حصل في مسيرته، ومسيرة ابنه صالح، فنجده يعتزل كل الأحداث من دون سابق إنذار، وهذا أمر مستغرب، إذ أن قائدا مثله وإن اعتزل الثورة وقيادة الجيوش، فإنه يبقى وفيا لنضاله الذي سافر من أجله، وجالس أهل العلم، واستزاد منهم من أجل ترسيخ معتقده، وتوسيع معارفه، والتعمق في فهم مبادئ مذهبه الصفري، والذي كانوا يرونه الطريق السليم للوصول للاستقلال عن حكم العرب، لكن الذي حصل هو انقلاب تام وجذري على مبادئ الإسلام، وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على أن الرغبة في وضع قواعد الدين الجديد، كانت مختمرة في أذهانهم، وأنهم أنفوا من قتل زعيمهم، وخافوا خروج الزعامة من أيديهم، فسارعوا لوضع أسس لملتهم المزعومة، مغتنمين فرصة جهل قبائل البربر بالعربية والإسلام، في صياغة دجلهم المفبرك، زد على ذلك مشاهدتهم لانهزام فلول الثوار أمام الجيوش العربية؛ في معركتي القرن، والأصنام، وترهم واستغاضهم ذلك، وفكروا في القطيعة النهائية مع العرب وديانتهم؛ فسارعوا لتأسيس ملكهم، ووضع ملتهم، وصياغة قرآنهم الركيك.

ورغم أن المؤرخين اختلفوا في سنة تأسيس دولتهم على عدة تواريخ، إلا أنهم متفقون أنها كانت في الثلث الأول من القرن الهجري الثاني، ومبعث هذا الاختلاف؛ روايات المؤرخين المتضاربة، فهل اعتزال طريف البرغواطي الثوار كان فور مقتل قائده ميسرة؟ أم أنه واصل الثورة حتى انهزام فلولهم قرب القيروان، في معركتي القرن والأصنام؟

لقد أورد ابن عذارى نصا صريحا، يذكر فيه أن طريف البرغواطي حضر الواقعتين اللتين شهدتا انهيار فلول الصفرية[1]؛ وبالتالي تبدد أمالهم التي أفنوا حياتهم من أجل تحقيقها، وعلى نفس المنوال سار لسان الدين بن الخطيب[2]، وبالرغم من أن ابن خلدون كان واضحا في ذكر أنّ انحياش طريف إنما حصل مباشرة بعد مقتل ميسرة[3]، وهي الإشارات التي ذكرها البكري، والتي تدل بوضوح أن طريفا كان قد احتل بلاد تامسنا بعد هلاك ميسرة[4]؛ وبالتالي يتأكد ما ذهب إليه ابن خلدون وغيره حينها، ومهما يكن من أمر، فإن انسلاخ طريف وابنه، من تعاليم الإسلام ليس له تفسير إلا على وجهين:

أولهما: حقدهم الدفين على العرب والمسلمين؛ دفعهم لنبذ كل ما له صلة بالعرب والمسلمين وبمقوماتهم؛ كاللسان العربي، وأحكام الشرع الحنيف، واللباس، والمأكل والمشرب، والمعاملات.

الثاني: حرصهم على الملك والحكم؛ تطلب منهم أن يغيروا دينهم ومذهبهم؛ من أجل إظهار أنفسهم في زي المستقل بمقومات بلادهم، وقيمه الدينية، والاجتماعية، والثقافية، وقد أوتوا من هذا الوجه بسبب حداثة عهدهم بالإسلام، وتأثير أفكار الخوارج عليهم؛ بما وجدوا عند بعض عمال الأموية الغاشمين من العصبية، والعسف، والتحامل على البربر.

ومع سكوت المصادر التاريخية عن تدوين وذكر أحداث هذه الفترة، التي تبلورت فيها أفكار البرغواطية في أذهان بني طريف، فإنه لا يسعنا إلا التخمين والاستنتاج؛ من أن أصل هذه العائلة، وديانة أجدادها، كان له الأثر الكبير في رسم الخطوط الكبرى للإمارة الفتية،

---

[1] ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص65.

[2] ابن الخطيب، مصدر سابق، ج3، ص181.

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276.

[4] البكري، مصدر سابق، ص248.

على الشقين الديني، والسياسي، رغم أن البكري كان قد أشار إلى أن طريفا مات على الإسلام، وإن الذي ابتدع ملتهم هو ابنه صالح، الذي ادعى أنه رسول إليهم بلغتهم[1].

## II. أمراء برغواطة

### 1. خلال طور القوة

#### أ. المرحلة السرية

على غرار كل الكيانات السياسية، والملل الباطنية، التي عرفها تاريخ البشرية، إنما تتأسس بسرية تامة، بل تعتبر السرية أساس نجاحها وخروجها للعلن؛ خيفة إن يتم وأدها في المهد؛ وذلك بهدف استبدال وتغيير مجتمع بآخر، أو سعيها لهدم نظام حكم، وتغييره بنظام آخر يخدم أهدافها وأجندتها[2]، لذلك تأتي الروايات التاريخية التي تختص بذكر مبدأ التأسيس؛ غامضة، وشحيحة، ومتضاربة في أحيان كثيرة، وسبب ذلك مبدأ السرية التي يتعمدها مؤسسو الدول، أو واضعو العقائد الهدامة، أو الساعون للتغيير، ولم يشذ زعماء إمارة برغواطة، وواضعو معتقدهم الفاسد؛ لذلك أكتنف الغموض مرحلتها السرية، التي تم فيها تأسيس الدولة، ووضع قوانينها، وأحكام ديانتها[3]، ولم يتسرب منها تقريبا شيء إلا ما نقله البكري، عن زمور، وعن أبي العباس المذحجي، وبعض النتف التي انفرد بذكرها ابن أبي زرع، وابن عذارى، وبدرجة أقل ابن خلدون، وغريمه ابن الخطيب السلماني.

#### 1) إمارة طريف بن شمعون (122-131هـ)

تمت بيعته أميرا عليهم، بعد أن انحاش بقبائل برغواطة، غداة مقتل قائده ميسرة سنة 122هـ، وهو ما اختاره جل المؤرخين، بينما يذكر ابن خلدون أن قيامها تزامن مع فترة حكم

---

(1) البكري، مصدر سابق، ص249.

(2) محمد عبد الله عنان، **تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة**، إدارة الهلال، مصر، د.ط، 1926م، ص7.

(3) رجب محمد عبد الحليم، مصدر سابق، ص46.

هشام بن عبد الملك، ومعلوم أن هشاما مات سنة 125هـ؛ لذلك رجحنا قيامها خلال تلك الفترة، ولو اعتبرنا أن ما ذهب إليه ابن عذارى صحيح، فلا يعارض ما قاله ابن خلدون؛ لأن عام 125هـ كان هشام بن عبد الملك خليفة، قبل أن يلقى حتفه في نفس السنة، وربما كان نزول طريف البرغواطي تامسنا سنة 122هـ، وتأخر الإعلان عن قيام الدولة لغاية انكسار جيوش الصفرية؛ بوقعتي القرن، والأصنام[1].

لقد كان صالح بن طريف عاملا على تامسنا [2]؛ لذلك لم تكن مهمة والده في تأسيس كيان لدولته بالأمر الشاق، خاصة وأن ولده كان قد هيأ له الظروف، وذلل له الصعاب؛ فتعلقت به نفوس البربر بتلك النواحي، واكتسب محبتهم وتعاطفهم[3]؛ فاغتنم جهلهم وبعدهم عن دين الله، وأعلن نفسه أميرا عليهم، فبايعوه وقدموه على أنفسهم[4]، لقد كان اختلاف آراء المؤرخين في ذكر تاريخ تأمره عليهم بالتحديد، متوقفا على صحة مشاركته في حروب الصفرية، التي دارت رحاها بالقرب من القيروان، والتي نرجح ابتعاده عنها، كما استفيض من روايات التاريخ، ولم تحفظ لنا أمهات كتب التاريخ بأمر ذي بال خلال فترة حكمه التي استمرت لغاية 131هـ، حسب ما قدره أبو عبيد البكري، ولم يُنقل عنه أنه بدل دينه، ولا تنكر لمذهبه الصفري[5]، إلا أن بعض هؤلاء المشتغلين بأخبار هذه الإمارة الصغيرة، نقلوا أنه خلال فترة حكم طريف لإمارة برغواطة، شرع لهم ديانة جديدة[6]، مستنسخة عن الإسلام، بتحريف شديد في جل أحكامها[7].

---

(1) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص57؛ ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276؛ رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص45.

(2) لسان الدين بن الخطيب، أعلام الاعلام، ج3، ص181.

(3) سحر عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص26.

(4) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص57.

(5) البكري، مصدر سابق، ص248.

(6) ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص58.

(7) ألفرد بيل، مرجع سابق، ص175.

وحصل أن سافر ابنه البكر صالح للمشرق، بمعية بعض الأقران، من أجل طلب العلم، بعد أن ترك أثرا كبيرا في نفوس البربر؛ بسبب تزكية ميسرة له، ومكاتبة وجوه برغواطة بذلك يهنئهم به، ونظرا لمشاركته في الأحداث الكبرى التي حصلت ببلاد المغرب[1].

## 2) إمارة صالح بن طريف (131-174هـ)

ذكر البكري، عن زمور، أن صالحا هذا ولد في 110هـ، وأنه شارك والده في حروب ميسرة المدغري وهو صغير[2]، ثم عينه عاملا له على بلاد تامسنا، وهو نفس العام الذي رحل والده طريف لتامسنا، وعزل نفسه عن أحداث الفتنة الكبرى، التي عصفت ببلاد المغرب[3]، ودخل في نشاط سري، من أجل العمل على استبدال حكم بني أمية بحكم برغواطي محلي، والاستعاضة عن مثاقفتهم بموروث ثقافي هجين[4]، فكان تأثير مبدأ السرية كبيرا في سرد رحلة صالح وأضرابه للعراق، أين تعلم قراءة النجوم، وتقويم الكواكب، وأخذ عن كهنتها تمويهات السحرة؛ فنبغ في السحر، وقد أورد البكري من رواية المذحجي، أن حفيده يونس هاجر للعراق، وأخذ عن غيلان الدمشقي، وهذا غير صحيح، إذ أن غيلان هذا، صلبه هشام بن عبد الملك في حدود 106هـ، فالحاصل أن لقاء صالح بن طريف البرغواطي بغيلان لا يصح؛ لأن صالحا هذا، لم يغادر للمشرق إلا بعد عام 122هـ؛ أي بعد هلاك غيلان بأكثر من خمسة عشر عاما، وربما أخذ على أحد أتباع غيلان، الذي سماه ابن أبي زرع "عبد الله المعتزلي القدري"[5]، أو أنه ولد قبل عام 110هـ، قياسا بصغر سنه، حيث يستحيل أن يتولى هذا إقليم تامسنا عاملا لميسرة، فضلا عن أن يحضر قتال الصفرية وهو صبي لم يعقل، وإلا كيف نصدق سفره للمشرق في سن الطفولة، والمعلوم أن السفر والجلوس لطلب العلم لا يكون إلا لمن حفظ القرآن، وتعلم العربية، واطلع على أيام العرب، وهذا

---

(1) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص181.

(2) البكري، مصدر سابق، ج1، ص58.

(3) سحر عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص26.

(4) محمد الطالبي – إبراهيم العبيدي، مرجع سابق، ص6.

(5) ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص130.

يستغرق وقتا، ولم يحصل هذا مع صالح؛ لأنه كان لايزال حدثا، إلا إذا افترضنا أنه إنما ولد قبل هذا التاريخ.

فالثابت أن صالحا غادر للمشرق؛ لتلقي علم النجوم، وعزائم السحر، فكان هو الذي أفسد عقولهم، وبدل معارفهم، وافترض عليهم طاعته في سنن ابتدعها، وأحوال افترضها واخترعها[1]، ووضع لهم النحلة التي نسبوا إليها جميعا، وادعى فيها النبوة. بينما تكفل حفيده يونس بإظهارها للعلن، وإراقة الدماء من أجل نشرها بين الناس، والشاهد على ادعاء صالح النبوة، ما جاء في روايات الإخباريين، أنه قال لأتباعه أنه هو صالح المؤمنين المذكور في سورة التحريم، كما ادعى أن اسمه "لا"، وأنه نبي بعد محمد ﷺ[2]، يعرض بحديث نبي الله ﷺ، الذي رُوي في الصحيحين، عن أبي حازم، وله شاهد في صحيح الجامع، كما رواه ثوبان مولى نبي الله ﷺ، وصححه الألباني[3].

وأما المسحة الباطنية في وضع صالح لنحلته، فظاهرة واضحة، إذ أنه تدرج في ذلك، بدءا من إظهاره للإسلام والنسك، وايمانه بنبوة محمد ﷺ؛ لينتهي به المطاف إلى تكفير كل من يعترض على نحلته، وختم بالوصية لابنه بأن يقتل كل من يخالف معتقده، وأنه سيغيب ويرجع في ولاية سابع ملوكهم[4]، وليس هذا ببعيد عن ديانة السبئية، والخطابية، والإسماعيلية، التي وضعها عبد الله بن سبأ اليماني، ومن بعده أبي الخطاب محمد بن مقلاص الأسدي، وميمون بن ديصان القداح، وبزيع بن موسى الحائك[5].

لقد انتهج صالح البرغواطي سنة التدرج في التشريع، رغبة منه في كسب ثقتهم، ومن ثم الاستيلاء على عقولهم، لينتقل للقول بأنه نبي مثله، وأنه صالح المؤمنين المذكور في

---

(1) ابن حوقل، مصدر سابق، ص82.

(2) مجهول، الاستبصار، مصدر سابق، ص198.

(3) الألباني محمد ناصر الدين بن نوح، **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، إش زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت – دمشق، ط3، 1988م، ر.ح 7418، ص1236.

(4) البكري، مصدر سابق، ص249.

(5) إحسان إلهي ظهير، **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، إدارة ترجمان السنة، لاهور، د.ط، 1987م، ص38.

قرآن محمد، زاعما أنه المهدي الأكبر، الذي يكون في آخر الزمان لقتال الدجال، وأن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام ينزل فيصلي خلفه، وأنه سيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا[1]، وأما في باب الفقه والمعاملات فتراه يستنسخ الأحكام من الإسلام، ثم يسوغها حسب هواه فتظهر مشوهة[2]، وهذا حتى يعطيها طابعا محليا من جهة، ومن جهة أخرى حتى لا يستغربها قومه من برغواطة، إذ أنه غير في أحكام الشرع تغييرا جزئيا، فهو لم يلغِ أحكام الشرع بالكلية، وإنما استوحى منها دينه بالمحاكاة[3]. وهكذا تدرج حتى قدر أن يخترع لهم من كيسه قرآنا يقرؤونه في صلاتهم، ويتلونه في مساجدهم، وأنه وحي من الله تعالى، ومن شك في شيء من ذلك فهو كافر[4]، ثم ودون سابق إنذار، أعلن صالح لابنه ووصيه إلياس بأنه سيغيب، وله بعد غيبته رجعة في حكم سابع أمرائهم، وهذا انتحال واضح لدين الرافضة[5].

زعم صالح البرغواطي أن اسمه العربي صالح، وفي السرياني مالك، وفي الأعجمي عالم، وفي العبراني وربيا، وفي البربرية وریاوارا؛ أي الذي ليس بعده شيء[6]، وما ذاك إلا انتحال لما في نبوءة أهل الكتاب، من تسمية نبي الله محمد ﷺ بأسماء أعجمية، تدل على بعض صفاته، وهذه من أوضح الدلالات على أن المحاكاة والانتحال، هي السمة الغالبة على البرغواطية، خاصة زمن صالح بن طريف.

يستحق المعنى اللغوي لاسمه برطانة البربر التأمل، إذ أن هذا المعنى ليس بريء بالكلية، حيث نرى أن له دلالة عقدية تشير إلى أنه نبي ليس بعده نبوة، وهو بذلك يستنسخ عقيدة خاتم النبوة في الإسلام، وأما ادعاؤه الغيبة فالظاهر أنه رحل عن حكم برغواطة

---

(1) البكري، مصدر سابق، ص249.

(2) ألفرد بيل، مرجع سابق، ص175.

(3) المبروك المنصوري، مرجع سابق، ص26.

(4) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص131.

(5) المجلسي محمد باقر مرجع سابق، ج8، ص363.

(6) البكري، مصدر سابق، ص248.

خاصة، بعد أن طال حكمه لهم لقرابة نصف قرن[1]، فكان انعزاله، وترك وصيه في الحكم؛ تحصيل الحاصل، وتأكيد لمرامي ديانته التي وضع أصولها، والتي منها الغيبة والرجعة كما رأينا، فكانت له رحلتين للمشرق؛ أولها بعد سنة 122هـ، والثانية سنة 174هـ[2]، وليس كما أوله الأستاذ محمود إسماعيل –الذي ما فتئ يدافع عنهم وعن نحلتهم–، من ادعائه من أن المذحجي وقع في خلط فيما يخص روايته التي رواها البكري[3].

### 3) إمارة إلياس بن صالح (174–227هـ).

بعد أن خرج صالح بن طريف للمشرق في رحلته الثانية، استخلف ابنه ووصيه إلياس، فعلمه أصول ملتهم وفقهه فيها، وأوصاه بأن لا يُظهر حقيقة ديانته، حتى يرى من نفسه قوة شوكة، فيدعوا حينذاك لملتهم، ويقتل كل من يخالفه، مع الحفاظ على علاقات طيبة مع ولاة بني أمية بالأندلس، وموالاتهم، واعدا إياه بالرجوع في حكم سابع أخلافهم؛ كمهدي آخر الزمان، وتكلم بكلام كثير نسب بعضه لنبي الله موسى عليه السلام، ولسطيح الكاهن، ولابن عباس رضي الله عنه وكان ذلك سنة 174هـ[4].

لما تولى إلياس ملك برغواطة، سار على نهج والده في إخفاء حقيقة نحلة برغواطة، فكتم أمرها، ولم يخض في شيء من ذلك خوفا وتقية، وأظهر الإسلام، والبعد عن الحرام، وصلاح الظاهر، والتعفف عن ملذات الدنيا[5]، فدعى قومه وخاصته إلى النسك، وترك الدنيا، والإقبال على التقلل والزهد، وتناهى هو وخاصته في ذلك إلى أن حُفظ عليه الصبر عن الغذاء؛ خمسا من الدهر، وسبعا، وتسعا، وهو في جميع ذلك يذكر أنه يوحى إليه، وأن الملائكة تأتيه بما يأمرهم به[6].

---

(1) رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص48.

(2) الناصري السلاوي، مرجع سابق، ج1، ص103؛ خديجة الخديري – أحمد سراج، مرجع سابق، ص76.

(3) محمود إسماعيل عبد الرزاق، مغربيات، مرجع سابق، ص25.

(4) البكري، مصدر سابق، ص249.

(5) ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص277.

(6) ابن حوقل، مصدر سابق، ص83.

والملاحظ لهذه العبارة الأخيرة التي ساقها ابن حوقل، يفهم أن روايته بها خلط عجيب، ويستنتج منها أنه لم يدخل إقليم برغواطة، بل تحسس أخبارهم، فالتقطها من ههنا وهناك، فنجد أنه سمى خليفة صالح بن طريف بأبي الغفير والمعروف أن خليفته هو إلياس، وكان قصْد ابن حوقل أن إلياس كان يأمر خاصته بالتقلل من الدنيا، وبأمر الوحي المزعوم الذي كان يأتيه، وإلا فالمعلوم من روايات غيره من أهل الأخبار، أنه بقي متحفظا عن الإفصاح والتصريح بما حوته ملتهم، التي وضعها والده صالح بن طريف البرغواطي، يقول صاحب "الاستبصار": "فولى إلياس الأمر بعد خروج أبيه إلى المشرق بدعوة الإسلام، وكتم الشريعة التي عهد إليه أبوه خوفا وتقية، ولم يُظهر شيئا من ديانته"[1]، وهو المحفوظ عن أهل التاريخ كما أثبت ذلك الأستاذ رجب قائلا: "أن أمر ديانة برغواطة ظل على الخفاء والكتمان مدة بلغت قرنا من الزمان، أو أكثر من قرن، وهذا لم يحصل مع أي من الحركات الباطنية من قبل"[2].

تميزت فترة حكم إلياس بن صالح بأحداث سياسية كادت تعصف بإمارة بني صالح، إذ أنه خلال فترة حكمه ظهرت إمارة الأدارسة بزعامة إدريس بن عبد الله الحسني (172-177هـ/788-793م)، وذلك سنة 172هـ[3]، وبعد استتباب أمر إدريس الحسني، واجتماع الكلمة إليه، خاصة من طرف قبائل أوربة، وزعيمهم إسحاق بن عبد الحميد الأوربي، قام إدريس بإعلان النفير، فاجتمعت عليه الكثير من وجوه قبائل زناتة، وأوربة، وصنهاجة،

---

[1] مجهول، الاستبصار، ص198.

[2] رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص ص59-60.

[3] إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث، أفلت من وقعة فخ الشهيرة وبصحبته مولاه راشد متوجهين للغرب، فخرج به مع الحجيج حتى قدما مصر، مكثا أياما وسرحهما صاحب البريد واضح الفتى مولى المنصور ابن أمير المؤمنين، اهتم الرشيد لأمره وأرسل له مولاه سليمان بن جرير الشماخ فسمه في الغالية قارورة من مسك الفاخر. الوزير اليماني محمد بن إبرهيم، **العواصم والقواسم في الذب عن سنة أبي القاسم**، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1994م، ج4، ص191؛ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، **مقاتل الطالبيين**، تح السيد أحمد صقر، المكتبة الحيدرية، بيروت، د.ط، د.ت، ص302.

وهوارة، وغيرهم؛ فخرج بهم غازيا إلى بلاد تامسنا، فنزل بهم أولا مدينة شالة فافتتحها، ثم فتح بعدها سائر بلاد تامسنا، ثم توجه لبلاد تادلا فافتتح معاقلها وحصونها[1].

ثم لما قضى إدريس الأكبر نحبه سنة 177هـ، وذلك بعد خمس سنوات من حكمه، جاء ابنه الذي أخذ اسمه ونال حكمه وهو لايزال حدثا صغيرا، فنجده في سنة 197هـ بعد أن اشتد ساعده، يكرر الغارة التي شنها والده على وطن تامسنا، وقام بإخضاعه لحكمه، والشاهد على ذلك أن إدريس الأصغر لما وافته المنية سنة 213هـ، كان قد جعل إقليم تامسنا من نصيب ابنه عيسى[2].

**ب. المرحلة العلنية**

بعد مرور قرن من قيام إمارة برغواطة، وجريا على ما خطط له واضع ملتهم صالح بن طريف، فإن خلفاءه آثروا السرية في عملهم، وابتعدوا عن كل ما يثير الصدام مع القوى المناوئة لهم، وأظهروا ديانة الإسلام تقية وزورا[3]، متحينين الفرصة السانحة لإعلان ملتهم، فلم يمكنهم ذلك إلا بمجيء يونس بن إلياس بن صالح الذي استجمع الشروط التي وضعها جده للجهر بدعوتهم؛ وهي القوة والأمن[4]، وقد تحقق له ذلك؛ بسبب السياسة الهادئة والحكيمة التي انتهجها جده صالح، ووالده إلياس، طيلة أزيد من قرن من حكمهما، فإنهما لم يتعرضا لأحد، وعملا على استمالة قلوب الساكنة؛ ليسهلا أمر الدعوة على من يأتي بعدهما.

---

(1) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص ص20-21.

(2) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص ص49-50.

(3) عباس جبير سلطان التميمي، مرجع سابق، ص375.

(4) البكري، مصدر سابق، ص249.

### 1) إمارة يونس بن إلياس (227-271هـ)

بعد وفاة إلياس، وكان قد خلف جماعة من الولد، فتولى منهم ابنه يونس، كما أورد البكري، عن أبي العباس فضل بن مفضل المذحجي: "من أن يونس هذا كان له سفر للمشرق مع بعض أقرانه؛ كعباس بن ناصح، وزيد بن سنان الزناتي صاحب الواصلية، وبرغوت بن سعيد التراري، وجد بني عبد الرزاق الذين عرفوا ببني وكيل الصفرية، ومناد صاحب المنادية، المنسوبة إليه القلعة المعروفة بالمنادية، قريبا من سجلماسة، وآخر ذهب عني اسمه، فأربعة منهم فقهوا في الدين، بينما ادعى الثلاثة الآخرين النبوة"، وكان مما ذكره الراوي "أن يونس هذا تعاطى دواء الحفظ، فلقن كل ما سمع، وطلب علم النجوم والكهانة والجان، ونظر في الكلام والجدال، وأخذ ذلك من غيلان"[1]، فإن كان يقصد غيلان الدمشقي، فهذا غير صحيح كما مر بنا في رحلة صالح، إذ أن غيلان هذا، قتل قبل سفر جده صالح للمشرق، فمن باب أولى أن نجزم بعدم لقياه إلا أن يكون قصده رجلا آخر اسمه غيلان، أو عنى بكلامه الأخذ عن بعض طلبته، أو نظر فيما سوده غيلان[2]. الحاصل أن أمراء برغواطة كان لهم اهتمام كبير بالسفر للمشرق، وقد انصب جل انشغالهم بالتنجيم والكهانة، وتعاطي السحر، وعلم الكلام، وهو نفس الاتجاه الذي سلكه جده صالح في رحلته للمشرق، كدلالة قوية على السير في نهج أهل الضلال من الزنادقة والمنافقين، وأنهم كانوا يسعون بشتى الطرق لوضع دين جديد، وذلك باستعمال السحر، والاستعانة بالجان.

وتذكر المصادر أنه رحل إلى المشرق وحج، ولم يحج أحد من أهل بيته قبله ولا بعده، وهلك بعد أن حكم أربعة وأربعين عاما[3]، ولا نعلم هل هو خلط من زمور وأنه إنما قصد بها جده صالح؟ أم أن يونس هذا فعل مثل جده، وسار في دربه في تجشم إيلاف الرحلتين إلى المشرق، الأولى في شبابه، والثانية في كبره؟ ولسنا نعلم هل كان حجه في رحلته الأولى،

---

[1] البكري، مصدر سابق، ص ص249-253.

[2] سحر عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص31.

[3] البكري، مصدر سابق، ص250.

أين طاف على المنجمين، والسحرة، ورؤوس الضلال، يأخذ منهم أصول الشر ومبادئه؟ أم هي رحلة غيرها جاءت في نهاية حكمه، كما مر مع جده صالح؟ فالبكري جاءت رواية رحلته للحج في سياق الكلام، عند ذكر نهاية عهدة حكمه، مما يفهم منه أنه ترك الحكم وسافر للحج، وتابعه ابن خلدون، باعتباره اعتمد روايته، واقتبس منها جل ما دونه من تاريخ دولتهم، ومهما يكن من أمر، فإن حجه إنما كان تقية وتعمية على سوء طويته[1].

لما عزم يونس على الرجوع أضمر الجواز للأندلس، ربما لنشر أفكارهم بالعدوة الأندلسية، فوجد بها حكما ثابتا، للفقهاء المالكية فيه حضوة كبيرة؛ فعدل عما عزم عليه، وشد الرحال للمغرب الأقصى؛ لصرف جهوده في نشر ملة أبائه[2]، متخذا من شالة عاصمة له[3]، وكان ذلك بعد مقدمه من المشرق، حيث وجد قوما جهالا ضعاف الحلوم، فموه عليهم بعزائم السحر، وتخرصات المنجمين، فكان يخبرهم بأشياء فتقع كما أخبر، أو قريبا منه؛ فعظم عندهم، وأخذ يجهر بما كان يبطن أباؤه من كلمة كفرهم، وادعى النبوة.

اتسم حكم يونس بالعنف والعسف، وقتل كل من يخالفه[4]، حتى أخلى ثلاثمائة وسبعة وثمانين مدينة، حمل جميع أهلها على السيف لمخالفتهم إياه، وقتل منهم بموضع يقال له تاملوكاف –وهو حجر عال نابت وسط الطريق– سبعة ألاف وسبعمائة وسبعين قتيلا، وقتل من صنهاجة خاصة، في وقعة واحدة، ألف وغد؛ والوغد عندهم: المنفرد الوحيد الذي لا أخ له ولا ابن عم، وذلك في البربر قليل، وإنما أحصوا الأقل ليستدل به على الأكثر[5].

إن ما يمكن استنتاجه في خضم هذه الأحداث الدموية، التي ركبها يونس بن إلياس؛ أن توسعه، وزيادة رقعة إمارته، صار وشيكا؛ مما يعجل باصطدامه مع جيرانه ومناوئيه،

---

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص277.

[2] سحر عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص32.

[3] لسان الدين بن الخطيب، أعلام الاعلام، ج3، ص207.

[4] مجهول، الاستبصار، مصدر سابق، ص198.

[5] البكري، مصدر سابق، ص ص249–252.

وعلى رأسهم دولة الأدارسة الفتية، التي كانت تسير الحملة تلو الأخرى، إبان حكم والده إلياس، ولما رأى محمد بن إدريس الأصغر أن الخطر البرغواطي لا يزال يشتد حدة، جعل إقليم تامسنا، وما والاه كسلا، وأزمور، من عمل أخيه عيسى بن إدريس الأصغر، والتي اتخذها مقرا للثورة على حكم شقيقه فيما بعد[1].

لقد حقق الأدارسة انتصارات كاسحة على حكام برغواطة، حيث سيطروا عليها، وسلبوا منها أكبر حواضرها، باعتبار أن عملهم هذا من صميم الجهاد الشرعي المأمور به؛ ولأن الأدارسة عائلة ينتهي نسبها للحسن بن علي بن أبي طالب، وأمهم فاطمة بنت رسول الله ﷺ، مما أضفى شرعية، وقبولا كبيرا لحملاتهم الجهادية[2]، وقد انتهى حكم يونس بن إلياس بقتله في حروب الأدارسة، كما استنتجه محمود إسماعيل، رغم أن الروايات سكتت عن هذا المصير، إلا أن المؤكد من كل هذا، أن بنهاية حكمه؛ انتقل الملك من ذريته إلى أبي الغفير يحمد بن معاذ[3]، وهذا دون أن نعرف سبب انتقال الحكم عن نسله، هل بسبب انقطاع في نسله؟ أم بسبب صراع بين أفراد العائلة الحاكمة؟ أم هو انقطاع وجودي مس إمارة برغواطة بسبب الحروب المستمرة مع الأدارسة[4]؟

## 2) إمارة أبي الغفير محمد بن معاذ (271-300هـ).

تقلد محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف حكم إمارة برغواطة بالاستيلاء، بعد هلاك يونس بن إلياس، الذي ترك فجوة وشغورا في حكم البرغواطيين، فاشتدت شوكته وعظم شأنه[5]، وابتدأ بقتال الأدارسة من أجل إخراجهم من بلده، والتخلص من حكمهم وضمها لبلاده[6]، وبعد أن انتهى منهم، عمد لإعادة بعث حكم آبائه، وإحياء معتقد أجداده بحد

(1) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص51.

(2) سحر عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص34.

(3) محمود إسماعيل، مرجع سابق، ص28.

(4) محمد الطالبي – إبراهيم العبيدي، مرجع سابق، ص72.

(5) البكري، مصدر سابق، ص250.

(6) ابن الخطيب، مصدر سابق، ج3، ص209.

السيف، فقام بالقضاء على كل من يخالفه فيما يدعوهم إليه، وأوقع بالبربر في مواضع كثيرة لا تنسى، ولعل أهمها وقعة تيمغسن، وهي مدينة عظيمة أقام القتل في أهلها ثمانية أيام، من الخميس إلى الخميس، حتى شرقت دورهم ورحابهم وسككهم بدمائهم، ومنها وقعة بموضع يقال له بهت، عجز الإحصاء عن عدد من قتل فيها[1]، وقد نظم سعيد بن هشام المصمودي قصيدة، هجا فيها برغواطة، ذاكرا مخازيهم التي اقترفوها ببهت، وادعاءَهم نبوة أبي الغفير هذا[2].

فهذه المجازر المروعة التي اقترفها محمد بن معاذ، ويونس بن إلياس؛ تؤكد مما لا يدع مجالا للشك، اللمسة الخارجية في نهج الديانة البرغواطية[3]، والتي تستند للقتل والترويع من جهة، ومن جهة أخرى تمسك أمراء برغواطة بوصية جدهم صالح، بقتل كل من يخالف ديانتهم، وذلك بعد أن تصير لهم شوكة، ويتوفر لهم الأمن[4].

بالإضافة للإفراط في استعمال العنف غير المبرر، فإن هذا الأمير على غرار سابقه كان مدعيا للنبوة، مزواجا على طريقتهم، لا يحدون تعدد الزيجات عندهم بحد، بل يباعل الرجل ما يشاء من النسوة، وليس يرون طلاق المرأة، ولا تبين من الرجل ولو طلقت مرارا، فكانت له أربع وأربعون زوجة، ومن الأولاد مثلهن[5]، وقد انتهى حكمه بعد هلاكه في سنة 300هـ، بعد تسعة وعشرين عاما من حكمه، مع اختلاف في عدد سنوات حكمه، ليخلفه في الحكم ابنه عبد الله أبو الأنصار.

---

[1] البكري، مصدر سابق، ص250.

[2] نفسه، ص252.

[3] إسماعيل محمود، مرجع سابق، ص29.

[4] البكري، مصدر سابق، ص249.

[5] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276.

### 3) إمارة عبد الله أبو الأنصار بن أبي الغفير (300-341هـ).

تولى عبد الله بعد وفاة أبي الغفير، والظاهر أنه تأمر بعهد والده إليه، إذ أن المصادر التاريخية سكتت عن طريقة توليه، لكنهم أشادوا بحسن سياسته، ورجاحة عقله، وابتعاده عن البطش بالرعية، وسفك دمائهم، فقد جاء هذا الأمير ودولتهم مهابة الجانب من طرف ملوك عصره، يهادونه ويدافعونه بالمواصلة[1]، ودولة الأدارسة التي حاربتهم مرارا، وكانت خطرا محدقا بهم، بدأ يدب إليها الضعف، والانقسام بين أمرائها، خاصة بعدما داهمها خطر الشيعة الإسماعيلية، لما انتصر عليهم مصالة بن حبوس المكناسي، وحاصرهم بفاس سنة 305هـ، مما اضطرهم للمهادنة، وبذل طاعتهم لعبيد الله الشيعي[2]، لقد كان عهده عهد دعة وسكون، خاصة وأن وطنهم غني بكل الثروات؛ لاستقلاله بنفسه عن الحاجة إلى ما في غيره[3]، وعلى النقيض من سابقه، فقد تميز عبد الله بأنه سخي، جزل العطاء، يفي بالعهد، ويحفظ الجار، ويكافئ على الهدية بأضعافها[4]، مسالم، لا يسعى لنشب الحروب، بل كان يميل للمهادنة والسلم، وكان كل سنة يعلن النفير، ويعبئ جيشه، فإذا سمعت به القبائل سارعت لمهادنته، وترسل إليه الهدايا، وهذا الذي أشار إليه ابن خلدون بقوله: "كان يجمع جنده وحشمه في كل عام، ويُظهر أنه يغزو من حوله، فتهاديه القبائل وتستألفه، فإذا استوعب هداياهم وألطافهم فرق أصحابه"[5].

لقد امتاز عبد الله بصفات جسدية، ذكرها زمور بن موسى قائلا: "كان أفطسا، شديد أدمة الوجه، ناصع بياض الجسم، طويل اللحية"[6]، واختص بهندام على غير سابقيه، والظاهر أنه من التشريعات التي وضعها، إذ أن الروايات التي وصفت حكم من سبقه من

---

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276.

(2) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص82.

(3) ابن حوقل، مصدر سابق، ص83.

(4) البكري، مصدر سابق، ص250.

(5) ابن خلدون، مصدر سابق، ص278.

(6) البكري، مصدر سابق، ص251.

الأمراء، لم تذكر هذه الجزئية المتعلقة باللباس، والشاهد على أنه تشريع؛ هو منع رعيته من لبس العمامة، إلا الأجانب، ربما حتى يتسنى له تمييزهم عن غيرهم من الوافدين، وأما هو فقد كان يلبس الملحفة والسراويل، ولا يلبس المخيط، ولا يعتم إلا في الحرب[1]، وهذا بمثابة تشريع عندهم، لأن أمراء برغواطة في نحلتهم أنبياء متبعون، وليس هذا الأمير بمستثنى عمن سبقه؛ لأن ابن خلدون قال عنه لما خلف والده أبا الغفير في الحكم: "وولي بعده ابنه عبد الله، فاقتفى سننه"[2]، في ادعاء النبوة، ونشر ديانة جدهم صالح بن طريف.

كان للسياسة الحكيمة التي اتبعها، الأثر الكبير في استمرار حكمه لمدة طويلة، ناهزت اثنين وأربعين عاما، وبعد موته دفن بأمسلاخت وبها قبره، وولي بعده ابنه عيسى أبو منصور، ولم يكن تجاوز الاثنين والعشرين عاما[3].

### 4) إمارة عيسى أبو المنصور (341-368هـ).

حكم عيسى بن عبد الله بعد وفاة والده، وكان لا يزال شابا حدثا لم يتجاوز اثنين وعشرين عاما، وذلك سنة 341هـ[4]، بوصية من والده قبل وفاته، فسار بسيرة آبائه، ودان بديانتهم[5] -في تعاطي السحر والكهانة وادعاء النبوة-[6]، وقد كان ترتيبه بين أمراء برغواطة السابع، إذ عليه مدار الأمر في تحقق نبوءة صالح بن طريف، والتي تقضي برجعته عند تولي سابع أمراء دولته، لذلك وصفه ابن خلدون، على لسان زمور أنه فيحا بوصية والده[7]: "أنت سابع الأمراء من أهل بيتك، وأرجوا أن يأتيك صالح بن طريف"[8]؛ أي

---

(1) البكري، مصدر سابق، ص251.

(2) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص278.

(3) البكري، مصدر سابق، ص251.

(4) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276.

(5) البكري، مصدر سابق، ص251.

(6) محمد الطالبي - إبراهيم العبيدي، مرجع سابق، ص73.

(7) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276.

(8) نفسه، ج6، ص276.

أنه هو المفتاح الذي يأتي معه الفرج، بتحقق نبوءتهم المزعومة، التي لم تتحقق، وكانوا يتوارثونها من لدن حكم صالح بن طريف البرغواطي.

عمل عيسى على بناء علاقة وطيدة مع الأمويين، تطبيقا لوصية والده وجده صالح من قبل، فأرسل سفيرا على عادة الدول الكبرى وأعرافهم الديبلوماسية للأندلس، زمن الخليفة الحكم المستنصر الأموي(302-366هـ)، وكان ذلك سنة 352هـ، وهذا السفير هو أبو صالح زمور بن موسى بن هشام، صاحب صلاتهم[1]، وهو من حكى تلك الرواية الشهيرة التي نقلها البكري في كتابه، بل تعتبر المصدر الوحيد تقريبا لكل الإشارات المتعلقة بالبرغواطيين.

كانت دولة بني صالح خلال حكم عيسى بن عبد الله، قد اشتد ساعدها، واتسع حلفائها، وشكل حاكمها جيشا عظيما؛ قوامه ثلاثة آلاف من برغواطة، وعشرة آلاف من سواهم؛ مثل جراوة، وزواغة، والبرانس، ومجاصة، ومدغرة، ودمر، ومطماطة، وبنو وارزكيت، ويضيف ابن خلدون قائلا: "أن بني يفرن، وأحادة، وركامة، وإيزمن، ورصافة، وغصرارة، دانت بالبرغواطية زمن عيسى بن عبد الله، وإن ملوكهم لم يسجدوا إلا له"[2]، وفي هذا أبلغ شاهد على الغطرسة والتجبر، الذي بلغه عيسى بن عبد الله البرغواطي.

لم تتحقق نبوءة صالح بن طريف، لكن الذي حصل؛ هو تعرض إمارتهم التي بدأت تتقوى لهجوم كاسح من القوى المناوئة، والتي طالما اعتَبرت إمارة برغواطة هدفا مشروعا لحملاتها؛ بسبب نحلتهم التي شوهوا بها الإسلام، فبعد أن أفل نجم دولة الأدارسة، وخفت وطأتهم مطلع القرن الرابع هجري[3]، ظهرت دول أخرى ناصبت لبني طريف العداء، وكان من نتائج هذه الصدامات؛ أن قتل أميرهم عيسى بن عبد الله، في حملة قادها

---

[1] البكري، مصدر سابق، ص251.

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276.

[3] ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص82.

بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي(361-373هـ) في عام 368هـ[1]، وبمقتله انتهى عصر القوة والازدهار، الذي دام لفترة لا تقل عن القرنين ونصف، بدءاً بحكومة جدهم طريف بن شمعون، وانتهاء بحكم سابع أمرائهم عيسى أبو المنصور البرغواطي[2].

**2. خلال طور الضعف**

**أ. انقطاع أخبار حكام برغواطة**

بعد مقتل سابع أمراء برغواطة، دخلت دولتهم في مرحلة من الفوضى والضعف، إذ أنهم تهاووا تحت وطأة الضربات المتوالية، وربما بقوا دون أمير طيلة تلك الفترة التي غابت أخبار حكامهم، أو أنهم دخلوا مرحلة من السرية، أملتها عليهم ظروف القوة القاهرة التي ألمت بهم، حيث صاروا مطمعا للكيانات والقبائل المحيطة بهم، وهذا لسببين:

أولهما ديني؛ وذلك لزندقتهم، وتبديلهم شريعة الإسلام، ودعوتهم لدينهم الجديد، وقتلهم الناس على ذلك، فصاروا يشكلون خطرا على جيرانهم، وكلما قامت دعوة إلا ابتدرتهم بالقتال، طمعا في كسر شوكتهم، وإسقاط هيبتهم، فهم كانوا بمثابة الخنجر في خاصرة الأمة الإسلامية بالغرب الإسلامي، نظرا لموقعهم الجغرافي، وتعداد جيوشهم، وتحالفهم القبلي، وهذا صعب المأمورية على كل الدول التي حاربتهم.

والثاني اقتصادي وتجاري بحت؛ نظرا لغنى وطنهم، وتعدد ثرواتهم، ووفرة المياه عندهم، فصيرهم ذلك هدفا للحملات العسكرية، ونهب القبائل المجاورة؛ طمعا في استغلالها، والسيطرة على الطرق التجارية مع السودان الغربي.

---

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص279.

[2] خديجة الخديري – أحمد سراج، مرجع سابق، ص ص82-83.

### 1) إمارة أبي حفص عبد الله (-، 452هـ/-، 1060م)

على غرار الفترة التي سبقت، والتي لم نعرف فيها من حكم بعد عيسى بن عبد الله، واعتبرت كفجوة في تاريخ إمارة برغواطة الصغيرة، تغيب عنا حقيقة وزمن تولية أبي حفص عبد الله، حتى سيقت لنا أخبار الاجتياح الكبير الذي شنه عبد الله بن ياسين الجزولي، القادم من عمق الصحراء الكبرى، والذي كان يتزعم حركة إصلاح ديني، حيث أوردت مصادر التاريخ اسمه حينها كأمير للسلالة الحاكمة، منذ ما يربو عن القرنين من الزمن، يقول ابن أبي زرع الفاسي: "والأمير على برغواطة يومئذ أبو حفص عبد الله بن أبي عبيد الله محمد بن مخلد بن اليسع بن صالح بن طريف البرغواطي المتنبيء"[1]، ولم نستفد من هذه الإشارة سوى أنه كان على غرار من سبقه من الأمراء متنبئا، وإن القضاء عليه وعلى دولته كان على يد أبي بكر بن عمر اللمتوني (448-480هـ)، الذي قدمه عبد الله بن ياسين الجزولي كخليفة له، غداة موته جراء الإصابة التي تلقاها في قتاله مع جيش برغواطة، والذي كانت بينه وبينهم حروب عظيمة وملاحم شديدة"[2]، وذلك سنة 451هـ، وبموت ابن ياسين، ومبايعة أشياخ المرابطين أبا بكر بن عمر أميرا عليهم، عمل هذا الأخير على إنهاء واجتثاث هذا الكيان من أساسه، "وكان أبو حفص عبد الله من أعقاب أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن أبي الغفير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف، وعليه كان انقراض أمرهم، وقطع دابرهم، على يد هؤلاء المرابطين"[3]، ففي سنة 451هـ انتهت إمارة برغواطة كدولة وإمارة، قاومت من أجل بقائها، ومثاقفتها، لفترة طويلة من الزمن.

### 2) نهاية إمارة برغواطة

أجمع أهل الأخبار من المؤرخين والجغرافيين، ممن تعرض لتاريخ برغواطة قديما، على تحديد تاريخ 451هـ كنهاية لهذه الإمارة وسقوطها، إلا ما كان من البكري، الذي وهم وجعل

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص132.

[2] نفسه، ص134.

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص279. ينظر الملحق 04.

نهايتها في بداية القرن الخامس هجري؛ كما أخبر بذلك قائلا: "ولم تزل برغواطة في بلادها معلنة دينها، وبنو صالح بن طريف ملوكها، إلى أن قام فيهم الأمير تميم اليفرني، وذلك بعد سنة 420هـ، فغلبهم على بلادهم، وسباهم، وجلا من بقي منهم، واستوطن ديارهم، وانقطع أمرهم، وعفا أثرهم، ولم يبق لضلالهم باقية، ولا من أواصر كفرهم آصرة ... وجميع بلاد برغواطة اليوم على الإسلام"[1]، وبعض المتأخرين جعل سقوطها زمن الموحدين، كما قال محمود إسماعيل، وهذا لا يستقيم؛ إذ أن دولة المرابطين مكثت ما يناهز القرن من الزمن، وكان مركز حكمهم مدينة مراكش، والتي تقع جنوب إقليم تامسنا، ولم تذكر المصادر أي حركة لهم، ولا أي مصادمات، بل الثابت أنهم استولوا على بلاد المصامدة كلها[2]، وإنما قامت لهم انتفاضة قبلية معزولة، سرعان ما وأدها الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي(524-558هـ)، إذ سير حملة بقيادة أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي، والحق الذي وجب التعويل عليه؛ أن سقوط برغواطة كان بعد مقتل عبد الله بن ياسين الجزولي، إبان الحملة التي اكتسح بها أبو بكر بن عمر اللمتوني (448-480هـ) إمارة برغواطة سنة 451هـ، حيث ترك إقليمهم كما قال الحسن الوزان: "طعمة للنار، والدم، والنهب، وتقتيل الكبار والصغار، حتى الأطفال الرضع، وكان ذلك طيلة ثمانية أشهر"[3]، ويقدر "عدد الهالكين بمليون نسمة"[4].

لقد بالغ الحسن الوزان في ايراد هذا الخبر من نواح كثيرة، لعل أبرزها اتهام المرابطين باقتراف جرائم حرب، بقتلهم للعزل من الشيوخ والنساء والأطفال، وهذه الجزئية لم يسجلها غيره على المرابطين، فهم كانوا من أبعد الناس عن الدماء المعصومة، وكذا عدد القتلى الذي قدره بمليون نسمة، وليس هذا بصحيح، إذ أن الوزان عاش بعد هذه الأحداث بأزيد من

---

[1] البكري، مصدر سابق، ص ص255-256.

[2] نفسه، ص293.

[3] الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص195.

[4] نفسه، ص195.

خمسة قرون، فكيف تسنى له إعطاء هذا الرقم؟ ومعلوم أن مثل هذا الإحصاء يحتاج إما لحضور الواقعة، أو مزامنتها على الأقل، أو إعطاء دليل واضح على حقيقة ادعائه.

وعلى نفس المنوال سار ابن خلدون بتأكيد انقراض أمرهم، وقطع دابرهم على يد المرابطين[1]، وهو ما ذكره ابن أبي زرع في وصفه لغزوة أبي بكر بن عمر اللمتوني بقوله: "فاستأصل برغواطة حتى فروا بين يديه، وهو في أثرهم يقتل ويسبي، حتى أثخن فيهم، وتفرقت برغواطة في الصحراء، وأذعنوا له بالطاعة، وأسلموا إسلاما جديدا."[2]، وإذا جئنا لكلام الجغرافيين، نجد أنهم أرَّخوا سقوط هذه الإمارة بعد غزوة المرابطين، ومقتل آخر آمرائهم[3]، إلا ما كان من البكري الذي شذ في رأيه، جاعلا نهايتهم على يد تميم اليفرني سنة 420هـ[4]، ولعله وهم في ذلك، واستبق الأحداث التي بلغته؛ لأنه لم يرحل إليهم، ولا استشف أخبارهم عن قرب كما فعل ابن حوقل، بل دَوَّن ما بلغه من كلام زمور، عن طريق عيسى بن داوود بن عشرين السطاطي، أو رواية المذحجي التي نجهل مصدر تلقيها، والأعجب من ذلك هو تقديمه لخبر نهاية برغواطة المغلوط، رغم أنه عاش حتى بعد سقوط دولتهم على يد المرابطين بستة وثلاثين عاما، وعاصر دولة المرابطين لما استولت على الأندلس عام 484هـ، وأنهت حكم ملوك الطوائف، فكيف غفل عن تصحيح هذا التاريخ، وهو الذي أرّخ وكتب عن دولة المرابطين، وغزوات ابن ياسين وصرح قائلا: "... وغزا عبد الله بن ياسين أغمات سنة تسع وأربعين، واستولى على بلاد المصامدة سنة خمسين، وقُتل ببرغواطة سنة إحدى وخمسين، بموضع يقال له كريفلة ... ولم يُقتل ابن ياسين حتى استولى على سجلماسة وأعمالها، والسوس كله، وأغمات، ونول والصحراء"[5]، فماذا بقي لبرغواطة بعد وقوع بلاد المصامدة بيد أهل اللثام؟

---

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص279.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص133

[3] مجهول، الاستبصار، مصدر سابق، ص198؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ج3، ص186.

[4] البكري، مصدر سابق، ص254.

[5] نفسه، ص293.

## III. العلاقات الخارجية للبرغواطيين

### 1. خلال طور القوة

انتهج البرغواطيون في بادئ الأمر، سياسة داخلية اتسمت بالسرية، ومحاولة اللعب على وتر القومية البربرية، والمناداة بالعدل؛ وذلك من أجل الاستقلال عن الخلافة الإسلامية، جريا على مبادئ الصفرية ببلاد المغرب، ولم يعرف لها آنذاك دعوة إلى مذهب معين، ولا استقلال بملة خاصة، إلى أن قدم صالح بن طريف من المشرق، وتقلد الحكم بعد والده؛ بدأنا نلمس وجود تحضير خفي لمنهج غريب محدث، وإن لم يتم الإعلان عنه، ولا الدعوة إليه، وقد انصبت سياسة حكام برغواطة خلال فترة التأسيس على البراعة في الإقناع، سواء بالحجج العقلية –باعتبار المجتمع البرغواطي كان يعمه الجهل–، أو باستعمال الطلاسم، ومعرفة التنجيم والسحر، مع محاولة الحفاظ على الاستقرار، وعدم إثارة العنف والنعرات، وهذا حتى نهاية حكم إلياس، ومجيء يونس ابنه، فهذا الأخير لما أحس بأن الدولة صار لها شوكة، وأمِن على نفسه، غيّر من سياسته الداخلية، وخرج من سرداب السرية للجهر بالدعوة البرغواطية علنا، متوسعا في استعمال الترهيب والعنف مع القبائل التي ترفض الانصياع لنحلتهم، فبدأنا نسمع بالمجازر الرهيبة التي أفنى بها مدنا وقرى كثيرة[1].

#### أ. مع دولة الخلافة الأموية

أما السياسة الخارجية فإن إمارة برغواطة كان لها سياسة مضطربة، تحكمها المصالح والأوضاع السياسية مع جيرانها، كما قال ابن خلدون: "... وكان لملوك العدوتين في غزو برغواطة هؤولاء، وجهادهم أثناء هذا وبعده، آثار عظيمة من الأدارسة والأمويين والشيعة"[2]، وهذا من أول ظهور لها، حيث نجد أن تأسيسها جاء نتيجة لإفرازات الثورة الصفرية الكبرى، كموقف متخذ من سياسة عمال بني أمية المتأخرين، الذي اتسم بالعسف والجور مع الرعية،

---

[1] البكري، مصدر سابق، ص253.

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص278.

وهو الذريعة المتخذة –حسبهم– لاستيرداد الحقوق المغتصبة، فكانت إمارتهم أول كيان يشق عصا الطاعة، ويعلن استقلاله عن الخلافة الأموية، وذلك بمبايعتهم لطريف بن شمعون البرغواطي سنة 122هـ.

بنهاية حكم صالح بن طريف (122–131هـ)، بدأت أولى بوادر الصدام الخارجي المسلح تطفوا إلى السطح، وذلك أن دولة الأدارسة التي تأسست إبان حكم صالح بن طريف (131–274هـ)، وفي أخريات أيامه كانت قد حسمت موقفها من برغواطة دولة ودينا.

**ب. مع دولة الأدارسة**

كان قيام دولة الأدارسة الحسنيين بمدينة وليلي[1] سنة 172هـ، نقطة تحول كبرى في سياسة برغواطة، ككيان يحدق به خطر خارجي يهدد وجوده، فبعد مبايعة قبائل الريف وقبائل أوربة لإدريس بن عبد الله (172–177هـ)؛ تشكل له جيش كبير، شرع هذا الأخير في غزو بلاد تامسنا، وتادلا، وكان منهم الكثير على دين النصرانية واليهودية، ففتحها ثم قفل إلى مدينة وليلي، ثم انطلق بعدها لفتح فندلاوة، وصدينة، ومديونة، وفازاز[2]، وكان الإسلام بها قليلا، وقد تحصنوا بالمعاقل، والجبال، والحصون المنيعة، فأسلم جميعهم على يديه، وفتح بلادهم، وأباد من أبى الإسلام منهم؛ بالقتل، والسبي، ودمر بلادهم، وهدم معاقلهم[3]، وكل هذه المناطق التي هاجمها إدريس بن عبد الله (172–177هـ)، تقع في محيط برغواطة وعلى حدودها؛ مما يدل على استباحة وطن برغواطة بأكمله.

وبعد مقتل إدريس بن عبد الله الحسني(172–177هـ)، بقي مولاه راشد متكفلا بشؤون الإمارة الادريسية الفتية، حتى ولادة ابنه إدريسالأصغر (188–213هـ)، والذي ما إن اشتد

---

[1] تقع وليلي على مسافة يوم من فاس، وبها نزل إدريس بن إدريس بن عبد الله الحسني على صاحبها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد بن الأوربي عام 172هـ، وهي بغربي مدينة فاس، عظيمة أولية وبها كان مهلكه سنة 174هـ. البكري، مصدر سابق، ص229.

[2] ابن الخطيب، مصدر سابق، ج3، ص191.

[3] ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص ص20–21.

ساعده، واتخذ عاصمة لدولته، وهي مدينة فاس –التي بناها سنة 197هـ–؛ حتى خرج لغزو بلاد المصامدة، الواقعة جنوب إقليم تامسنا[1]، وبقيت العلاقات البرغواطية الإدريسية تتسم بالتوتر والعدوانية، واستمرت كذلك في عهد ابنه محمد بن إدريس (213–221هـ)، الذي قسم ملك والده على إخوته –بإشارة من جدته كنزة–، فكانت شالة، وسلا، وأزمور، وتامسنا، وما إلى ذلك من القبائل من نصيب أخيه عيسى[2].

لقد كان سبب تسيير هذه الحملات من طرف الأدارسة ديني بالدرجة الأولى، فهم كانوا ينظرون للبرغواطيين بعين الريبة؛ والسبب هو نحلتهم التي كانت تثير حفيظة الأدارسة وشيوخ دولتهم، خاصة مع بقاء جيوب كثيرة كانت لا تزال تعتنق اليهودية والنصرانية، فكان لزاما عليهم تسيير حملات الفتح لنشر الإسلام بينهم، والسبب الآخر سياسي اقتصادي بدرجة أقل، إلا وهو كبح توسع دولة برغواطة، التي بدأت تتقوى، خاصة زمن يونس بن إلياس البرغواطي(227–271هـ)، ولم يكن بمقدور دولة الأدارسة التوسع شرقا؛ تفاديا لإمارة بني الأغلب القوية، والتي تمتلك الشرعية –باعتبار مبايعتها للخلافة العباسية–، وبذلك قدر الأدارسة بسط سيطرتهم على إقليم تامسنا الغني[3] لفترة طويلة، لم يخفَّ فيها الضغط على البرغواطيين إلا بسبب خروج عيسى على شقيقه محمد، مما اضطره لتسيير حملة بقيادة أخيه عمر؛ لإرجاع إقليم تامسنا تحت سيطرة أخيهم محمد بفاس[4]، وهو ما نجح فيه عمر نسبيا، إذ أن هذه السيطرة لم تدم طويلا، فبعد موت محمد بن إدريس (213–221هـ)، انتهز أبو الغفير الفرصة وقام بمناوشة الأدارسة، ودخل معهم في قتال انتهى بانتزاع أراضي أجداده منهم، وطردهم خارج حدود دولته[5].

---

(1) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص50.

(2) نفسه، ص51.

(3) محمود إسماعيل، مغربيات، ص31.

(4) ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص ص49–50.

(5) سحر عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص ص38–39.

### ج. مع دولة بني أمية بالأندلس

كان منشأ العلاقة البرغواطية الأموية قديما، ومنذ السنوات الأولى لقيام إمارة برغواطة[1]، وذلك لأسباب وعوامل عديدة:

أولها: وصية صالح بن طريف لابنه إلياس، بأن يحافظ على علاقة طيبة مع حكام بني أمية بالأندلس[2]، وهو ما عمل عليه كل من جاء بعد إلياس بن صالح، حتى وصل مستوى العلاقة بين الدولتين، لغاية تبادل سفراء البلدين، كما لاحظنا سنة 352هـ، زمن الحكم المستنصر (302-366هـ)[3].

والعامل الثاني: هو بسبب أصل حكام برغواطة الأندلسي، إذ أن حنين صالح وولده لبلدهم الأم قوي، باعتبار أصل والدهم طريف، من فحص برباط بالجنوب الأندلسي، فلم يشأ قطع صلته بوطنه الأم، فكان أوصى خلفاءه بمصانعة أمراء بني أمية[4]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لعلائق أخوية، وروابط أسرية جمعتهم مذ زمن عبد الرحمن الداخل(138-172هـ)، إذ أن أخوال الداخل هذا من بربر نفزة، ومن بطونها تمصيت، ومنه مطماطة، ومطغرة، ومغيلة[5]، فلا نستبعد والحال هاته، أن لجوء صقر قريش أثناء هروبه من بطش بني العباس عند أبي قرة وانسوس، لم يكن اعتباطيا، بل بسبب قرب مغيلة من نسب أخواله نفزة من جهة، ومن جهة أخرى، فإن أبا قرة هذا، رأس من رؤوس الصفرية، فلا غرابة في أن يكون من أقران طريف بن شمعون، وميسرة المطغري، وقد اجتمعوا آنذاك على نبذ حكم

---

(1) سحر عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص39.

(2) البكري، مصدر سابق، ص249.

(3) البكري، مصدر سابق، ص249.

(4) البكري، نفسه، ص249.

(5) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص496.

العباسيين[1]، والتملص من بيعتهم، بل نصبوا لهم العداء والحرب، مما سهل على الزعيم الأموي اللجوء إليهم، فقاموا بإيوائه، وسهلوا له الجواز للعدوة الأندلسية[2].

لم ينس الأمويون هذه الوقفة لبطون نفزة، وأعوانهم البرغواطيين، فحفظوا لهم الود رغم الاختلاف العقدي بينهما، وذلك من أجل خلق نوع من التوازن الإقليمي بينهما، إذ أن دولةً فتية كانت قد ظهرت للتو ببلاد المغرب، متمثلة في الدولة العبيدية الفاطمية، والتي ناصبت العداء لكل الكيانات التي كانت قائمة آنذاك، بل أسقطت دولتي الرستميين والأغالبة، وقد كان لهما أكثر من قرن على تواجدهما، وكان ذلك في 296هـ، وهي سنة تأسيسها، فكان لزاما على دولة بني أمية أن تبني علاقات ودية مع البرغواطيين، باعتبارهم مستهدفين من نفس العدو.

ولما توفي الحكم المستنصر (302-366هـ) سنة 366هـ، وجاءت إمارة الخليفة الضعيف هشام المؤيد بالله (366-403هـ)، وصار الحكم بيد الحاجب المنصور (327-392هـ) وفتيانه العامرية، انقطع حبل الود بين الدولتين، فقام الحاجب المنصور (327-392هـ) بتجهيز حملة بقيادة جعفر بن علي بن حمدون، لمصادمة البرغواطيين؛ لكن حملته هذه انتهت بهزيمة شنيعة[3]، أوقعها بهم أبو المنصور عيسى بن أبي الأنصار، وبعد هذه الحملة التي منيت بالفشل الذريع، قام الحاجب المظفر عبد الملك بن المنصور (364 - 399هـ) بتجهيز حملة أخرى، قادها مولاه واضح الفتى سنة 389هـ، فهاجم البرغواطيين وأثخن فيهم قتلا وسبيا[4].

ولا نستطيع أن نفسر سبب تغير الموقف السياسي للدولة الأموية من إمارة برغواطة، إلا إذا وضعنا في الحسبان أن موقف الأمويين لم يكن بأيديهم؛ وذلك راجع لاستيلاء

---

(1) سحر عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص39.

(2) ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص155.

(3) ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص109،

(4) نفسه، ج6، ص269.

الحاجب المنصور(327-392هـ) وفتيانه العامرية على مقدرات الخلافة الأموية، وحجبهم للخليفة الضعيف هشام بن الحكم (366-403هـ)، الذي لم يكن إلا صورة وواجهة ليس إلا، وأما الحل والعقد فإنما بيد المنصور بن أبي عامر (327-392هـ)، وهذا كان من أكبر أسباب ضعف الدولة الأموية، وسقوطها بعد ذلك، والأمر الثاني الذي يجب الإشارة إليه، يكمن في الصراع المعلن بين الأمويين والفاطميين -وهو صراع قديم بين السنة والرافضة-، حول من يستطيع السيطرة على بلاد المغرب الأقصى، فكانت الحرب بينهما سجالا، ولما انجلى بنو عبيد إلى مصر، واحتجبت خلافة بني أمية بالجزيرة الإيبيرية، صارت حرب بالوكالة بينهما، فناب عن الشيعة العبيديين، بلكين بن زيري بن مناد (362-373هـ) وبنوه من بعده، بينما تولى أمر الأمويين أبو عامر محمد بن أبي عامر والذي عرف بالحاجب المنصور (327-392هـ).

### د. مع دولة بني المدرار

تأسست دولة بني مدرار الصفرية سنة 140هـ، على ما تأسست عليه كافة الدول والإمارات الخارجية، والتي اشتركت جميعها في نصب العداء للخلافة الإسلامية، ومحاولة تشتيت قوة ووحدة المسلمين[1]، وقد مكثت هذه الإمارة ردحا من الزمن لا تتعرض للبرغواطيين، ولا تحاربهم، رغم قربهم منها جغرافيا وعرقيا، حتى جاء زمن محمد بن الفتح(340-347هـ)، المعروف بالشاكر لله، فتولى حربهم؛ وذلك راجع لتغير نهج الدولة ومعتقدها، إذ أن الشاكر لله كان على خلاف من سبقه من أمراء بني مدرار، حيث اعتنق مذهب أهل السنة، وبايع للخليفة العباسي، وتسمى بأمير المؤمنين، وصك النقد باسمه، وكان عادلا، كما نقل ابن حزم[2]؛ ثم السبب الآخر الذي عجل بتغير موقف المدراريين من البرغواطيين، هو جهر البرغواطيين بمذهبهم المنحرف، واقترافهم جرائم مروعة

---

[1] وفاء يعقوب جبريل برناوي، **دولة بني المدرار"الصفرية" بالمغرب الأقصى الإسلامي**، رسالة ماجيستر، إش فواز علي بن جنيدب الدهاس، غ.م، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2003م، ص23.

[2] الزركلي، مرجع سابق، ج7، ص196.

في حق القبائل المخالفة لهم، فأعلن الشاكر الحرب عليهم، ودعا إليها كما نقل ابن حوقل: "وكنت ألفيت محمد بن الفتح؛ المعروف بالشاكر لله، بسجلماسة يدعو إلى غزوهم في سنة أربعين وثلاثمائة"، وقد كانت دولة بني المدرار حينها تعد أيامها، ودب إليها الضعف، لذلك لم تتم تلك الحملة، أو أنها لم تحقق مبتغاها، حيث يردف ابن حوقل: "وأظنه هلك ولم يبلغ منهم محابه؛ لقلة إجابة من كان يدعوه إلى غزوهم من البربر، وخوفهم من اطراد حيلة لمحمد بن الفتح الشاكر لله عليهم في ذلك"[1]، ولم تحفظ لنا روايات الإخباريين أنه اقتحم بلادهم، ولا ذكروا معاركه معهم، كدلالة على صدق ما توقعه ابن حوقل؛ إذ أن جوهر الصقلي داهم سجلماسة مقر الدولة المدرارية، وأسقط حكمهم، وأخذ محمد بن الفتح أسيرا بسجن رقادة، حتى هلك سنة 354هـ[2].

### هـ. مع بني عبيد وخلفائهم الزيريين

غداة جلاء الفاطميين عن إفريقية سنة 362هـ، وارتحالهم إلى مصر، عين المعز لدين الله الفاطمي(341-365هـ) بلكين بن زيري (362-373هـ) عاملا له على بلاد المغرب، وسماه يوسف أبو الفتوح، وخلع عليه، ولقبه سيف الدولة، وأوصاه خيرا بأهل الحواضر، وألا يرفع الجباية على أهل البوادي، ولا يولي أحدا من أهل بيته، وأرسل إليه يوصيه بأن لا يتوغل في بلاد المغرب[3]، وكان الصراع الأموي الفاطمي قد نشب بين آل زيري؛ عمال الفاطميين، وبين العامريين؛ حجاب الأمويين بالأندلس، وفي خضم هذه الأحداث استطاع بلكين أن يدخل فاس، ويطرد عمال الأمويين منها سنة 368هـ، واستطاع اخضاع حلفائهم من زناتة، مما ألجأهم للتحصن بمدينة سبتة، وطلبوا المدد من الحاجب المنصور(327-392هـ)، فقام بنجدتهم، وأرسل إليهم القوات تترى؛ فعجل ذلك بانحياش بلكين بن زيري (362-373هـ) من أمامهم، مشتغلا بجهاد برغواطة[4]، ودخل معهم في صراع مرير؛ انتهى

---

(1) ابن حوقل، مصدر سابق، ص83.

(2) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص174.

(3) نفسه ج6، ص206.

(4) نفسه، ج6، ص279.

بمقتل أميرهم أبي المنصور عيسى بن أبي الأنصار، وأثخن فيهم بلكين بالقتل، وقام بسبي نسائهم وذراريهم، وأرسلهم للقيروان، وقام يردد فيهم الغزو إلى سنة 372هـ، وهلك بعد منصرفه من الغزو[1].

**و. مع القبائل المجاورة لهم**

تباينت مواقف القبائل البربرية المحيطة بإمارة برغواطة، بين متعاطفة معهم دخلت في نحلتهم طواعية، كما ذكر ذلك البكري نقلا عن زمور: "إن قبائل برغواطة الذين يدينون لهم وهم على ملتهم ..."، وأخرى انقادت لهم على سبيل التحالف معهم، لا اقتناعا بنحلتهم، في قوله كذلك: "وممن يدين لهم من المسلمين وينضاف إلى مملكتهم ..."[2]، وبعض القبائل كانت تصلهم بالبضائع؛ بغرض الاتجار معهم، ويحاربونهم أحيانا، وذلك حسب ما يراه حكامهم، حيث ينقل بن احوقل ما عاشه وشاهده: "وكان أهل البصرة، ومدينة فاس، يغزونهم في بعض الأوقات، ويسالمونهم، ويتاجرونهم، ويجلبون إليهم التجارات، على ما يرونه ولاتهم ..."، وقال كذلك: "وقد يصل إليهم أهل أغمات، والسوس أيضا بالتجارة، وكذلك قوم من أهل سجلماسة ..."[3].

وبعض القبائل ممن كانت لهم شوكة ومنعة، فإنها تجردت لقتالهم؛ جهادا لله، ونصرة للإسلام، لما بلغتهم حقيقة ملتهم الموضوعة، ولم يحل بينهما متاع ولا تجارة، بل كانت الحروب بينهما سجال، كما حصل مع قبائل بني يفرن، حيث أنه بعد هلاك حمامة بن زيري بن يعلى، خلفه أخوه أبو الكمال تميم بن زيري بن يعلى؛ فاستبد بملكهم، وكان مولعا بالجهاد، فانصرف لجهاد برغواطة، وسالم مغراوة، وأعرض عن فتنتهم[4]، وكان يغزوهم في كل سنة مرتين، فيقتل منهم ويسبي، فلم يزل على ذلك إلى أن مات في سنة

---

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276.

[2] البكري، مصدر سابق، ص253.

[3] ابن حوقل، مصدر سابق، ص83.

[4] ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص30.

448هـ[1]، وقد اتخذ تميم بن زيري من شالة عاصمة له ولقومه من بني يفرن، يردد فيهم الغزو، كما أشار إلى قريب من ذلك البكري: "إلى أن قام فيهم الأمير تميم اليفرني وذلك بعد 420هـ، فغلبهم على بلادهم، وسباهم، وجلا من بقي منهم، واستوطن ديارهم، وانقطع أمرهم، وعفا أثرهم، ولم يبق لضلالهم باقيه، ولا من أواصر كفرهم آصرة[2].

### 2. خلال طور الضعف

بعد الحملة الكبيرة التي قادها بلكين بن زيري (362-373هـ)، وانتهت بمقتل عيسى بن عبد الله (341-368هـ) سابع أمراء برغواطة؛ احتجبت أخبار الإمارة عن كتابات المؤرخين، وأوصاف الرحالة والجغرافيين، ولم نعد نستشف أخبارهم، لغاية قدوم جحافل المرابطين من الصحراء في حركتهم الإصلاحية، والجهادية الكبيرة، ودخولهم لوطن برغواطة، وذلك منتصف القرن الخامس هجري.

### أ. مع دولة المرابطين

كان ابن ياسين شيخ المرابطين وإمامهم، قد دخل الأندلس، ومكث بها سبع سنوات زمن الطوائف[3]، وشاهد تمزق الأمة، وانحلال عقدها، وتسلط ملوك النصارى عليهم، ولما رجع لوطنه مارا ببلاد المصامدة، عاش ولاحظ بنفسه عبث أمراء مكناسة، وبني يفرن، ومغراوة، ببلاد المغرب، واقتتال القبائل البربرية فيما بينها[4]، فلما لاحت له الفرصة، وطلب منه شيخه وجاج[5] أن يرافق الأمير يحيى بن إبراهيم، قام معه للصحراء، التي تعتبر وطن

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص110.

[2] البكري، مصدر سابق، ص255.

[3] مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979م، ص20.

[4] ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج4، ص9.

[5] وجاج بن زلو اللمطي، من أهل السوس الأقصى، رحل إلى القيروان وأخذ عن أبي عمران موسى بن أبي الحاج الفاسي، ثم عاد إلى السوس الأقصى واتخذ داره رباطا لطلبة العلم وحفظة القرآن، وكان مطاعا مزورا يطلبون منه الدعاء لهم، توفي في 445هـ. أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف**، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، 1997م، ص89.

لمتونة، وجدالة الصنهاجية[1]، وهي قريبة من وطنه، باعتباره ينتسب لجزولة بالسوس الأقصى، فكان أول ما بدأ به؛ هو إصلاح شؤون قبائل صنهاجة، وتخليصهم من الآفات الاجتماعية، والبدع الشنيعة[2]، خاصة أنه كان مدعوما من ولي أمرهم الشرعي؛ المتمثل في يحيى بن إبراهيم الجدالي، والذي سعى في جلب فقيه مالكي؛ يرفع عن قومه الجهل، وينير قلوبهم بأحكام الشرع الحنيف[3]، وما إن انتهى ابن ياسين من إصلاح شؤون المجتمع الصنهاجي بالصحراء، حتى يمم وجهه نحو الشمال لإزاحة قبائل زناتة، ومكناسة؛ المتطاحنة على الحكم ببلاد المصامدة، ومن ثم قام بالقضاء على الشيعة البجلية، فأوقع بهم، وقتل منهم خلقا كثيرا[4]، وبعدها صار الطريق مفتوحا لمهاجمة قبائل برغواطة، على ساحل البحر المحيط، وذلك بغية توحيد بلاد المغرب تحت حكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[5].

كان ابن ياسين يدرك جازما خطورة برغواطة[6] على جميع الأصعدة، خاصة العقدية والعسكرية؛ لذلك تفرغ لمقارعتهم، فمن غير المعقول أن يتوغل شرقا، ويترك خلفه خنجرا مسموما قد شهر مذ قرنين من الزمن؛ لذلك وبمجرد وصوله قرب إقليم تامسنا، جاءه خبر برغواطة، وما عليه من الضلال والكفر، فرأى أن يقدم جهادهم على غيرهم، وعلى برغواطة آنذاك أبو حفص عبد الله بن أبي عبيد بن مخلد بن اليسع بن صالح بن طريف البرغواطي المتنبئ، فكانت بينه وبين ابن ياسين حروب عظيمة، وملاحم شديدة، مات فيها من الفريقين خلق كثير، واستشهد فيها عبد الله بن ياسين الجزولي؛ مهدي المرابطين، بعد أن اتفقوا على بيعة أبي بكر بن عمر اللمتوني (447-480هـ)[7]، للقيام بحربهم، وقسمة فيئهم وأعشارهم،

---

(1) مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، مصدر سابق، ص17.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ط1، ص141.

(3) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص243.

(4) ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص ص127-132.

(5) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص244.

(6) حمود بن سعد الأكلبي، مرجع سابق، ص131.

(7) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص244.

وكان ذلك في جمادى الأولى سنة 451هـ[1]، بعد أن انتهوا من دفن ابن ياسين بمشهد كريفلة[2]، استمر أبو بكر بن عمر (447-480هـ)، وقومه من بعده، على مجاهدة برغواطة، ولم تنته المواجهات بين المرابطين والبرغواطيين، إلا باندحار أبي حفص عبد الله ومقتله؛ وعليه كان انقراض أمرهم، وقطع دابرهم، فلم تقم لدولتهم بعد ذلك قائمة[3]، وجمع أموالهم وغنائمهم، وقسمها على المرابطين؛ فأذعنوا له بالطاعة، وأسلمت قبائل برغواطة إسلاما جديدا[4]، بعد هذه الحملة الكبيرة التي قادها أبو بكر بن عمر (447-480هـ) على البرغواطيين، وأدَّت للقضاء على دولتهم قضاء مبرما؛ لم نعد نسمع عن أخبارهم طيلة الوجود المرابطي، الذي لم ينته إلا بقيام دعوة الفقيه السوسي؛ محمد بن عبد الله بن تومرت (471-524هـ)[5]، الذي لم يعش ليرى ثمارها، بل أوصى لأحد أتباعه؛ وهو عبد المؤمن بن علي الكومي(524-558هـ)، الذي لقي مقاومة شرسة عند محاولة جيوشه الدخول لإقليم تامسنا سنة 543هـ.

**ب. مع دولة الموحدين**

بعد منصرفه من فتح تلمسان، والقضاء على من كان بها من أعيان المرابطين، سار عبد المؤمن بن علي (524-558هـ)، لفتح مراكش، وفي طريقه لحصارها، سرح الشيخ أبو

---

(1) ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص133.

(2) البكري، مصدر سابق، ص293.

(3) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص279.

(4) ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص133.

(5) ابن تومرت، الشيخ الفقيه، محمد بن عبد الله المصمودي الهرغي، الخارج بالمغرب المدعي الحسنية والمهدوية والعصمة، حج وتفقه وحصل أطرافا من العلم، وقد لهج بعلم الكلام وخاض في مزال الأقدام، وكان يكفر من يعارض عقيدة المرشدة، وعلى يديه انتهت دولة اللثام -ذات التوجه السلفي- وحل ومحلها دولة الموحدين التي جلبت عقيدة الأشاعرة ونصرتها، هلك بعد معركة البحيرة سنة 524هـ. الذهبي، مصدر سابق، ص3504؛ مبارك الميلي، مرجع سابق، ج3، ص876.

حفص[1] للإغارة على قبائل برغواطة[2] بإقليم تامسنا الفسيح، ثم لحق بعبد المؤمن لحصار مراكش، كان إقليم تامسنا قد وقع تحت سيطرة ثائر؛ اسمه محمد بن هود الماسي، وقد تلقب بالهادي، وكان متحالفا مع الموحدين من قبل، وساهم في حصار مراكش الكبير[3]، الذي استمر أزيد من تسعة أشهر، وانتهى بسقوط دولة لمتونة سنة 541هـ، وقد تكاثر أتباع الماسي، وأقبل إليه الشراد من كل جانب، وانصرفت إليه وجوه الأغمار من أهل الآفاق، وأخذ بدعوته أهل سجلماسة، ودرعة، وقبائل دَكّالة، وركراكة، وقبائل تامسنا، وهوارة، فتشكل له جيش قوي، استطاع السيطرة به على كل بلاد المصامدة[4].

قام عبد المؤمن بن علي (524-558هـ)؛ في خضم هذه الأحداث، بتسيير حملة عسكرية بقيادة يحيى أنكمار اللمتوني، الذي انهزم، فقام عبد المؤمن بتجهيز أبي حفص لقتال الثائر الماسي، وسار مع عبد المؤمن مشيعا، حتى وصل لتانسيفت، ثم ودعهم ودعا لهم وانصرفوا، التقى الجيشان في حرب عنيفة؛ قتل فيها الماسي، وتفرق عنه أصحابه، وانهزم عسكره، ورجع جيش الموحدين لمراكش، وكان ذلك في ذي الحجة سنة 541هـ، وكتب أبو حفص لعبد المؤمن بن علي (524-558هـ)[5] بالفتح، وبعد انتهاء حملة أبي حفص، ومقتل الماسي، انشغل عبد المؤمن بن علي (524-558هـ) بوفود إشبيلية، فبايعهم وسيرهم، ولما كانت سنة 543هـ، سار عبد المؤمن لسجلماسة فدخلها وأمن أهلها، ومنها رجع لمراكش وتجهز لقتال قبائل برغواطة التي بادرته بالثورة، فأرسل إليهم أبا حفص، فأثخن فيهم ورجع، وبعد قتاله لهسكورة، رجع إليهم ثانية، فكانت عليه الهزيمة وكسروه[6].

---

(1) أبو حفص عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن علي، يعرف بيتهم بابن هنتاتة، ويقال لهنتاتة هنتي؛ لذلك عرف بعمر هنتي، من أكابر أصحاب المهدي بن تومرت ومن العشرة أهل الشورى. ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص303.

(2) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص310.

(3) ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص190.

(4) ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص310.

(5) نفسه، ج6، ص310.

(6) ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص190.

لما بلغ عبد المؤمن هزيمة أبي حفص، خرج إليهم بنفسه، فقامت قبائل برغواطة بمكاتبة الأمير يحيى بن أبي بكر اللمتوني بسبتة يستنصرونه، وكان القاضي عياض قد طلب من يحيى بن علي بن غانية واليا على سبتة، فأرسل معه يحيى بن أبي بكر هذا، ولما حضر بايعوه، واجتمعوا عليه، وقاتلوا عبد المؤمن فهزموه، ولما كر عليهم هزمهم وحكم في رقابهم السيف واستأصل شأفتهم[1].

تأسست إمارة برغواطة في الركن البعيد من أقصى الساحل الغربي للبحر المحيط، في إقليم من أغنى الأقاليم، وكان انفصالهم عن الخلافة الأموية كردة فعل، على عاملَين أساسيَين؛ أولهما: سياسة الأمويين، التي لم تحقق العدالة المنشودة عند البربر، خاصة بعد تشبعهم بأفكار الخروج والثورة، التي تسربت إليهم من دعاة الخوارج، الذي انزاحوا من المشرق تحت ضغط جيش الخلافة، وثاني هذه العوامل هو: فشل الثورة الصفرية التي كانت تحمل بذور البوار والانسداد، فالخوارج كما بالمشرق، لا يتوانون في تكفير وضرب رقاب بعضهم البعض، وضرب رقاب بعضهم البعض، حصل الأمر نفسه ببلاد المغرب، سواء مع الإباضية، أو مع الصفرية، وما من حركة ذات توجه خارجي، إلا كان فيها هذا التناقض والاقتتال، وبسبب مقتل ميسرة المدغري على يد أتباعه؛ خرج طريف بن شمعون، وانصرف من ثورة الصفرية، واعتزل تلك الأحداث، وفكر مليا في بناء صرح له ولنسله، تداول على حكم إمارة برغواطة ثمانية أمراء –في حدود علمنا–، تخللت فترة حكمهم حروب ضارية، قادها ضدهم جيرانهم؛ من الإمارات الخارجية، والسنية، والعلوية، والرافضية؛ بغية إزالة باطلهم، والسيطرة على وطنهم، وبالتالي فسح المجال للتبادل التجاري، وتأمين طريق الذهب، والتي تمر عبر إقليم تامسنا الكبير.

كان من نتائج هذه الحروب المعلنة على الإمارة الصغيرة، أن سقطت واحتجبت مرات عديدة، مما جعل تاريخ هذه الدويلة يضطرب، ويضيع لفترات طويلة، لم يعلم خلالها من كان حاكما لها، فكانت فجوة تاريخية تخللت مسيرتها التي امتدت لفترة تجاوزت الثلاثة

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص311.

قرون، ثم بعثت من جديد حتى كان آخر العهد بها، زمن دولة المرابطين، وآخر حكامها أبو حفص عبد الله سنة 451هـ، وتلك الحروب كان بعضها بالوكالة، وبعضها كان منافسة بين الكيانات المتناحرة؛ قصد السيطرة على أراضيهم الخصبة، باعتبارها زهرة بلاد المغرب الأقصى، وما ذلك إلا لتنوعها، وغناها بالمياه، وخصوبة تربتها، ورغم سقوط الدولة بشكل رسمي، وذلك بعد مقتل آخر أمرائهم، إلا أن جذوة الحروب والثورات أَبت إلا الاشتعال في صدورهم، وخاصة بعد تواصلهم مع يحيى بن أبي بكر اللمتوني، فقامت قائمتهم، وضربوا مع ابن غانية بسهم الثورة؛ فاستطاعوا بذلك دحر الموحدين مرتين.

بتزعم عبد المؤمن بن علي الكومي(524-558هـ) لحملته الكبرى على وطن برغواطة؛ استطاع بعد عناء وعنت، من سحق التمرد الذي قادته قبائل برغواطة، وتم طرد ابن غانية، وبذلك فُتح له الطريق لحصار سبتة، ومن ثَمّ العبور للأندلس، وكذلك تسيير الجيوش لإفريقية؛ من أجل طرد النورمان الصليبيين، وتوحيد بلاد المغرب الإسلامي تحت رايتهم.

# الخاتمة

## الخاتمة

اتضح بعد دراستا للمسألة البرغواطية أن سبب ظهور الإمارات الخارجية عامة، وبرغواطة بصفة خاصة، راجع بالأساس لاختلال السياسة الأموية في تعيين عمال النواحي، إذ أن مكمن الضرر في تعيين من لا كفاءة له في تسيير شؤون الأقاليم، والوقوف على كل كبيرة وصغيرة تخص الرعية، ومراعاة أحوالهم، وإصلاح الثغور والمحارس، ونشر العيون وسط العامة لجس النبض، والاطلاع على توجههم الفكري؛ من أجل استشراف ما يقع من فتن وقلاقل، ونظرا لبعد رساتيقهم عن أعين رقابة رجال الخلافة، عاث العمال فسادا في تلك النواحي، وعسفوا الرعية وغصبوا حقوقهم، وميزوا بينهم وبين العرب، وجعلوهم في مرتبة أدنى منهم، وكان هذا مما ألّب عليهم الأهالي؛ فصمموا على الثورة عليهم، خاصة وأن أسبابها تهيئت بدخول ثوار العراق، وبثهم لأفكار الخوارج وسط العامة، مما عجل باضطرام نار الثورة في كافة أنحاء المغربين الأقصى والأوسط.

انطلقت تلك الثورات بمقتل عمر بن عبد الله المرادي، ولم تلبث إلا فترة وجيزة حتى اكتوى بنارها أقطار المغرب الثلاثة، وكانت من أكبر الأسباب التي أدت لتوقف عملية الفتوحات بالغرب الإسلامي كله، ورغم اشتغال الخليفة هشام بن عبد الملك بوأدها والقضاء عليها، إلا أن آثارها بقيت ماثلة حتى بعد زوالها، وكانت أكبر انشغالات الخلافتين الأموية والعباسية، بل سببا رئيسا لخروج بلاد المغرب من دائرة الخلافة الإسلامية.

أدى فشل تلك الثورات –بانكسار الخوارج الصفرية بالقرن والأصنام– إلى وأد المشروع الصفري، وبالتالي تبخَّر حلم الثوار في الاستقلال بحكم محلي شامل؛ فتشتت جمعهم، وانكمشت قوتهم، وانزوى كل فريق منهم إلى ناحيته، وأعلنوا عن تأسيس إمارات مستقلة بحكم محلي لا يخضع للسلطة مركزية، وكان للبرغواطيين قصب السبق في ذلك، حيث انحاش إليهم طريف بن شمعون فبايعوه أميرا عليهم، ولم يُحفظ عنه أنه بدل نهجه الثوري الصفري.

بعد مقدم ابنه صالح من المشرق مدججا بأفكار الفلاسفة، ونيرنجات الكهان والسحرة، صمم على إحداث انقلاب فكري ومذهبي وسياسي في المجتمع البرغواطي؛ كردة فعل على فشلهم في ثوراتهم السابقة، وكان ذلك بصفة سرية، نظرا لخطورة ما أقدم عليه من تغيير

جذري في عقيدة التوحيد، التي غرسها الفاتحون فيهم، حيث وضع لهم نحلة توليفية، تقوم على محاكاة الشريعة الإسلامية في باب العبادات مع تشويهها، وإضفاء مسحة بربرية بتوابل وثنية يهودية ونصرانية، وهذا من أجل إحداث الفارق بينها وبين الشريعة الإسلامية.

لقد قام صالح هذا بكل شيء تقريبا؛ لإبقاء المجتمع البرغواطي تحت سيطرة نحلته التي استحدثها، فهدم معتقد ختم النبوة، وأحل محله عقيدة تجدد النبوة، وأورثها عقبَه، فصار كل من يحكم إمارة برغواطة نبيا بزعمهم، يشرع لهم العبادات، ويضع لهم القوانين، ويبين لهم حدود الدين البرغواطي، كما ألزم كل من جاء بعده بالسرية، ولا يجهروا بنحلتهم إلا بشرطين أساسيين: القوة، والأمن، ثم أعلن سفره للمشرق واعدا إياهم بالرجعة، وهذا من أساسيات دين الروافض، ومن متعلقات سفريته الأولى للعراق.

لقد ساعده على المضي قدما عوامل كثيرة، دفعته للعمل على وضع تلك النحلة التي كانت الأساس لقيام إمارتهم، والتي مكثت لأزيد من ثلاثة قرون متتالية، لم تَقدر كل القوى المناوئة لها أن تقضي على وجودهم هناك، ومن بين أهم تلك الأسباب والعوامل نجد:

**1) العامل الجغرافي**

حيث أن موقع إقليم تامسنا موطن البرغواطيين يقع في أقصى الغرب، على ساحل المحيط الأطلسي، بعيدا عن تأثير الدوائر السياسية للخلافة الأموية، ومن ينوب عنها من الكيانات السياسية الموالية، وكلُّ الإمارات والدول التي جاءت بعدهم استصعبت غزوهم؛ لوقوع بلادهم بين حاجزين طبيعيين، وكذا بُعد وطن برغواطة عنهم سوى المرابطين والأدارسة، ولقد كان للبعد الجغرافي الأثر البليغ في صمودهم طوال تلك الفترة الطويلة، حيث امتاز بثرائه الكبير، وتنوع موارده الطبيعية؛ كوفرة المياه، وانتشار الغطاء النباتي والغابي، الذي أمن لهم الكلأ والعشب لدوابهم ومواشيهم، والحطب للطهي والتدفئة، وامتداد الأنهار الجارية والوديان الكثيرة، ضمن لهم مصادر المياه العذبة للشرب والزراعة، ناهيك عن وجود عدد لا بأس به من السهول الصالحة للزراعة، على اختلاف أنواعها، ووفرة المرافئ البحرية على طول ساحل البحر المحيط، سهلت عليهم الملاحة البحرية، وهذا ما جعلهم في غنى تام عن غيرهم من القبائل.

**2) العامل الاقتصادي**

من بين أهم عوامل صمود البرغواطيين؛ وجود مجموعة من المقومات الاقتصادية، التي دعمت آل صالح بن طريف في المضي قدما لتثبيت نحلتهم التوليفية، وقد كان للعامل الاقتصادي ارتباط وثيق بجغرافية المنطقة، فنجد أن وجود وطن برغواطة بين الجبال الغابية؛ جعل منه خزانا للثروة الغابية والحيوانية، التي نشطت عملية الصيد البري والاحتطاب، وهذا في حد ذاته عامل صمود قوي، كما أن امتداد الأنهار على سعة وطنهم، ووجود السهول الفسيحة؛ عجل بازدهار النشاط الفلاحي والنتاج الحيواني، كما أدت وفرة الموانئ إلى شيوع عملية التبادل التجاري مع القبائل الأخرى، ومع دول العدوة الأندلسية، خاصة تصدير الحبوب والمواشي وحتى الأسماك، وذلك لانتعاش نشاط الصيد البحري، ووفرة الثروة السمكية وتنوعها، سواء بالسواحل أو بالأنهار الجارية.

لقد أدى الازدهار الاقتصادي في شتى مناحي الحياة، على الصعيدين الفلاحي والتجاري، إلى نمو حركة عمرانية نشطة، فكثُرت المدن والحواضر بإقليم تامسنا، حتى عد منها أكثر من ثلاثمائة وستين مدينة، وانتشرت بها المباني الفارهة التي تدل على ثراء القوم وغناهم، واتخذوا حولها الأسواق العامرة في كل مدنهم، وبنوا الحصون والقلاع ودور العبادة.

**3) العامل الفكري**

يعتبر العامل الفكري أهم هذه الأسباب التي ساعدت على ظهور مذهب البرغواطيين، كمرحلة متقدمة في شكله الصفري، ومساهمة معتنقيه في نشر فكر الخوارج، أسوة بإخوانهم من البطون البرنسية؛ مثل مطغرة وأوربة، أو البطون البترية الكثيرة، التي كانت لها إسهامات في بناء الحركة الصفرية، وقد كان لطريف بن شمعون دور بارز في نشر معتقد الصفرية بين أفراد قومه، إذ أنه يعتبر من بين الشخصيات الذين رحلوا إلى القيروان صحبة رفيق دربه ميسرة السقاء؛ للقاء عكرمة مولى ابن عباس مطلع القرن الهجري الأول، فكان من نتائج هذا الاحتكاك؛ أن انتقل هذا الفكر لحركة ثورية نابذت الحكام بحد السيف، دفاعا عن ما تعتقده صوابا وحقا شرعيا، فقامت الثورات تترى في بلاد المغرب، وأدى هذا في الأخير إلى ضعف حكم الأموية، وخروج المغربين الأقصى والأوسط من ربقة الخلافة الإسلامية.

في مرحلة لاحقة حصلت طفرة في الفكر البرغواطي، خاصة بعد مقدم صالح بن طريف من رحلته الطويلة للمشرق، حيث قام بتغيير المعتقد الصفري للبرغواطيين، وأحل مكانه نحلة البرغواطية في شكلها المنغلق، الذي لا يقبل النقاش أو البرهان على الأصول العقدية لنحلتهم، سواء من خلال الأدلة الشرعية، أو باستعمال الحجج المنطقية، وقد رام من وراء ذلك إلى تحقيق الاستقلال، والتميز عن الدين الإسلامي، والثقافة العربية، وبالتالي إخراج جيل لا يمت بأية صلة للبيئة العربية المسلمة، فكان هذا الانغلاق من بين أسباب صمود الإمارة لأزيد من ثلاثة عقود كاملة.

**4) العامل السياسي**

المقصود بالعامل السياسي: هو الطريقة التي أدار بها صالح بن طريف سدة الحكم لأزيد من أربعة عقود كاملة، والتوصيات التي تركها لأبنائه حتى بعد غيبته المشبوهة، والتي شابه فيها مسردب الشيعة الجعفرية، فهذه السياسة في حد ذاتها كانت مناعة لقومه ساعدتهم للحفاظ على ملكهم وديانتهم؛ لأن صالح كان لا يُظهر حقيقة ما يعتقده إلا لمن يثق فيه، متوجسا من وجود شانئين له ولعشيرته، خاصة وقد عاشر أحداث الثورة الكبرى بمعية والده، وكان نشر هذه النحلة بطريقة تدريجية سلسة، مستغلا جهل البرغواطيين بأصول دينهم الإسلامي؛ ليسهل عليه تمرير تمويهاته التي جلبها من المشرق في هجرته الأولى، غداة انكسار جيوش البربر قرب القيروان سنة 122هـ.

ولم تقتصر تأثيرات سياسة صالح بن طريف على سنوات حكمه، التي امتازت بالهدوء والدعة، وابتعاده عن إثارة أي نوع من أنواع التوتر مع جيرانه، أو مع القوى المناوئة له، باعتباره كان بصدد بناء ملكه، الذي قام على نبذ كل ما يمت للعرب والإسلام بصلة، بل تعدت –كما قلنا– لتلك التوجيهات التي تركها لوصيه من بعده، والتي نعتبرها في الحقيقة امتدادا لحكمه حتى بعد موته، حيث اشترط للصدع بديانتهم شرطين أساسيين:

**أولهما:** القوة والأمان، فإذا قوي وأمن فحينئذ يجهر بدينهم، ويقتل من يخالفهم، وهنا نلمس حنكة القائد وتجربته في الحكم والقيادة، إذ أن التسرع بإعلان اعتناق دين محدث

يعتبر –في نظره– تهور غير محمود العواقب، قد تكون له نتائج جد وخيمة على مصير الإمارة.

**الثاني:** عدم قطع صلة الود مع الدولة الأموية بالأندلس، ويعتبر هذا بمثابة ترك الباب أو المتنفس لإمارة برغواطة، حتى إذا دهمهم أمر، أو حوصروا من عدو، وجدوا الدعم والمساندة مقابل ولائهم المطلق للأمويين، فالسياسة ليس فيها صديق دائم ولا عدو دائم، بل مرجع ذلك في عرف السياسيين إلى المصالح المشتركة، لذلك حثهم صالح للمحافظة على علاقات طيبة مع بني أمية في الأندلس، رغم عدائهم لأمويي دمشق من قبل، بينما غرس في أوصيائه أملا بالعودة في حكم سابعهم، جعلهم يطبقون تعليماته بحذافيرها للوصول إلى ما رسمه لهم جدهم صالح.

بعد خروج دعوته للعلن صارت برغواطة قوة محلية لا يستهان بها، إلا أنها لم تكن تلك الإمارة القوية المهابة الجانب، وقد رأينا كيف استطاع الأدارسة السيطرة عليهم في ظرف وجيز، وأغلب الكيانات التي قاتلتهم إلا وسيطرت على أجزاء كبيرة من بلادهم، إلا أنهم تميزوا بالتعاضد والتضامن فيما بينهم، وشجاعة مقاتليهم دفعتهم لرد عادية كل الغزاة الذين تربصوا ببلادهم.

لم يمر الوجود البرغواطي الذي استمر لأزيد من قرنين ونصف القرن مرور الكرام، إذ أنهم تركوا تأثيرا كبيرا على الصعيد الديني والاجتماعي والسلوكي، وبقيت بعض متعلقاته لليوم، فقد أحدث بنو طريف ملة يضاهون بها الدين الإسلامي من حيث الأصولُ والفروع، من تعظيم ملوكهم، وعقد الولاء عليهم، وادعاء النبوة والعصمة لهم، وانتحال قرآن غير الذي جاء به نبي الله محمد ﷺ مكابرة ومضاهاة للعرب، فهم كانوا يرون أنهم لا يقلون شأنا عن الحكام العرب في كل حياتهم، فقاموا بتقليدهم في كل شيء؛ حتى وصل بهم الأمر لاستنساخ أحكام الشريعة الإسلامية، ووضعوا لها نصوصا ادعوا أنها وحي من الله أنزل على صالح وبنيه، معتبرين إياهم أنبياء ملتهم ورسل نحلتهم، فشرعوا لهم أحكاما فقهية، واتخذوا العبادات المختلفة، وزوروا حقيقتها وسلبوا روحها، وجعلوها تشف من ورائها صورة لما شرعه رب العالمين من تكاليف شرعية، ورتبوا حدودا تشبه أحكام الإسلام لكن مشوهة،

وكل ذلك ليظهر مجتمعهم متكاملا ومستقلا عن مجتمع العرب ودينهم ومثاقفتهم، واستقلالا عن حكم بني أمية بالمشرق.

أنتحل البرغواطيون الكثير من ديانات العصر القديم في باب الاعتقاد، والتعبد، والسلوك، وظهرت عليهم المسحة الخارجية بمجرد إحساسهم بالقوة، فقاموا بمجازر مروعة بحق العزل، وليس ذلك إلا لأنهم رفضوا الانصياع والدخول في ملتهم المصطنعة، وكان ذلك مؤشرا على قرب نهايتهم، إذ أنهم ألبوا على أنفسهم القوى الإسلامية المحيطة بهم، وكفرهم القضاة والعامة والفقهاء، وأغروا قادة الجيوش وأمراء النواحي بهم؛ فتدافعوا لغزوهم، فلم يفتر عليهم القتال، مما عجل بتضعضع قوتهم، وفقدان سابع أمرائهم، فاختفت أخبارهم، ودخلوا مرحلة من الغموض والسرية، انتهت بسحقهم وتخليص المغرب من باطلهم.

بعد نهاية الإمارة قام المرابطون بحرق الإقليم عن بكرة أبيه، وغربوا الكثير من قاطنته، مما أضاع فرصة الاطلاع على حياتهم بشكل مفصل، وترك هذا الحادث نقاط ظل كثيرة، جعلت من الباحث في الشأن البرغواطي يدور في حيز ضيق ومغلق، وذلك بسبب شح المادة المصدرية، وغياب مصادر مادية ملموسة تخص معتقد وتاريخ برغواطة، كنسخ من مخطوطاتهم، أو نقوش على جدرانهم، أو لقى أثرية تخص فترة حكمهم.

وبالرغم من أن جل المصادر أجمعت على انحراف آل طريف البرغواطي عن تعاليم الدين الإسلامي السمحة، إلا أن بعض الباحثين حرَّكتهم دواعي غير موضوعية، فاستغلوا نقص المادة العلمية وأنشؤوا افتراضات واهية، وحمَّلوا نصوص الروايات التاريخية ما لم تحتمل؛ فقط لنصرة فكرة أن الناس قديما وحديثا تحاملوا على برغواطة، ولم نعرف سبب هذا التحامل المزعوم، والمحفوظ في بطون أمهات الكتب أن البرغواطية والإسلام لا يلتقيان، بل كل واحد منهما يبطل الآخر ويلغيه، فلا يمكن بأية حال أن تكون مسلما، وتتعبد على ملة البرغواطيين، وإلا ستقع في المحظور الشرعي لا محالة.

لقد ترك البرغواطيون تأثيرات سلبية في المجتمع المغربي قديما وحديثا، فعلى الشق السياسي والعسكري قاموا بالمساهمة في تأخير المد المرابطي، ووقفوا حجر عثرة في وجه جوازه للعدوة الأندلسية لجهاد النصارى في الوقت المناسب، وكان ذلك إيذانا بضياع مدينة

طليطلة سنة 478هـ، فاهتز العالم الإسلامي لضياعها من أقصاه لأدناه؛ نظرا لرمزية المدينة عند المسلمين، باعتبارها كانت عاصمة للقوط الغربيين، وهي الثغر الأوسط للمسلمين.

بقيت القوات المرابطية تحارب البرغواطيين أكثر من سنة، لم يقدر خلالها العاهل المرابطي أن يتابع فلول الثوار الداخلين لتلمسان من مغراوة، إلا بعد مرور أزيد من عشرة سنين من القضاء على إمارة برغواطة.

لاتزال بعض الآثار الاجتماعية للنحلة البرغواطية ماثلة إلى اليوم، خاصة على الجانب العقائدي والسلوكي، إذ أنهم يحرمون أكل البيض، وكذا رأس كل حيوان، وانتشار الكهانة والعرافة هناك، وتعلم السحر، وبسبب تشغيب البرغواطيين على المرابطين ثم الموحدين، قامت هاتان القوتان بتهجير الكثير من الأهالي للمشرق، ونفت البعض الآخر؛ مما انجر عنه نزوح الكثير من العرب الهلالية، وبعض قبائل البربر لأقليم تامسنا، واستقروا فيه، وجعلوه مرتعا لمواشيهم، وهذا أمر يضر بالموروث الثقافي للمجتمع البرغواطي، وخاصة الآثار التي تغني الباحث عن السؤال.

**الملحق رقم 01: حدود وموقع تامسنا وطن برغواطة[1]**

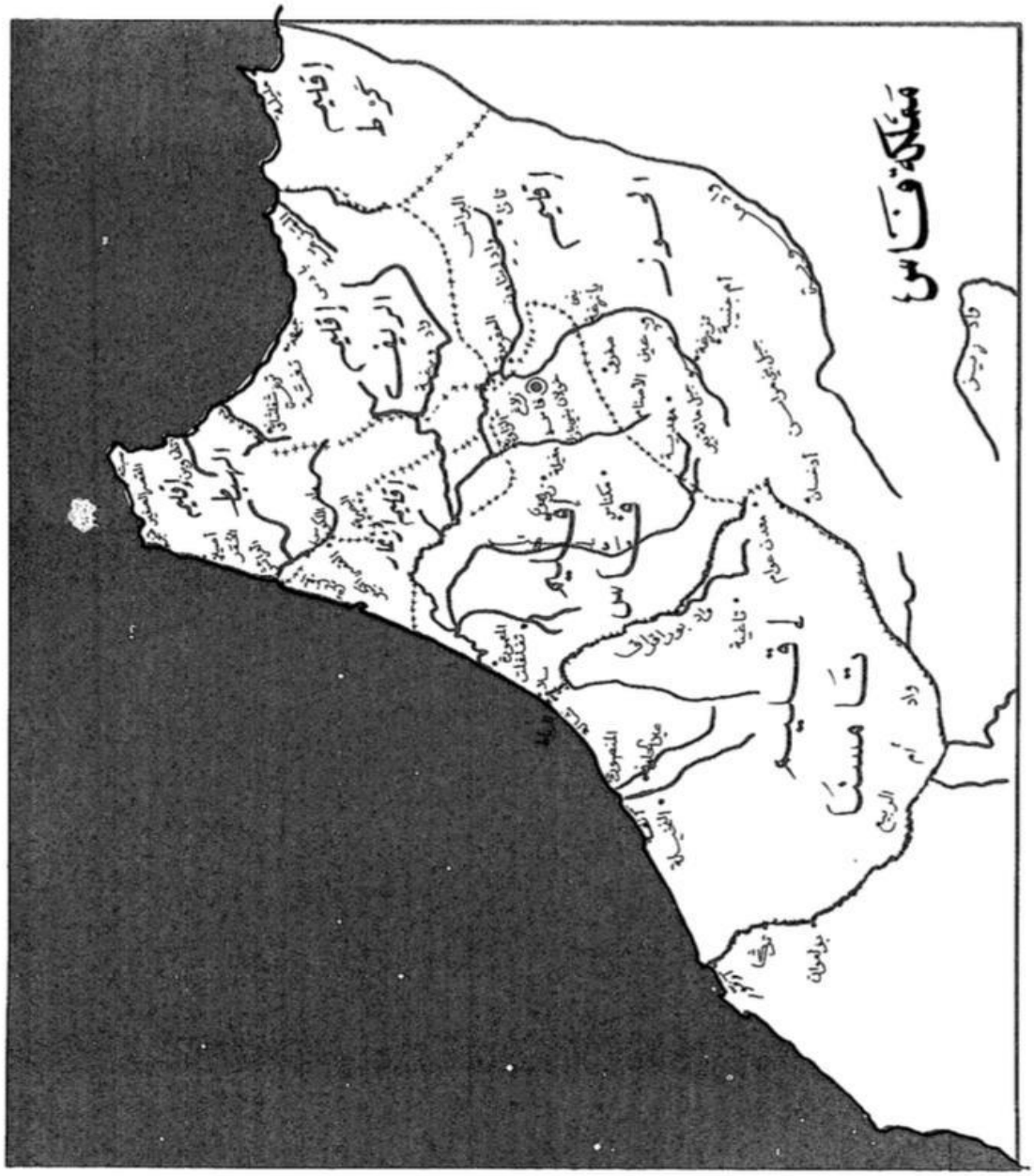


[1] الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص192.

**الملحق رقم 02: شواهد جنائزية من بلاد تامسنا يعتقد أنها من الفترة البرغواطية[1]**

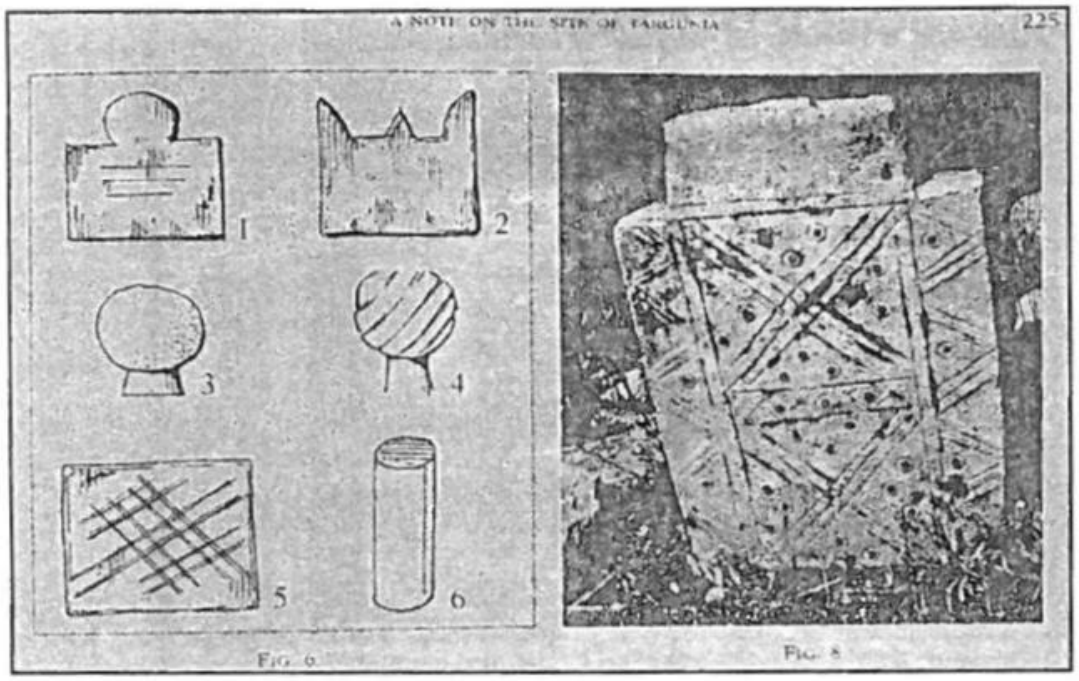


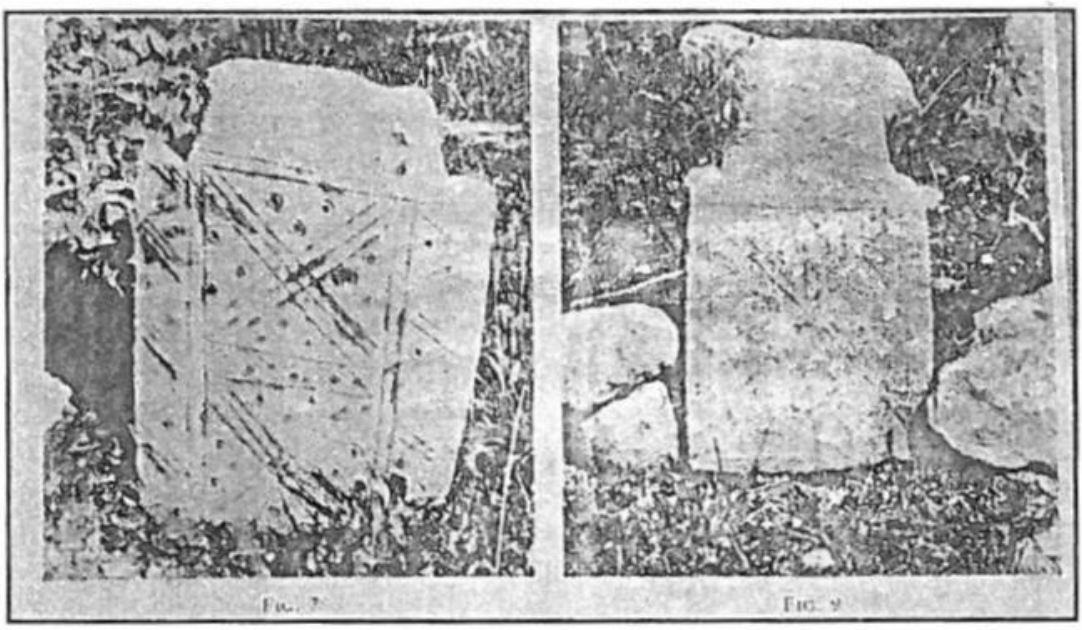

[1] خديجة الخديري – أحمد سراج، مصدر سابق، ص122.

**الملحق رقم 03: شواهد جنائزية من بلاد تامسنا يعتقد أنها من الفترة البرغواطية[1]**

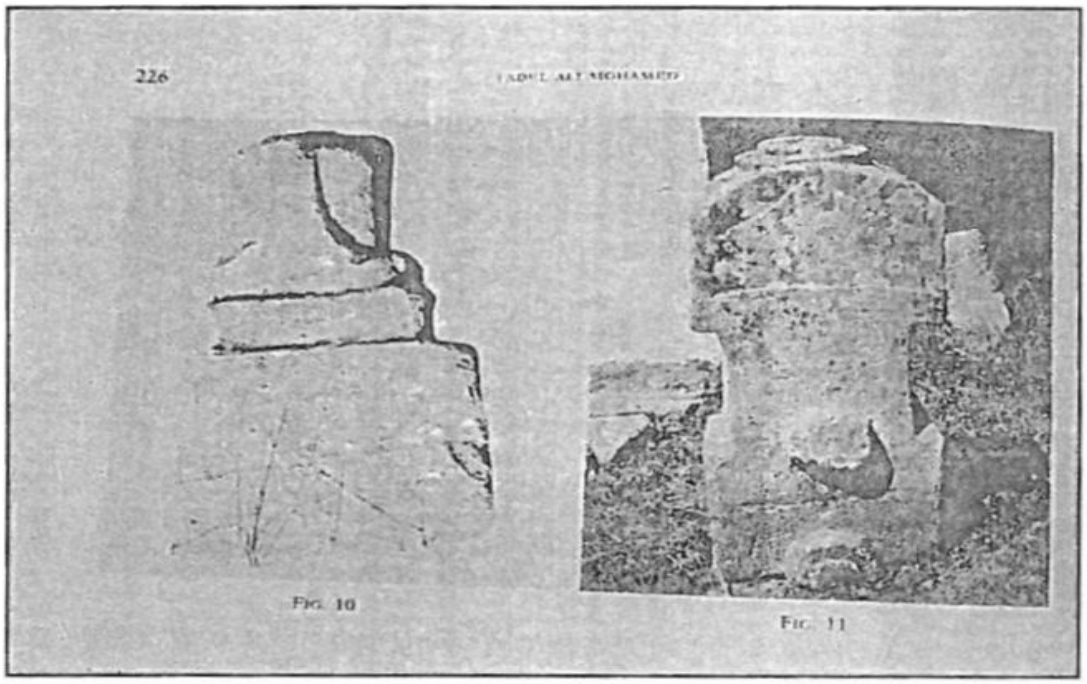


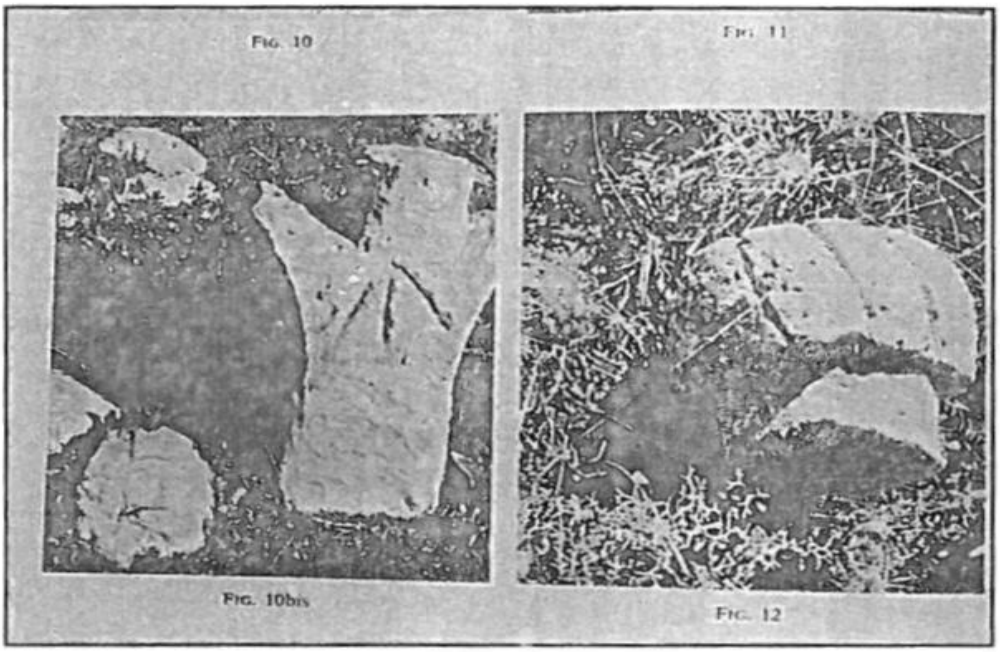


[1] خديجة الخديري – أحمد سراج، مصدر سابق، ص122.

**الملحق رقم 04: شجرة حكام برغواطة من قيام الإمارة سنة 122هـ لغاية سقوطها سنة 452هـ**

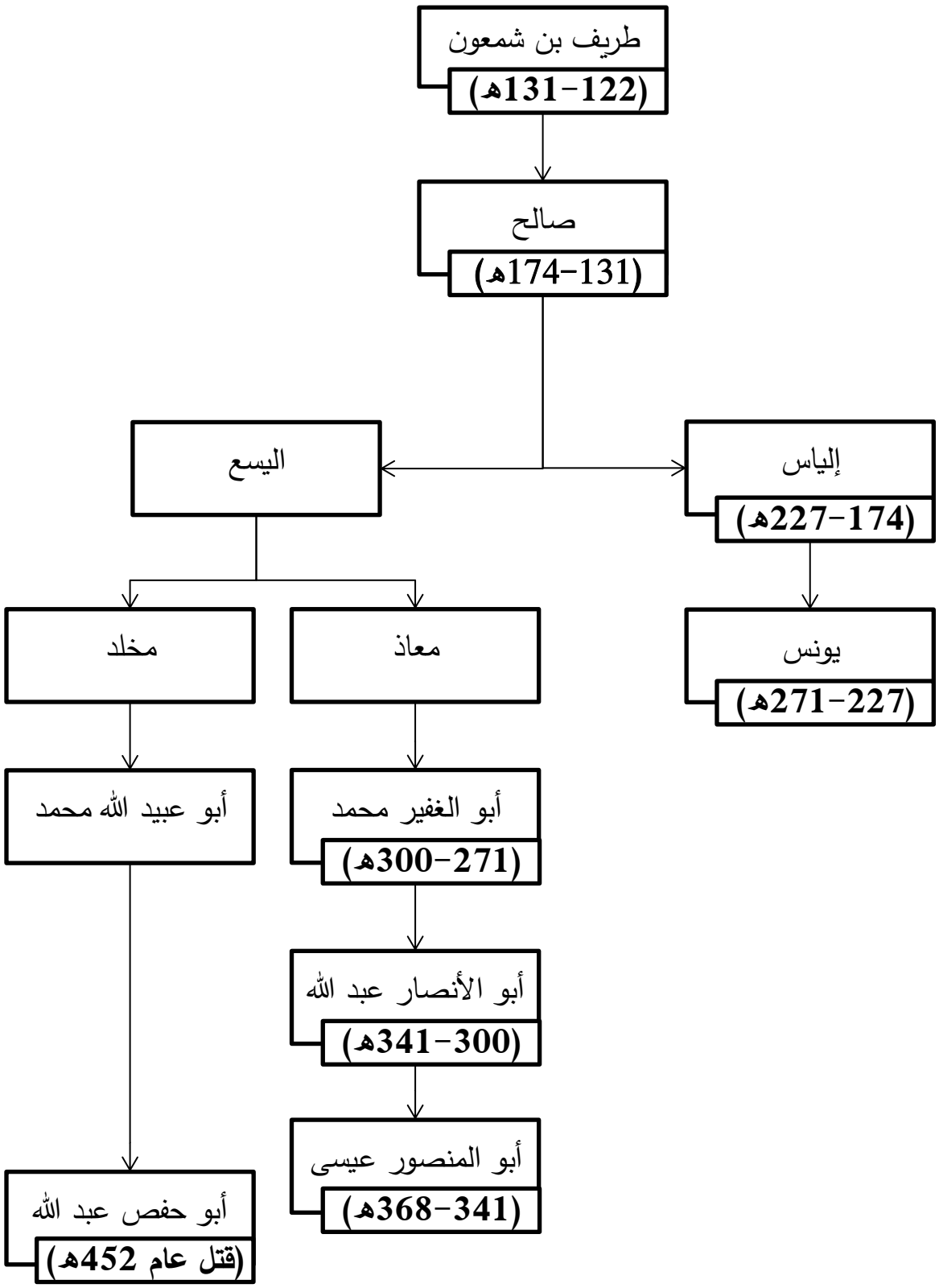

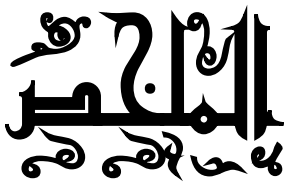

**الملخص:**

يدور محور بحثنا حول قيام إمارة برغواطة بتامسنا ونحلتهم الموضوعة، والتي كان ظهورها مبكرا مطلع القرن الهجري الثاني، حيث ابتدأ أمرها كفرقة من فرق الخوارج الصفرية، ثم ما فتئت أن انسلخت من مباديء الصفرية التي أخذها مؤسس دولتهم طريف بن شمعون من عكرمة مولى ابن عباس، الذي بث فيهم روح الثورة ومباديء الخروج والشراية.

بوفاة طريف وتولي ابنه صالح أخذ في العمل على إحداث تغيير عميق في المجتمع البرغواطي خاصة على المستوى الديني، وبث ذلك في خاصته وأولاده، واشترط عليهم ألا ينشروه في العامة إلا بشرط توفر الأمن وأن تكون لهم شوكة ومنعة.

سار أخلافه على تلك الوصية حتى إذا تمكنوا أشاعوا في الرعية ما كان يجيش في صدورهم، وألزموهم قرآنا غير الذي عرفوه، وعبادات لم يعهدوها، كما ادعوا أن صالحا ومن جاء بعده أنبياء، وأقاموا المذابح في كل من رفض تعاليمهم الجديدة.

أدى نشاطهم العنيف لاستعداء القبائل والدول المجاورة والقوى المناوئة لهم، فشنوا عليهم الغارات تترى، وكانت الحرب بينهم سجال؛ نظرا لطبيعة أفراد المجتمع البرغواطي الذي اتصف بالصلابة والصبر على الحروب؛ ونظرا لطبيعة تضاريس وطنهم الصعبة، وكانت نهاية هذه المواجهات أن سقطت دولتهم على يد دولة المرابطين السنية منتصف القرن الهجري الخامس.

لقد كان لانتشار معتقد البرغواطية تأثيرا في المجتمع المغربي على جوانب عدة، خاصة الجانب الديني، حيث قاموا بنشر الهرطقة والردة وتحريف الدين ووضع تشريع ينافي ما جاء به الإسلام، كما أنهم وقفوا كحجر عثرة في وجه الحركة الإصلاحية التي تزعمها المرابطون، وأخروا جوازهم للعدوة الأندلسية، فضاع بسبب ذلك الكثير من الحواضر والحصون المهمة.

**الكلمات المفتاحية:** برغواطة، نحلة، طريف، تامسنا، المرابطون، تشريع، ردة.

**Summary:**

Our research focuses on the establishment of the Barghawata Emirate in Tamesna and their unique religious sect, which emerged early in the second Islamic century. Initially, it began as a faction of the Sufrite Kharijites, yet soon diverged from the Sufrite principles instilled by their founder, Tarif ibn Sham'un, a disciple of Ikrimah, the freedman of Ibn Abbas. Ikrimah had inspired in them the spirit of rebellion, departure, and allegiance to their own tenets.

Upon the death of Tarif, his son Salih assumed leadership, aiming to bring about profound changes within the Barghawata society, particularly on the religious level. He instilled these changes within his inner circle and children, instructing them to withhold these teachings from the general populace until safety and sufficient power were assured.

Successive heirs adhered to this directive, and once their authority was solidified, they disclosed their concealed beliefs to the subjects, imposing upon them new scriptures, rituals, and forms of worship unfamiliar to them. Salih and his successors claimed prophethood and enforced these beliefs with severity, even resorting to executions for those who rejected the new doctrines.

Their militant activities led to increasing hostility from neighboring tribes, states, and opposing powers. This resulted in repeated assaults and wars, given the resilience and war-hardiness of the Barghawata community, coupled with the difficult terrain of their homeland. Ultimately, these conflicts concluded with the fall of their state at the hands of the Sunni Almoravid state in the mid-fifth Islamic century.

The spread of Barghawata beliefs left a lasting impact on Moroccan society, particularly in the religious sphere, as they propagated heretical and apostate ideologies, distorting Islam and establishing laws that contradicted Islamic teachings. They also served as an obstacle to the reform movement led by the Almoravids, delaying their movement to Al-Andalus and contributing to the loss of many significant cities and fortresses.

**Keywords:** Barghawata, sect, Tarif, Tamesna, Almoravids, legislation, apostasy.

# الفهارس

وفيه:

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن

## فهرس الآيات

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]... 174
﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: 212] ..... 62
﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: 42] ..... 66
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]..... 170
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: 87] ..... 200
﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 21] ..... 165
﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت: 44] .....192
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6] .....143
﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: 48].....62
﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: 229].....198
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: 68].....173
﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: 187] .....198
﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: 49] .....172
﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 98].....185
﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 87].....185
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4] .....174
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185] .....194
﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: 217].....165

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٞ﴾ [التحريم: 4] ..... 174

﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ . فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾ [القيامة: 17-18] ..... 180

﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: 156] ..... 150

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ [النور: 2] ..... 199

﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ [المائدة: 6] ..... 188

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: 43] ..... 197

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ [الأنعام: 93] ..... 173

﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [البقرة: 144] ..... 193

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [المائدة: 38] ..... 198

﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ﴾ [الدخان: 21] ..... 62

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183] ..... 194

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: 103] ..... 192

## فهرس الأحاديث

إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب ..... 191

أريد من قريش كلمة تدين لهم بها العرب ..... 142

إن رسول الله ﷺ يعلّمنا التشهّد ..... 192

إن للصلاة وقتا كوقت الحج ..... 192

بني الإسلام على خمس ..... 194

رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة ..... 189

شهر رمضان إلا أَنْ تطوع شيئا ..... 194

الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ..... 189

فرضت الصلاة على النبي ﷺ ليلة أسري به ..... 189

كل مولود يولد على الفطرة ..... 150
لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا ..... 199
لا نبي بعدي ..... 174
لا يحل دم امرء مسلم إلا بإحدى ثلاث..... 198
ما من مولود إلا يولد على الفطرة..... 155
نهى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة..... 194
ويل للأعقاب من النار ..... 188

## فهرس الأعلام

إبراهيم العبيدي .....7, 84, 120, 147, 190
إبراهيم حركات.....8, 120, 122, 190
إبراهيم بن علي ..... 83
الأبرش.....42, 43
ابن أبي زرع الفاسي .. 5, 7, 11, 18, 65, 121, 149, 154, 157, 166, 177, 178, 180, 197, 212, 215, 219, 221, 234, 236
ابن الأثير .....209, 212
ابن الجوزي..... 67
ابن الحبحاب .....13, 36, 37, 38, 41, 43, 45, 76, 208
ابن الخطيب..... 17, 19, 83, 88, 120, 211, 217, 219
ابن النحوي ..... 118
ابن تومرت .....6
ابن تيمية..... 173
ابن حجر ..... 67
ابن حزم.... 19, 20, 21, 66, 68, 124, 126, 133, 134, 135, 165, 166, 175, 176, 212, 215, 243
ابن حوقل 7, 8, 11, 16, 18, 64, 79, 92, 93, 122, 134, 135, 139, 174, 175, 176, 181, 214, 224, 236, 243, 244
ابن خردذبه..... 79
ابن خلدون .. 5, 8, 18, 19, 21, 71, 72, 80, 81, 83, 86, 87, 88, 89, 90, 92, 105, 118, 119, 120, 125, 126, 133, 134, 135, 137, 148, 149, 154, 157, 161,

162, 166, 177, 178, 179, 212, 213, 214, 215, 217, 219, 227, 230, 231, 232, 236, 237
ابن دحية ..... 118
ابن سعيد ..... 91, 104, 105, 112
ابن صفار ..... 204
ابن عبد الحكم ..... 35
ابن عبد الحليم ..... 137
ابن عذارى ..... 18, 31, 82, 83, 122, 166, 217, 219
ابن فارس ..... 21, 142
ابن فروخ الصفار ..... 179
ابن قتيبة ..... 133
ابن كثير ..... 163, 173, 185, 199
ابن منصور ..... 118, 119, 125
ابن منظور ..... 21, 142, 143, 148, 150
أبو الحسن الأشعري ..... 20, 67
أبو الحسن المريني ..... 101
أبو الخطاب محمد بن مقلاص ..... 222
أبو الخطار الحسام بن ضرار ..... 34
أبو العباس المذحجي ..... 167, 194, 219, 221, 223, 226, 236
أبو العباس فضل بن مفضل المذحجي ..... 120, 146
أبو العباس فضل بن مفضل ..... 164
أبو العرب ..... 20, 57
أبو الغفير محمد بن معاذ ..... 229, 230, 231, 239
أبو الغفير يحمد بن معاذ ..... 163, 167, 176, 201, 228
أبو الغفير ..... 224
أبو المنصور عيسى بن أبي الأنصار ..... 3, 19, 166, 241, 242, 245
أبو المهاجر دينار ..... 59
أبو بكر الصديق ..... 175, 199
أبو بكر المالكي ..... 20, 57, 60
أبو بكر بن العربي ..... 192

أبو بكر بن عمر اللمتوني.....234, 235, 236, 246, 247
أبو حازم ..... 221
أبو حامد الغزالي..... 185
أبو حفص عبد الله.....3, 19, 234, 246, 247, 249
أبو حفص عمر بن يحيى ..... 235
أبو حفص عمر .....247, 248
أبو حنيفة.....185, 192
أبو زرعة طريف المعافري..... 213
أبو صالح طريف بن مالك ..... 213
أبو عامر محمد بن أبي عامر..... 242
أبو عبد الله الشيعي ..... 216
أبو عبيد البكري .... 5, 7, 8, 10, 11, 16, 17, 18, 65, 85, 86, 93, 97, 98, 99, 100, 115, 120, 121, 123, 125, 127, 128, 129, 132, 135, 137, 138, 146, 163, 164, 167, 174, 175, 176, 178, 179, 181, 183, 189, 190, 191, 194, 196, 197, 200, 201, 211, 212, 213, 214, 217, 218, 219, 220, 221, 223, 226, 227, 232, 235, 236, 244, 245
أبو فديك .....69, 70
أبو قرة اليفرني.....135, 136
أبو قرة وانسوس..... 240
أبو قرة ..... 51
أبو يزيد الخارجي .....126, 127, 129, 135
أبو يعقوب يوسف المنصور .....89, 96, 102
أبو يوسف سالم الهواري..... 44
أبو يوسف يعقوب المنصور ..... 86, 102
الآجري..... 67
أحمد سراج ..... 10, 137
إدريس الأصغر .....225, 238
إدريس الأكبر..... 216
إدريس بن عبد الله.....53, 65, 85, 154, 157, 158, 161, 225, 238, 239
الإدريسي.....17, 79, 89, 92, 93, 97, 113, 116, 121, 129

إسحاق بن عبد الحميد الأوربي ..... 216, 225
إسحاق بن محمد ..... 65
إسماعيل بن أبي المهاجر ..... 161
إسماعيل سامعي..... 8, 185
إسماعيل بن عبيد الله..... 27, 28, 32, 37, 43, 75, 160
الألباني ..... 221
ألفرد بيل ..... 184, 191, 192
إلياس بن صالح بن طريف . 3, 163, 166, 167, 176, 179, 204, 222, 223, 224, 225, 226, 228, 237, 240
إلياس بن صالح..... 158
أم المؤمنين عائشة..... 199
أمين الريحاني ..... 106
أنس بن مالك..... 189
أوغستين..... 145, 156
أيوب بن أبي يزيد ..... 133
باديس بن المنصور..... 131
البارون ديسلان..... 6, 171
باسي..... 182
البخاري ..... 194, 198
بختنصر ..... 152, 203
برغوت بن سعيد الترازي ..... 226
البرنسي ..... 154
برينو ..... 145
بزيع بن موسى الحائك..... 222
بشر بن صفوان ..... 32, 33, 34
بطليموس..... 100, 122
البغدادي ..... 67, 68
بكر بن سويد ..... 35
البلاذري..... 57
بلج بن بشر ..... 46, 47, 48, 212

البلخي ..... 64
بلكين بن زيري ..... 3, 19, 127, 233, 242, 245
بوباية ..... 19
بوزياني الدراجي ..... 121, 184
بوزياني ..... 126
بوليبيوس ..... 144
بيتيليانوس ..... 156
بيجات مياكين ..... 152
البيدق ..... 123
تريتيليان ..... 156
تميم اليفرني ..... 235, 236, 245
تميم بن زيري ..... 244, 245
تيتوس ..... 153
ثابت بن خيثم ..... 35
ثعلبة بن سلامة ..... 46
ثوبان ..... 221
جابر بن عبد الله ..... 194
جالوت ..... 133, 152
جانا بن يحيى ..... 123, 127, 133, 135
جراو بن الديدت ..... 123
جرجير ..... 123
جعفر بن علي بن حمدون ..... 129, 241
جهادي حسين ..... 184, 187, 192, 193, 195
جوتيه ..... 158
جورج مارسي ..... 134, 171, 172, 182
جولد تسيهر ..... 63, 64
جوهر الصقلي ..... 244
الحاجب المظفر عبد الملك بن المنصور ..... 241
الحاجب المنصور ..... 3, 18, 130, 241, 242
حانون القرطاجي ..... 147

حانون..... 81, 90
حبشو بن نون ..... 153
حبيب بن أبي عبدة ..... 37, 38, 44, 45, 46, 47, 48
الحجاج بن يوسف الثقفي ..... 209
الحجاج بن يوسف ..... 29, 66, 69
حسان الصبيحي..... 86
حسان بن النعمان..... 38, 59, 124, 136
حسان بن محمد بن أبي بكر ..... 33
الحسن بن علي..... 228
حسين مؤنس ..... 72
الحكم المستنصر بالله..... 130, 232, 240, 241
حماد بن بلكين ..... 127, 131
حمامة بن زيري ..... 244
حمود بن سعد الأكلبي ..... 9
الحميري..... 213
حنش بن عبد الله..... 61
حنظلة بن صفوان ..... 32, 49, 50, 51, 52
خالد بن أبي حبيب ..... 26, 45
خالد بن أبي عمران..... 60
خالد بن حبيب..... 43, 44, 45
خالد بن حميد الزنتاني ..... 2, 44
خديجة لخديري ..... 10, 137
خطاب محمود شيت ..... 20
الخميني..... 179
الدراجي ..... 125, 185
الدرجيني ..... 21
دوتي..... 144
دوفردان ..... 171
دونيس ..... 80
دي سلان ..... 171, 172, 182

الذهبي ..... 20
راشد مولى إدريس الأكبر ..... 238
رجاء بن حيوة ..... 27
رجب محمد عبد الحليم..... 6, 105, 107, 119, 175, 176, 183, 190, 195, 214, 224
روني باسيت ..... 134
روني باصيي ..... 146
رينهارت دوزي ..... 6, 171, 172
زمور 85, 121, 122, 123, 135, 137, 138, 176, 178, 200, 212, 213, 214, 215, 219, 220, 227, 231, 232, 236, 244
زهير بن قيس ..... 158
زيد بن سنان الزناتي ..... 226
زيد بن عمرو ..... 52
سابق المطماطي..... 132
سترابون الإغريقي..... 122
سحر عبد العزيز سالم .....6, 7, 83, 85, 158, 197
سطيح الكاهن .....167, 224
سعد زغلول عبد الحميد ..... 6, 18, 31, 175, 182, 183, 211, 214
سعيد بوليفا ..... 146
سعيد بن هشام المصمودي .....203, 229
سعيد بن هشام..... 97
سقوت البرغواطي ..... 19
سكوت البرغواطي..... 6, 7
السلاوي الناصري..... 121
السلاوي ..... 149
سلمة بن سعد .....71, 74, 75, 161
سليمان بن عبد الله.....48, 53, 134
سليمان بن عبد الملك ..... 26, 27, 28, 75
سمجان بن يحيى ضري..... 125
السمعاني..... 21
سمكو بن واسول..... 71, 162

الشاكر لله ..... 243
شانا بن يحيى ..... 133
شبيب بن يزيد ..... 70
الشهرستاني..... 20, 67, 68, 148
صالح بن طريف ,3, 4, 5, 9, 19, 22, 93, 158, 163, 165, 166, 167, 168, 171, 174
175, 176, 177, 178, 180, 181, 182, 183, 184, 191, 197, 202, 204, 211,
216, 218, 220, 221, 222, 223, 224, 225, 226, 227, 229, 231, 232, 233,
237, 238, 240, 252, 253, 255, 256
صالح بن مسرح ..... 70
الصفدي..... 21
طارق بن زاوي..... 8
طارق بن زياد ..... 6, 160, 214
طاهري..... 179
الطبري ..... 29, 70, 209
طريف البرغواطي..... 167, 211, 212, 214, 215, 216, 217, 218, 219, 220
طريف بن شمعون البرغواطي ..... 2, 3
طريف بن شمعون ..... 7, 71, 125, 139, 162, 163, 166, 167, 178, 204, 207, 210,
211, 213, 214, 216, 219, 233, 238, 240, 249, 252, 254
طريف بن مالك النخعي..... 213
طريف بن مالك ..... 6, 211, 212, 215
عامر الشعبي..... 199
عباس جبير سلطان التميمي ..... 10, 119, 188
العباس بن عبد المطلب..... 191
عباس بن ناصح..... 226
عبد الأعلى بن جريج ..... 43, 71
عبد الجليل الأزدي..... 7
عبد الرحمن الداخل ..... 240
عبد الرحمن بن أبي بكر ..... 58
عبد الرحمن بن رستم ..... 215
عبد الرحمن بن عقبة ..... 47

عبد الرزاق عمر أزريكم ..... 120, 175
عبد العزيز الثعالبي ..... 211, 212
عبد العزيز سالم ..... 5
عبد العزيز بن عبد الله ..... 83
عبد الله أبو الأنصار ..... 98, 230, 231
عبد الله المعتزلي ..... 221
عبد الله بنفور ..... 11, 184
عبد الله ذو الخويصرة ..... 67
عبد الله بن إباض ..... 73
عبد الله بن الحارث ..... 64
عبد الله بن الزبير ..... 58, 69
عبد الله بن السعد ..... 57
عبد الله بن زياد ..... 35
عبد الله بن سبأ ..... 222
عبد الله بن عباس ..... 57, 167, 192, 224
عبد الله بن عمر ..... 57
عبد الله بن عمرو بن العاص ..... 188
عبد الله بن عمرو ..... 58
عبد الله بن مسعود ..... 192, 198
عبد الله بن موسى بن نصير ..... 26
عبد الله بن ياسين ..... 95, 150, 182, 234, 235, 236, 245, 246, 247
عبد الملك بن قطن ..... 35, 212
عبد الملك بن مروان ..... 69, 70
عبد المؤمن بن علي الكومي ..... 6, 15, 89, 235, 247, 248, 249, 250
عبد الواحد بن يزيد ..... 49, 51, 52
عبيد الله الشيعي ..... 230
عبيد بن فهد ..... 61
عبيدة بن عبد الرحمن السلمي ..... 34, 35, 208
عبيدة بن هلال ..... 69
عثمان بن أبي عبيدة ..... 38

عثمان بن عفان ..... 56, 67
العراقي ..... 22
العروي ..... 184, 185
العقاد ..... 148
عقبة بن الحجاج ..... 37
عقبةَ بن قدامة ..... 35
عقبة بن نافع ..... 37, 57, 58, 59, 149, 158, 159, 165
عكاشة بن أيوب ..... 49, 50, 51, 52
عكرمة مولى ابن عباس ..... 71, 161, 162, 163, 204, 216, 254
علي بن أبي طالب ..... 67, 68
علي بن يوسف بن تاشفين ..... 102
عمر بن إدريس ..... 239
عمر بن الخطاب ..... 199
عمر بن عبد العزيز ..... 27, 28, 29, 61, 75, 160
عمر بن عبد الله المرادي ..... 8, 37, 41, 43, 52, 76, 139, 252
عمرو بن العاص ..... 56
عمرو بن عبيد ..... 63
عيسى أبو منصور ..... 231, 232, 233, 234
عيسى بن إدريس الأصغر ..... 225, 228
عيسى بن إدريس ..... 239
عيسى بن داوود السطاطي ..... 236
الغني بالله ..... 17, 83
غيلان الدمشقي ..... 221, 226
غيلان ..... 226
فاتن بن تامصيت ..... 128
فاتن بن تمزيت ..... 132
الفاروق ..... 199
فاطمة بنت رسول الله ﷺ ..... 228
الفتى واضح ..... 241
الفخر الرازي ..... 20, 68, 213

فرني بن جانا ..... 134
القاسم بن عبيد الله..... 36
القاضي عياض..... 248
القائم لله..... 7
قثم بن عوانة ..... 38
القزاز..... 118
قسطنطين ..... 156
القلقشندي ..... 88
الكاهنة..... 123, 124, 136, 154
كسيلة ..... 59
الكعبي ..... 67
كلثوم بن عياض..... 45, 46, 47, 48, 49
كنزة جدة محمد بن إدريس..... 239
لطيفة البكاي ..... 72
لوا بن مطماط..... 132
الليث بن سعد ..... 52
ليون الإفريقي..... 81, 88, 95
مارسي ..... 158
مارمول كربخال..... 17, 82, 87, 88, 92, 95, 112, 115
المبروك المنصوري ..... 177, 194, 195, 197
محمد الطالبي ..... 7, 121, 171, 172, 190, 212, 213, 214
محمد باقر المجلسي ..... 179
محمد حجاج الطويل..... 83
محمد مختار السوسي..... 84
محمد هيثم الخياط..... 21
محمد بن أبي بكر ..... 33
محمد بن إدريس الأصغر ..... 228
محمد بن إدريس ..... 239
محمد بن الفتح ..... 243, 244
محمد بن عباد..... 194

محمد بن عبد الله بن تومرت ..... 247
محمد بن عبيد الله ..... 48
محمد بن هود الماسي..... 248
محمد بن يزيد .....26, 27, 30, 31, 32, 75
محمد بن يعقوب الكليني ..... 179
محمود إسماعيل عبد الرزاق..... 5, 7, 105, 120, 178, 179, 182, 183, 223, 228, 235
المراكشي ..... 100
مرة بن ورسيك ..... 135
مروان بن محمد .....62, 73
المستعين بالله أديم ..... 130
المستنير بن الحبحاب.....35, 37
المسعودي ..... 18
مسلم بن أبي كريمة.....74, 75
مسلم .....188, 191, 192, 194
مسلمة بن سوادة ..... 47
المسور بن مخرمة ..... 58
مصالة بن حبوس المكناسي..... 230
مصطفى أعشى..... 147
مصكاب ..... 131
مصمود بن يونس..... 118
معاذ بن يونس.....97, 98
معاوية بن حديج..... 57
معاوية بن صفوان ..... 52
معاوية بن هشام ..... 46
المعتمد بن عباد اللخمي ..... 130
المعز لدين الله الفاطمي..... 242
المعز بن باديس .....6
معمر بن عبيد الله ..... 70
مغيث الرومي .....46, 48
المقدسي..... 79

المقري ..... 213
مناد ..... 226
المنصور إسماعيل القائم ..... 127
منصور البرغواطي..... 6
المهدي الأكبر ..... 222
المهلب بن أبي صفرة ..... 66, 68, 69, 209
موسى بن نصير ..... 24, 26, 38, 59, 159, 160, 213, 214
ميسرة السقاء ..... 254
ميسرة المطغري.. 2, 12, 41, 42, 43, 44, 71, 128, 162, 204, 210, 211, 212, 215, 216, 217, 219, 220, 221, 240, 249
ميمون بن ديصان القداح..... 222
ناحوم سلوش ..... 6, 171, 172
نجدة بن عامر ..... 69
نغاش بن قرظ ..... 34
نلينو ..... 63
نمالة بن فريني ..... 126
هارون القرني..... 46, 48
هشام المؤيد بالله..... 241
هشام بن عبد الملك..... 33, 34, 35, 36, 42, 45, 46, 49, 51, 70, 219, 221, 252
هيرودوت..... 145, 147
واصل بن عطاء ..... 63, 64
وجاج ..... 245
وجديجن..... 127
ورتناص بن ضري ..... 127
ورسيك بن الديرت ..... 131, 135
ورماس بن لوا ..... 132
ورنيد بن جانا..... 135
وريكول بن لوا ..... 132
الوزان ..... 17, 90, 94, 112, 235
الوليد بن عبد الملك..... 46, 160

ياقوت الحموي ..... 65, 88, 103
يحيى أنكمار اللمتوني..... 248
يحيى بن إبراهيم الجدالي ..... 182
يحيى بن إبراهيم ..... 245, 246
يحيى بن أبي بكر اللمتوني..... 248, 250
يحيى بن سعيد الأنصاري ..... 61
يحيى بن علي بن غانية ..... 248, 250
يزيد بن أبي مسلم..... 29, 30, 31, 75
يزيد بن الوليد..... 62
يزيد بن دينار ..... 208
يزيد بن عبد الملك ..... 28, 29, 31, 32, 75, 208
اليسع ..... 19
يصلتين ..... 126, 136
اليعقوبي..... 135
يلاغف بن لوا ..... 132
يليص بن لوا ..... 132
يوسف أبو الفتوح ..... 242
يوسف الوراق..... 133
يوشع بن نون..... 152, 171
يوليان..... 149, 158
يونس بن إلياس ... 98, 163, 166, 167, 172, 177, 179, 201, 204, 221, 226, 227, 228, 229, 237, 239

## فهرس الأماكن

أدندون ..... 95, 114
أرامبيس ..... 147
أرض الخليل ..... 155
أركش ..... 130
أزرفة..... 96, 112
أزغار ..... 81

أزمور ..... 87, 89, 90, 101, 104, 107, 228, 239
آسفي . 18, 84, 87, 91, 92, 101, 104, 105, 107, 112, 113, 144, 147, 159, 202
إشبيلية ..... 116, 248
أشونة ..... 119, 166, 176, 212
أصادة ..... 137
أصيلة ..... 93
أعمدة هرقل ..... 81
أغمات ..... 93, 115, 236, 244
إفريقية 17, 20, 26, 27, 28, 33, 35, 36, 46, 47, 49, 52, 56, 58, 59, 60, 61, 79,
85, 123, 131, 132, 133, 152, 154, 157, 159, 160, 242, 250
أكسيس ..... 97
إكلي ..... 84
الأراضي المقدسة ..... 153
الأصنام ..... 2, 51, 52, 204, 207, 217, 219, 252
الأطلس ..... 82, 90, 95, 96, 100, 101, 107
الأطلس الصحراوي ..... 81
الأندلس 3, 7, 18, 20, 37, 85, 88, 91, 93, 101, 102, 104, 105, 106, 110, 114,
116, 119, 128, 129, 130, 138, 149, 160, 166, 171, 193, 211, 212, 213,
214, 215, 223, 227, 232, 236, 240, 242, 245, 250
الأوراس ..... 124, 136
البحر الجنوبي ..... 93, 105, 114, 116
البحر المحيط . 79, 81, 82, 84, 87, 88, 89, 90, 91, 92, 99, 100, 101, 103, 105,
106, 107, 108, 116, 207, 246, 249, 253
البرتغال ..... 101
البصرة ..... 115, 244
البندقية ..... 105
التاورة ..... 131
الجريد التونسي ..... 136
الجزيرة ..... 207
الجزيرة الإيبيرية ..... 242

الجزيرة العربية ..... 193
الجنوب الوهراني ..... 136
الحوز ..... 81, 90, 103
الدار البيضاء ..... 7, 11, 81, 101, 104, 108
الدوسن ..... 128
الرباط ..... 84, 88, 94, 100, 103, 104, 105, 114, 202
الرياض ..... 9
الريف ..... 12, 81, 118, 148, 154, 238
الزاب ..... 126, 127, 136, 159
السودان ..... 37, 79, 80, 139
السودان الغربي ..... 3, 79, 182, 234
السوس ..... 43, 76, 86, 93, 115, 149, 159, 160, 165, 236, 244
السوس الأدنى ..... 80, 82, 83, 159, 160
السوس الأقصى ..... 37, 80, 82, 83, 85, 133, 159, 246
الشام ..... 35, 49, 153, 154, 207
الشاوية ..... 80, 84, 86, 201
الصحراء العربية ..... 151
الصحراء الكبرى ..... 94, 234
الصويرة ..... 108
العراق ..... 29, 30, 65, 68, 70, 71, 73, 76, 202, 207, 209, 220, 221, 252, 253
العين الحامية ..... 132
القدس ..... 152
القرن ..... 2, 50, 51, 52, 204, 207, 217, 219, 252
القيروان ..... 3, 20, 45, 46, 49, 50, 51, 52, 53, 58, 59, 61, 71, 158, 160, 162, 217, 220, 243, 254, 255
المحمدية ..... 105, 201, 202
المسجد الحرام ..... 193
المسيلة ..... 9, 131
المغرب ..... 2, 6, 7, 8, 9, 12, 13, 14, 16, 17, 18, 19, 21, 24, 25, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 36, 37, 39, 40, 41, 42, 43, 45, 46, 52, 53, 54, 55, 56, 57, 59, 60,

61, 64, 65, 66, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 76, 77, 79, 82, 85, 86, 89, 91, 92, 94, 106, 117, 118, 123, 126, 131, 132, 133, 135, 136, 139, 142, 146, 149, 151, 152, 153, 154, 156, 157, 159, 160, 161, 162, 164, 165, 168, 172, 183, 207, 208, 209, 211, 215, 220, 237, 241, 242, 245, 246, 249, 250, 252, 254, 256
المغرب الأدنى..... 36, 64, 74, 79
المغرب الأقصى 2, 5, 6, 7, 8, 9, 12, 17, 36, 37, 39, 52, 53, 77, 79, 80, 82, 83, 85, 88, 94, 98, 106, 107, 114, 117, 118, 124, 125, 129, 131, 132, 134, 136, 147, 149, 152, 154, 160, 161, 162, 183, 207, 208, 227, 242, 250, 252, 254
المغرب الأوسط . 9, 12, 36, 52, 53, 64, 79, 128, 132, 134, 136, 158, 207, 208, 252, 254
المنصورة ..... 96, 113, 114
المهدية ..... 89
النخيلة ..... 94, 95, 112, 115, 117, 139
النهر المحيط..... 100
النهروان ..... 48, 68, 76
الهبط ..... 81, 83
الوادي المالح ..... 94
اليمامة ..... 69
اليونان ..... 145, 146, 147, 171
أم الربيع..... 100, 112
أمسلاخت ..... 98, 231
أنفا..... 18, 90, 91, 93, 104, 105, 114, 116, 117
أنفي..... 87
إنقال ..... 97, 110, 111, 116
إنكلترة..... 105
أنماي ..... 101
أورشليم..... 152
أوروبا ..... 105

إيجلي ..... 159
إيغيسل ..... 97
إيفكان ..... 136
بابل ..... 152
باتنة ..... 146
باجة ..... 51
بحر الروم ..... 33, 76, 79, 81, 138
برقة ..... 46, 56, 79
بسكرة ..... 126
بقدورة ..... 45, 47, 49
بلاد المغرب ..... 32
بلاد الملثمين ..... 129
بلاد فارس ..... 149
بني زياد ..... 131
بني عطوش ..... 131
بني يدفر ..... 112
بهت ..... 97, 98, 163, 203, 229
بيت المقدس ..... 152, 153, 193
تادلا ..... 83, 95, 101, 124, 157, 158, 225, 238
تاغية ..... 96, 114
تافيلالت ..... 160
تامسنا ... 2, 3, 5, 6, 9, 10, 17, 18, 53, 79, 80, 81, 82, 83, 85, 86, 87, 88, 89, 90, 93, 94, 97, 98, 101, 104, 105, 106, 107, 109, 111, 112, 113, 114, 115, 116, 117, 118, 120, 121, 125, 137, 138, 139, 147, 150, 154, 157, 158, 159, 161, 164, 165, 168, 178, 183, 207,211, 212, 214, 215, 216, 217, 219, 220, 221, 225, 228, 235, 238, 239, 246, 247, 248, 249, 257
تامغسين ..... 97
تاملوكاف ..... 98, 163, 228
تانسيفت ..... 248
تاهرت ..... 132

ترنانا ..... 129
تكيت..... 95, 112, 114
تلمسان ..... 46, 129, 134, 136, 157, 247, 257
تمارة ..... 81, 147
تمدولت..... 84
تمنطيت ..... 129
تنس ..... 79, 134
تهودة..... 59, 159
توات ..... 129
تونس ..... 37, 38, 60, 76
تيجس..... 153
تيط مليل ..... 81
تيقطين ..... 111
تيمغسن ..... 163, 229
تيهرت..... 12, 53, 65, 125
ثيمياتيريون ..... 147
جبال الأطلس ..... 96, 100, 103
جبال الأطلس العليا..... 100
جبال الأطلس الكبير ..... 96, 102
جبال الأطلس المتوسط ..... 100
جبال الأوراس ..... 133
جبال التسول ..... 118
جبال الشلف..... 125
جبال المسيلة ..... 128
جبال بني واريتن..... 103
جبال تازا ..... 103
جبال توبكال..... 109
جبال درن ..... 82, 83, 85, 157
جبال طرابلس..... 133
جبل الأوراس ..... 123, 154

جبل الونشريس ..... 132
جبل تازة ..... 134
جبل درن ..... 118
جبل دمر ..... 125, 131
جبل راشد ..... 129
جبل سالات ..... 131
جبل طارق ..... 105
جبل كزول ..... 132
جبل كندر ..... 125
جبل هنتاتة ..... 101
جبل ونشريس ..... 129
جراوة ..... 51, 121, 129
جزولة ..... 92
جزيرة طريف ..... 6, 213
جلولاء ..... 51, 57
جنوة ..... 105
حروراء ..... 69
حصن برباط ..... 18, 211, 215
حماة ..... 91
خراسان ..... 68, 70, 76
درعة ..... 159, 160, 248
دكالة ..... 84, 90, 91, 92, 101, 108, 112, 248
دمشق .. 2, 12, 25, 33, 36, 37, 41, 42, 46, 75, 76, 77, 79, 161, 180, 207, 216
دير سمعان ..... 28
رأس بدوزة ..... 202
رباط شاكر ..... 84, 159
رباط فوز ..... 84
رباط ماسة ..... 84
رباط نفيس ..... 84
روسيد ..... 100

زرفة ..... 96, 113, 115
زعير ..... 201
سبتة ..... 6, 7, 19, 48, 79, 104, 112, 212, 242, 248, 250
سبيبة ..... 46
سبيطلة ..... 56
سجستان ..... 70
سجلماسة ..... 12, 53, 129, 214, 226, 236, 243, 244, 248
سردانية ..... 33, 35, 38, 76
سرقوسة ..... 76
سفاقص ..... 6, 7
سلا ,18, 82, 83, 87, 88, 92, 93, 97, 100, 102, 104, 105, 107, 112, 113, 116, 117, 136, 139, 147, 228, 239
سلا الجديدة ..... 88, 89
سلا القديمة ..... 146
سلجلماسة ..... 93
سله القديمة ..... 88, 89
سهل الحوز ..... 109, 138
سهل الشاوية ..... 109, 138
سهل أم الربيع ..... 107
سهل تادلة ..... 109, 138
سهل خنيفرة ..... 100
سهل دكالة ..... 107, 108, 138
سهل سبو ..... 107, 138
سهل سلا ..... 108, 138
سهول أدكسوم ..... 101
سهول أزغار ..... 103
سهول الأتلانتيك ..... 106
سهول أنفا ..... 108
سيدونيا ..... 212
شالة ..... 87, 88, 105, 112, 115, 157, 158, 225, 227, 239, 245

شذونة ..... 211, 212, 215
صدينة ..... 238
صفروي ..... 132
صقلية ..... 34, 35, 38, 43, 44
طرابلس ..... 46, 52, 125, 131
طليطلة ..... 257
طنجة .. 37, 41, 43, 44, 47, 61, 79, 81, 82, 88, 103, 137, 139, 149, 158, 160
عبدة ..... 84, 90
عدوة الأندلسيين ..... 149
عدوة القرويين ..... 125
عين البرج ..... 153
عين الحلوف ..... 96, 110, 113, 114
غدامس ..... 133
غرناطة ..... 17, 83
غياثة ..... 118
فازاز ..... 100, 238
فاس ..... 18, 53, 79, 81, 82, 83, 85, 95, 103, 105, 115, 124, 125, 129, 132, 134, 137, 149, 154, 157, 161, 215, 230, 238, 239, 242, 244
فج مزالة ..... 125
فحص برباط ..... 240
فحص خراز ..... 97
فضالة ..... 81, 92, 93, 94, 105, 112, 116
فلسطين ..... 152, 153
فندلاوة ..... 238
قابس ..... 52, 132
قالمة ..... 146
قرسقة ..... 33, 76
قرطاج ..... 147
قرطبة ..... 85
قرمونة ..... 130

قسنطينة ..... 125
قلعة جرماط ..... 129
كاركون تايكوس ..... 147
كربلاء ..... 10
كرط ..... 81
كرمان ..... 70
كريفلة ..... 236, 247
لبنان ..... 117
مازيغن ..... 104, 112
ماسة ..... 82, 84
مجانة ..... 50
مديونة ..... 157, 238
مراكش ..... 82, 83, 84, 88, 90, 91, 92, 94, 101, 108, 110, 201, 235, 247, 248
مرسى آسفي ..... 116
مرسى الغيط ..... 104
مرسى فضالة ..... 105
مرفأ مازيغن ..... 104
مرور ..... 130
مشنت ..... 128
مصر ..... 32, 36, 41, 46, 49, 79, 147, 152, 242
مصمودة ..... 120, 157, 211, 214
مغارة بومرزوك ..... 146
مغراوة ..... 257
مغنية ..... 134, 135
مقالع طوما ..... 81
مقبرة سيدي بوعمر ..... 202
مكناسة ..... 71, 102, 137, 162, 245
مكول ..... 97, 111, 112, 116, 139
ملوية ..... 137
مليلة ..... 124

مناداس ..... 132
ميلة ..... 125
ميناء أنفا ..... 112
ميناء فضالة ..... 114
ناصرة ..... 155
نصرانة ..... 155
نصورية ..... 155
نفزاوة ..... 52
نكور ..... 125
نمالتة ..... 134
نهر أبو الرقراق ..... 82, 84, 88, 99, 100, 104, 138
نهر أسيف المال ..... 101
نهر اللكوس ..... 81
نهر المعمورة ..... 105
نهر أم الربيع ,109 ,107 ,106 ,105 ,104 ,100 ,99 ,97 ,95 ,93 ,92 ,89 ,84 ,82 ,81
110, 138
نهر بهت ..... 110
نهر بوركرك ..... 100
نهر تانسيفت ..... 138
نهر تنسيفت ..... 101, 107, 109
نهر سبو ..... 102, 103, 105, 107, 110
نهر سلا ..... 100, 116
نهر فاس ..... 103
نهر ملوية ..... 79, 81, 100, 118, 132
نهر وانسيفن ..... 100
نول ..... 93, 236
واد الرمان ..... 100
واد العبيد ..... 101
واد نفيس ..... 101
وادي الجواهر ..... 103

وادي السوس ..... 107
وادي الشلف ..... 44, 45
وادي أوضو ..... 103
وادي برباط ..... 214
وادي بهت ..... 102, 103
وادي سبو ..... 47
وادي وانسيفن ..... 100
وادي ورغة ..... 103
وليلي ..... 65, 157, 158, 159, 238
وليلـي ..... 158
يجاجين ..... 137

# ثبت المصادر والمراجع

## أولا: المصادر


1. **ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، ط (1972م).

2. **ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، الكامل في التاريخ**، مر: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1 (1987م).

3. **ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مر: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1 (1992م).

4. **ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين**، دار الغرب الإسلامي، د.ط، الجزائر، ط (1985م).

5. **ابن القوطية أبو بكر محمد بن عبد الرحمن، تاريخ افتتاح الأندلس**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، بيروت – القاهرة، ط2 (1989م).

6. **ابن تغري بردي أبو المحاسن جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تع: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1 (1992م).

7. **ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تح: علي بن حسن بن ناصر – عبد العزيز العسكر – حمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة للنشر والتوزيع، االرياض، د.ط، ط (1999م).

8. **ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، الفصل في الأهواء والملل والنحل**، تح: عبد الرحمن عميرة ومحمد إبراهيم نصر، دار الجيل، لبنان، ط2 (1996م).

9. **ابن حزم أبو محمد علي بن سعيد بن أحمد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب**، نش وتح وتع: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، د.ط، ط (1948م).

10. **ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي النصيبي، صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، لبنان، د.ط، ط (1992م).

11. **ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك**، مطبعة بريل، د.ط، ليدن، ط (1892م).

12. **ابن خلدون أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مر: سهيل زكار وخليل شحادة، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ط، ط (2000م).

13. **ابن دحية أبو الخطاب عمر، المطرب من أشعار أهل المغرب**، تح: إبراهيم الأبيار – حامد عبد المجيد – أحمد أحمد البدوي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، د.ط، القاهرة، ط (1954م).

14. **ابن سباهي زادة محمد بن علي البروسوي، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، تح: المهدي عيد الراوايضة، دار الغرب الإسلامي، ط1 (2006م)، بيروت.

15. **ابن سعيد أبو الحسن علي، كتاب الجغرافيا**، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 (1970م)، بيروت.

16. **ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي المصري، فتوح مصر والمغرب**، تح: شارلز توري، شركة الأمل للطباعة والنشر، مصر، د.ط، ط (1999م).

17. **ابن عبد ربه أحمد بن محمد، العقد الفريد**، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1 (1983م).

18. **ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح ومر: جورج سيرافان كولان وليفي بروفنسال، مطبعة دار الثقافة، لبنان، ط3 (1983م).

19. **ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د.ط، ط (1979م).

20. **ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، ط1 (2010م)، بيروت.

21. **ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة**، مطبعة النيل، مصر، د.ط، ط (1904م).

22. **ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي، مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب وأقواله على أبواب العلم**، تح: عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1 (1991م).

23. **ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، المملكة العربية السعودية، ط1 (1998م).

24. **ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الإحياء للكتب العربية، القاهرة، د.ط، د.ت.

25. **ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط1، د ت، مج4.

26. **أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، البحر الرائق شرح كتاب الدقائق**، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1997م).

27. **أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي، طبقات علماء إفريقية**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، د.ت.

28. **أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان**، تح: رينود وديسلان، دار الطباعة السلطانية، د.ط، باريس، ط (1995م).

29. **أبو جعفر محمد بن الحسين بن فروخ الصفار القمي، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد**، تص وتع: الحاج ميرزا محسن التبريزي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، د.ط، ط (1995م).

30. **أبو حفص عمر بن المكي الصقلي، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1990م).

31. **أبو عبد الله السخاوي محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، تح وتع: الشيخ علي حسن علي، دار الإمام الطبري، القاهرة، ط2 (1992م).

32. **أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفَرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، در وتح: محمد عثمان الخشن، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د.ط، ط (1988م).

33. **أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف**، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط2 (1997م).

34. **الآجري أبو بكر محمد بن الحسين، كتاب الشريعة**، در وتح: عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1 (1997م).

35. **أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، كتاب السير**، تح: أحمد بن سعود السيباني، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط2 (1992م).

36. **أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري**، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المكتبة السلفية، الرياض، (1379هـ).

37. **أحمد بن يحي بن المرتضي، طبقات المعتزلة**، تح: سوسنة ديقلد وقيلزر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ط، ط (1961م).

38. **الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، تح: سيكيتوسيفاندا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، ط (2002م).

39. **إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية**، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ط (2009م).

40. **الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، ط (1990م).

41. **الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي، الأغاني**، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1 (1415هـ).

42. **الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، مخطوط كتاب الأقاليم**، ، مطبعة بروكريانا، إيطاليا، مخ.ر C-68057، د.ت.

43. **البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن بردزبه، صحيح البخاري**، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1 (2002م).

44. **البكري أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك**، د وتح: زينب الهكاري، تق: أحمد العزاوي، مطبعة نت المغرب، المغرب، د.ط، ط (2012م).

45. **البلاذري أبو العباس أحمد بن يحي، فتوح البلدان**، تح: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، ط (1987م).

46. **البلخي أبو القاسم، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة**، تح: فؤاد السيد، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، ط (1986م).

47. **البيدق أبو بكر الصنهاجي، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، ط (1971م).

48. **الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي**، دار التأصيل، القاهرة – بيروت، ط1 (2014م).

49. **الجاحظ أبو عمرو عثمان بن بحر، البيان والتبيين**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، ط (1423هـ).

50. **الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2 (1983م).

51. **خليفة بن خياط بن أبي هبيرة أبو عمرو الليثي العصفري، تاريخ خليفة بن خياط**، تح: أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2 (1985م).

52. **الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، عل: أبو القاسم ابن ناجي التنوخي، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس – مكتبة الخانجي، مصر، د.ط، ط (1978م).

53. **الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، د.ط، ط (1974م).

54. **الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز، الأمصار ذوات الآثار**، تح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمد الارناؤوط، دار ابن كثير، سوريا – لبنان، ط1 (1985م).

55. **الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز، سير أعلام النبلاء**، تح: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، الأردن، المملكة العربية السعودية، د.ط، ط (2004م).

56. **الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن قيماز، سير أعلام النبلاء – سير الخلفاء الراشدون**، تح وضب وتع: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 (1996م).

57. **الرازي أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر القرشي البكري، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، مر: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ط (1982م).

58. **الرقيق أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب**، تح: عبد الله العلي زيدان وعز الدين عمرو موسى، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1 (1990م).

59. **السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد، الأنساب**، تح وتع: عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دائرة المعارف العمانية، حيدر آباد، ط1 (1963م).

60. **الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل**، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعو، دار المعرفة، لبنان، ط3 (1993م).

61. **الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات**، تح: أبو عبد الله جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (2010م).

62. **الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2 (1971م).

63. **الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد، متن العقيدة الطحاوية بيان عقيدة أهل السنة والجماعة**، دار ابن حزم، بيروت، ط1 (1995م).

64. **عبد الملك بن حبيب السلمي، كتاب التاريخ**، المكتبة العصرية، د.ط، بيروت، ط (2008م).

65. **العراقي أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، ألفية الحديث**، دار الآثار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 (2002م).

66. **علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات**، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، ط (2004م).

67. **عماد الدين ابن كثير، تفسير القرآن العظيم**، تح: محمد ناصر الدين الألباني، تخ: محمود بن جميل ووليد بن محمد وخالد بن محمد بن عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1 (2002م).

68. **الفيومي أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، مطبعة التقدم العلمية، القاهرة، ط1 (1322هـ).

69. **القلقشندي أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، مطبعة دار الكتب المصرية، د.ط، القاهرة، ط (1922م).

70. **لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تح: أحمد محتار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ط، ط (1964م).

71. **لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، نش وتع: أحمد مختار العبادي، مر: عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.ط، د.ت.

72. **مارمول كربخال، إفريقيا**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، د.ط، ط (1989م).

73. **المالكي، أبو بكر محمد، رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية والقيروان**، تح: بشير البكوش، مر: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2 (1994م).

74. **الماوردي أبو الحسن علي بن محمد، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي**، تح: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، تق: محمد بكر إسماعيل – عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1994م)، ج 12.

75. **المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب**، تح وتع: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3 (1997م).

76. **مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2 (1989م).

77. **مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار**، نش وتع: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، الكويت، د.ط، د.ت.

78. **مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1 (1979م).

79. **مجهول، مفاخر البربر**، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، د.ط، ط (2004م).

80. **محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، تح: يحي العابدي الزنجاني، مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، ط1 (1365هـ).

81. **محمد بن عبد الوهاب بن سليمان، الأصول الثلاثة وأدلتها**، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، د.ط، ط (1418هـ).

82. **محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي**، منشورات دار الفجر، بيروت، ط1 (2007م).

83. **المسعودي أبو الحسن علي بن الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت، ط (1988م).

84. **المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار صادر، بيروت، ط2 (1902م).

85. **المقري أبو العباس أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، ط (1988م)، مج1.

86. **المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، تح خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1998م).

87. **النووي محي الدين أبو زكرياء يحي بن شرف، منهاج الطالبين وعمدة المفتين**، تح: محمد محمد طاهر شعبان، دار المنهاج، جدة، ط1 (2005م).

88. **النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (2004م)4.

89. **ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان**، د.ط، دار صادر، لبنان، ط (1977م).

90. **اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، كتاب البلدان**، المكتبة المرتضية، د.ط، النجف، ط (1918م).

91. **اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي**، تح: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ط، ط (2010م)، مج1.

## ثانيا: المراجع العربية والمعربة

1. **إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت – دمشق، ط1 (2005م).

2. **إبراهيم العبيدي التوزري، تاريخ التربية بتونس**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د.ط، ط (1967م).

3. **إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، د.ط، الدار البيضاء، ط (2000م).

4. **ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين علي بن علي بن محمد، شرح العقيد الطحاوية،** تح مصطفى العدوي، دار بن رجب، المنصورة، ط1 (2002م).

5. **ابن بدران عبد القادر بن أحمد بن مصطفى، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل،** إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ط، د.ت.

6. **أحمد الطاهري، المغرب الأقصى ومملكة بني طريف البرغواطية خلال القرون الأربع الهجرية الأولى،** مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1 (2005م).

7. **أحمد توفيق المدني، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي،** المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، ط (1986م).

8. **أحمد سامي مصطفى – فيليب رفله، جغرافية الوطن العربي دراسة طبيعية اقتصادية سياسية مع دراسة شاملة للدول العربية،** مكتبة النهضة المصرية، ط4 (1970م)، القاهرة.

9. **أحمد سراج وخديجة الخديري، بصمات برغواطية دراسة حول حضارة برغواطة المنقرضة بتامسنا،** دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، د.ط، ط (2019م).

10. **أحمد مختار العبادي، مشاهدات لسان الدين في المغرب والأندلس،** مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، ط (1983م).

11. **إسحاق تاضروس، عبيد روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين،** دار المعارف، القاهرة، د.ط، ط (1970م).

12. **إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام،** مطبعة الاعتماد، د.ط، مصر، ط (1927م).

13. **الألباني ناصر الدين بن نوح، صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان،** دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1 (2002م)، مج1.

14. **أمين الريحاني، المغرب الأقصى**، مؤسسة هنداوي سي آي سي، د.ط، المملكة المتحدة، ط (2017م).

15. **آيات الله الخميني، الحكومة الإسلامية**، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 (2011م).

16. **بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية**، دار الكتاب العربي، الجزائر، د.ط، ط (2010م).

17. **بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس**، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط3 (2007م).

18. **بيل ألفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3 (1987م).

19. **تابليت عمر، هوارة ودورها في تاريخ المغرب**، الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1 (2011م).

20. **تريتون أس، أهل الذمة في الإسلام**، تر وتع: حسن حبشي، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ط (1949م)، د.ط.

21. **الثعالبي عبد العزيز، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، جم وتح: أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، تق ومر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1 (1990م).

22. **جهادي حسين، نموذج المقاومة المغربية في دولة برغواطة الأمازيغية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، د.ط، ط (2014م).

23. **جودة حسين جودة – علي أحمد هارون، جغرافية الدول الإسلامية**، منشأة المعارف، د.ط، الإسكندرية، ط (1999م).

24. **جورج رو، العراق القديم**، تر وتع: حسين علوان حسين، دار الشؤون الثقافية العامة، د.ط، بغداد، ط (1984م).

25. **حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين**، القاهرة، دار الفكر العربي، ط7، د.ت.

26. **حسن محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقية**، دار الفكر العربي، د.ط، القاهرة، ط (1986م).

27. **حسين أبو لبابة، موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها**، دار اللواء، الرياض، ط2 (1987م).

28. **الحفظي عبد اللطيف بن عبد القادر، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره**، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط1 (2000م).

29. **خطاب محمود شيت، قادة فتح الأندلس**، مؤسسة علوم القرآن، لبنان، منار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1 (2003م)، مج2.

30. **خليل بن مأمون شيحا، وفيات سير أعلام النبلاء**، دار المعرفة، بيروت، ط1 (2007م).

31. **خير الدين الزركلي، الأعلام**، بيروت، دار العلم للملايين، د.ط، ط (1986م).

32. **رجب محمد عبد الحليم، دولة بني صالح في تامسنا**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ط الفجالة، ط (1991م).

33. **رونـي باسيي، أبحاث في دين الأمازيغ**، تر وتق: حمو بوشخار، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط1 (2012م).

34. **زياد بن عابد المشوخي، الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي**، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط1 (2012م).

35. **سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، العقود الفضية في أصول الإباضية**، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، د.ط، ط (1983م).

36. **ستيفيان كزيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم**، تر: محمد التازي سعود، أكاديمية المملكة المغربية، د.ط، الرباط، ط (2007م).

37. **سحر عبد العزيز، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، ط (1993م).

38. **سرحان بن سعيد الأزكوي، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة**، تح وتق: محمد حبيب صالح ومحمود السليمي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط2 (2013م).

39. **سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال**، منشأة المعارف، د.ط، مصر، ط (1993م).

40. **سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط1 (1997م).

41. **سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة**، مركز الدعوة والإرشاد، القصب، ط3 (2010م).

42. **السلاوي أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، جم: لغليطي عبد الحميد وسويسي جمال، مكتبة نبراس الصفا التاريخية، د.ط، د.ت.

43. **سوادي عبد محمد وصالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، ط1 (2004م).

44. **سيد إسماعيل كاشف، مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية**، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ط2.

45. **السيد سابق، فقه السنة**، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1 (2015م).

46. **السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، منشورات مؤسسة شباب الجامعة، ط2 (1982م).

47. **شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية(تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة(1830م)**، تع: محمد مزالي، البشير بن سلامة، دار التونسية للنشر، تونس، ط (1878م).

48. **صبري فارس الهيثي– حين أبو سمور، جغرافية الوطن العربي**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط1 (1999م)، عمان.

49. **الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، مطبعة مؤسسة الخدمات الطباعية، بيروت، د.ت.

50. **طراد نجيب إبراهيم، تاريخ الرومان**، تق: محمد زينهم عزب، مطبعة الغد، القاهرة، د.ط، ط (1997م).

51. **عادل فرج عبد المسيح، موسوعة آباء الكنيسة**، دار الثقافة، القاهرة، ط (1999م).

52. **عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحالي**، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2 (1980م).

53. **عباس محمود العقاد، موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية توحيد وأنبياء**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1 (1970م).

54. **عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، إعداد عمار طالبي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3 (1997م)، مج2.

55. **عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تقد: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل – محمد بن صالح العثيمين، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 (2002م).

56. **عبد الرزاق عمر أزريكم، الغرب الإسلامي من الفتح إلى القرن الخامس هجري،** المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط1 (2016م).

57. **عبد الرزاق محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري،** نشر وتوزيع دار الثقافة، المغرب الأقصى، د.ط، ط (1985م).

58. **عبد الرؤوف محمد عثمان، محبة الرسول بيت الاتباع والابتداع،** الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، (1414هـ).

59. **عبد العباس الغريري – سعدية الصالحي – سيداتي ولد الداه، جغرافية الوطن العربي،** دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط1 (1998م)، عمان.

60. **عبد القادر شيبة الحمد، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة،** مطبوعات الجامعة الإسلامية، د.ط، المدينة، ط (1387هـ).

61. **عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، المهذب في علم أصول الفقه المقارن،** مكتبة الرشد، الرياض، ط1 (1999م).

62. **عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب،** المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2 (2000م).

63. **عبد المجيد بن حمدة، المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية،** مطبعة دار العرب، تونس، ط1 (1986م).

64. **عبد المنعم الحفني، موسوعة الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية،** دار الراشد، القاهرة، ط1 (1993م).

65. **عبد المنعم محجوب، رحلة حنون والطواف حول الأرجاء الليبية وراء أعمدة هرقل،** دار تانيت، طرابلس، ط2 (2016م).

66. **عبد الواحد دنون طه، الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقيا والأندلس**، دار المدار الاسلامي، ليبيا. د.ط، (2004م).

67. **عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، د.ط، ط (1968م).

68. **عثمان بن علي حسن، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة**، مكتبة الرشد، الرياض، ط5 (1415هـ).

69. **عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1 (1983م).

70. **علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة**، مكتبة وهيبة، القاهرة، ط2 (1995م).

71. **علي محمد الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط1 (2003م).

72. **العمرجي أحمد شوقي إبراهيم، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل**، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط، ط (2000م).

73. **عوض محمد خليفات، نشأة الحركة الإباضية**، مطبعة دار الشعب، الأردن، د.ط، ط (1978م).

74. **فرج محمد الهونى، النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية**، مطابع الثورة، ليبيا، د.ط، (1396هـ).

75. **القاسمي جمال الدين الدمشقي، تاريخ الجهمية والمعتزلة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 (1979م).

76. **لقبال موسى، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 (1971م).

77. **لقبال موسى، المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2 (1981م).

78. **مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، دار الكتاب العربي، الجزائر، د.ط، ط (2007م).

79. **مبارك بن محمد الميلي، تلخيص رسالة الشرك ومظاهره**، جم: أبو عبد الرحمن محمود، دار الفضيلة، الجزائر، ط1 (2013م).

80. **مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4 (2004م).

81. **محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.

82. **محمد السعيدي الرجراجي، رباط شاكر والتيار الصوفي حتى القرن السادس الهجري**، وليلي للطباعة والنشر، د.ط، مراكش، ط (2010م).

83. **محمد الطالبي وإبراهيم العبيدي، البرغواطيون في المغرب**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1 (1998م).

84. **محمد الطالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2 (1995م).

85. **محمد المختار السوسي، سوس العالمة**، مطبعة فضالة، المحمدية، د.ط، ط (1960م).

86. **محمد بن صالح العثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع**، دار ابن الجوزي، الرياض، ط1 (1422هـ).

87. **محمد بن صالح العثيمين، شرح الثلاثة أصول لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي**، تح: هاني الحاج، دار الإمام مالك للكتاب، الجزائر، ط2 (2012م).

88. **محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مطبعة هيدلبرغ، ط2 (1984م)، بيروت.

89. **محمد حجاج الطويل، البادية المغربية**، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط1 (1999م).

90. **محمد رواس قلعة جي، معجم لغة الفقهاء**، دار النفائس، بيروت، ط1 (1996م).

91. **محمد عبد الرحمن مباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، د.ت.

92. **محمد عبد الله عنان، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة**، إدارة الهلال، مصر، د.ط، ط (1926م).

93. **محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4 (1960م).

94. **محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تق: رفيق العجم، تح: علي دحروج، تر: جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1 (1996م).

95. **محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي**، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3 (1987م).

96. **محمد محمود القاضي، عقبة بن نافع فاتح إفريقية**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط (1999م).

97. **محمد محي الدين المشرفي، إفريقيا الشمالية في العصر القديم**، دار الكتب العربية، لبنان، ط4 (1969م).

98. **محمد محي الدين عبد الحميد، التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، د.ط، ط (2007م).

99. **محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، إش: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت – دمشق، ط3 (1988م).

100. **محمد هيثم الخياط، المعجم الطبي الموحد**، منظمة الصحة العالمية، مكتبة لبنان – ناشرون، بيروت، ط4 (2006م).

101. **محمود إسماعيل، الأدارسة حقائق جديدة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1 (1991م).

102. **محمود شاكر، التاريخ الإسلامي – العهد الأموي**، المكتب الإسلامي، بيروت دمشق عمان، ط6 (1991م).

103. **محمود عبد العليم، تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير**، دار الدعوة، ط1 (1948م)، الإسكندرية.

104. **محمود مقيدش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط1 (1988م)، بيروت.

105. **مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية منذ الفتح العربي إلى سقوط الدول المستقلة**، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط1 (1986م).

106. **مصطفى أعشي، أحاديث هيرودوت عن الليبيين**، مطبعة المعارف الجديدة، د.ط، الرباط، ط (2009م).

107. **مصطفى ديب البغا – محي الدين ديب متو، الواضح في علوم القرآن**، دار الكلم الطيب – دار العلوم الإنسانية، دمشق، ط2 (1998م).

108. **مناع القطان، مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7 (1995م).

109. **مؤنس حسين، فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ط.

110. **مؤنس حسين، فجر الأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، ط4 (2008م).

111. **ناصر القفاري – ناصر العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة**، دار الصميعي للنشر، الرياض، ط1 (1992م).

112. **هنري بيريس، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية**، دار الكتاب، د.ط، الجزائر، ط (1957م).

113. **هيرودوت، تاريخ هيرودوت**، تر: أحمد الملاح، مر: أحمد السقاف وأحمد بن سراي، المجمع الثقافي، د.ط، أبو ظبي، ط (2001م).

114. **وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته**، دار الفكر، دمشق، ط2 (1985م).

115. **يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية بإفريقية منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن الخامس الهجري**، مركز بحوث الدراسات الإسلامية – جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1 (2000م).

116. **يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط**، مؤسسة هنداوي، د.ط، المملكة المتحدة، ط (2017م).

## ثالثا: المراجع الأجنبية

1. **Abd Allah Bounfour, Les BERVATA, Langue, religion societe,** fondation de roi abd el aziz al saud, casablanca, 2023.

2. **ALI DRIS, L'Histoire de l'Education et les Idées Pédagogiques en Ifriqiya. Depuis Ibn Sahnûn- m.(256/869) jusqu'à Ibn Haldûn- m.(808/1406),** Thèse de Doctorat d'Etat, encadrement par André Miquel, Université de la Sorbonne Nouvelle.

3. **DOUTTE edmond, Magie et religion dans l'Afrique du Nord,** typographie Adolph Jourdan, Alger, (1909).

4. **François Décret, Le Christianisme en Afrique du Nord Ancienne,** éd, du Seuil ,Paris, (1996).

5. **G.Camps et S.Chaker, enscyclopedie berber,** edition peters (1986).

6. **Gautier Emile Félix, le passé de l'afrique du nord ; les sciecles obscurs,** bibliothèque historique, paris, payot, 1937.

7. **HENRI MARROU, saint augustin et l'augustinisme,** éd SEUL, Paris, (1973).

8. **J.E.Budgett Meakin, The Jewish Quarterly Review -The Jews of Morocco,** University of Pennsylvania Press, (1892).

9. **Mohammed HAMMAM, l'occident musulman et l'occident chritien au moyen age,** publication de la faculté des lettres, 1er édition, rabat, (1995).

10. **RUNOT louis, La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et Salé,** éditions Ernest Leroux, paris, (1920).

11. **Simon Marcel, Le Judaïsme berbère dans l'Afrique ancienne,** In: Revue d'histoire et de philosophie religieuses, 26e année n°1, (1946).

## رابعا: الرسائل الجامعية

1. **أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية،** إش: عثمان عبد المنعم، رسالة ماجيستر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع العقيدة، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، (1398هـ).

2. **الأكلبي حمود بن سعد بن مهدي، إمارة برغواطة بتامسنا،** رسالة ماجيستر، إشراف: عبد الحليم بن علي رمضان، غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الملك فيصل، (2017م).

3. **جملات عيد محمود أبو ناصر، لفظة القرآن في القرآن الكريم،** رسالة ماجيستر، إشراف: رياض محمود جابر قاسم، غ.م، كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية غزة، (2011م)، د.ط.

4. **خلفة عبد الرحمن، الديانة الوثنية المغاربية القديمة منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146 ق.م،** رسالة ماجيستر، إشراف: غانم محمد الصغير، غ.م، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، (2008م).

5. **علي محمود عبد اللطيف الجندي، البربر في إفريقية في العصر الأموي**، رسالة ماجيستر، إشراف: حسين يوسف دويدار، غ.م، كلية اللغة العربية – قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، د.ت.

6. **عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم–النشأة والتطور– (180–430 م)**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، (2011م).

7. **فاطمة عبد القادر رضوان، المغرب في عصر الولاة الأمويين**، رسالة ماجيستر، إشراف: أحمد السيد دراج، غير مطبوعة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى بمكة، د.ط، (1984م).

8. **قعر المثرد السعيد، الزراعة في بلاد المغرب القديم**، رسالة ماجيستر، إشراف:غانم محمد الصغير، غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، (2008م).

9. **لطيفة البكاي، حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي**، أطروحة دكتوراه، إشراف: هشام جعيط، مطبوعة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، لبنان، (2001م).

10. **محمد غزالي، النشاط الفكري للمذاهب غير السنية في بلاد المغرب الإسلامي**، أطروحة دكتوراه، إشراف: عمر بلبشير، غ.م، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة مصطفى اسطمبولي، (2016م).

11. **هود محمد منصور قباص أبو راس، الخطاب القرآني لأهل الكتاب وموقفهم منه قديما وحديثا**، أطروحة دكتوراه، إشراف: ذو الكفل الحاج محمد يوسف، أكاديمية الدراسات الإسلامية – جامعة كوالا لمبور ماليزيا، (2011م).

12. **وفاء يعقوب جبريل برناوي، دولة بني المدرار"الصفرية" بالمغرب الأقصى الإسلامي،** رسالة ماجيستر، إشراف: فواز علي بن جنيدب الدهاس، غ.م، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (2003م).

## خامسا: المجلات والدوريات

1. **إبراهيم حركات، المجتمع الدكالي والفكر الديني،** مجلة دعوة الحق، العدد 224.

2. **أحمد جاسم محيميد، قبيلة زناتة وأثرها في حركة الخوارج في المغرب العربي،** مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، عدد 23.

3. **أسامة محمد منصور الحموي، عقوبة النفي دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي والقانون،** كلية الشريعة، جامعة دمشق، (2003م).

4. **إسماعيل سامعي، مُدَّعو النبوة في بلاد المغرب الإسلامي تحدي واستجابة،** مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، عدد 13، (2003م).

5. **إلياس بن عبد الله دكار، "أوغسطين تاغست": الفيلسوف اللاهوتي صاحب التأثير العالمي،** المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المركز الجامعي تندوف، عدد 09، مج 50.

6. **إيمان شعبان، الآثار الحضارية للفتح الإسلامي لبلاد المغرب،** مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر2، مج 3، عدد 8، (2020م).

7. **بن عطا الله عبد الرحمن، انتشار الديانة المسيحية في إفريقيا خلال الاحتفال الروماني وموقف السلطة الرومانية منها،** مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تبسة، عدد 11، مج9، (2016م).

8. **حدة قادري ومليكة منصورية، القبيلة في المجتمع المغاربي القديم،** مجلة تطوير، جامعة الجلفة، عدد 02، مج 09، (2022م).

9. **حسن عيسى عبد الظاهر، الحدود في الإسلام من فقه الجريمة والعقوبة**، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، قطر، (1985م).

10. **حمد بن حمدي الصاعدي، دعائم التمكين**، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عدد110، ط (2000م).

11. **سعد بن عبد الله الحميد، أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة بين الجهالة والإمامة**، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة، مصر، (2008م)، عدد 21.

12. **سعد زغلول عبد الحميد، فترة حاسمة من تاريخ المغرب موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين في إفريقيا ونقلتهم إلى مصر**، مجلة كلية الآداب، جامعة بنغازي، (1958م).

13. **سمير آيت أومغار، طقوس الاستمطار في الجزائر نماذج من مطلع القرن العشرين**، مجلة الثقافة الشعبية، سلطنة عمان، عدد 41، (2018م).

14. **شنعة خديجة، برغواطة قراءة جديدة في إشكالية صدها للتعريب**، مجلة مدارات تاريخية، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، مج1، عدد2، (2019م).

15. **طاهري بلخير – راضي عبد الإله، الردة أحكامها وآثارها –دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية**، مجلة الشهاب، جامعة الوادي، مج5، عدد01، (2019م).

16. **عاطف عطية، الثقافة الشعبية أساس الحضارة الإنسانية**، مجلة الثقافة الشعبية، المنظمة الدولية للفن الشعبي، مطبعة أوال، البحرين، (2020م)، عدد 43.

17. **عباس جبير سلطان التميمي، برغواطة دراسة تاريخية في نشأتها وعقائدها**، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة كربلاء، مج3، ع10.

18. **عبد الرؤوف أحمد عرسان جرار، الديانة المسيحية في بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي**، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، عدد 30.

19. **عبد العزيز بن عبد الله، بين أنفا والدار البيضاء**، مجلة مناهل، عدد 30، (1984م).

20. **عبد القادر زمامة، دَكّالة في تاريخ المغرب**، مجلة دعوة الحق، وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية، الرباط، (1982م)، عدد 220.

21. **غريس عماد الدين، الصراع بين الدولة الفارسية الأخمينية والمدن اليونانية خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد**، مجلة العبر للداراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة ابن خلدون بتيارت، العدد 01، مج 05، (2022م).

22. **فاطمة بوعمامة، نفوذ اليهود في بلاط المغرب الأقصى العهد الريني والوطاسي**، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، عدد 15، (2016م).

23. **فرحة هادي عطيوي، الحروب الفارسية اليونانية 490-479 ق.م دراسة في الأسباب والنتائج**، مجلة الجامعة العراقية، جامعة ديالي، العدد 57، ج2، د.ت.

24. **قادري حدة، بوليبوس مؤرخ الحروب البونية**، المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية، جامعة باتنة، عدد 01، مج 02، (2020م).

25. **كروم عيسى، تلمسان إمارة سليمانية**، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة قسنطينة، مج 06، عدد 03.

26. **المبروك المنصوري، ظاهرة التنبؤ في المغرب الإسلامي وأثرها في تشكيل ملامح التجربة الدينية إلى نهاية القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي**، مجلة موارد، عدد 5، (2000م).

27. **محمد أبو ليل، الردة: عقوبتها وضوابطها في الفقه الإسلامي**، مجلة دراسات، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، مج 36، (2009م).

28. **محمود إسماعيل، مغربيات دراسة جديدة – حقيقة المسألة البرغواطية**، المكتبة المركزية، فاس، د.ط، (1977م).

29. **مراد ريغي، بوليبوس وتاريخ المغرب القديم**، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، عدد 02، مج 05، (2021م).

30. **مصطفى غطيس، المغاربة والبحر خلال العصور القديمة**، مجلة كان التاريخية، مؤسسة كان للدراسة والترجمة والنشر، مصر، عدد 12، (2011م).

31. **نجوى راشي، تاريخ شمال إفريقيا من خلال أدب دراسة تاريخية في رحلة حنون القرطاجي**، مجلة دراسات تاريخية، جامعة محمد الأمين دباغين سطيف2، ع الأول، مج العاشر، (2022م).

32. **هواري موسى، بلدان المغرب العربي دراسة جغرافية**، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، جامعة الجزائر.

# فهرس الموضوعات

مقدمة ..... 1

**الفصل1: أوضاع بلاد المغرب قبيل قيام إمارة برغواطة**

I. الأوضاع السياسية ..... 22
1. سياسة الولاة ببلاد المغرب ..... 22
2. ثورات البربر ..... 36
أ. أسباب ثورات البربر على الخلافة ..... 37
ب. أهم الثورات ..... 38
ج. نتائج ثورات البربر ..... 50
II. الأوضاع الفكرية والمذهبية ..... 51
1. مذهب أهل السنة ..... 52
أ. جهود الصحابة ..... 54
ب. جهود التابعين ..... 56
2. مذهب الاعتزال ..... 60
أ. مفهوم الاعتزال ..... 61
ب. دخول الاعتزال لبلاد المغرب ..... 62
3. مذهب الخوارج ..... 64
أ. الخوارج لغة واصطلاحا ..... 64
ب. ظهور الخوارج ..... 65
ج. فرق الخوارج ..... 67

**الفصل2: جغرافية إقليم برغواطة، أهميته، ونسب قبائله**

I. إقليم برغواطة، حدوده وحواضره ..... 77
1. برغواطة الموطن والحدود ..... 77
2. مدن برغواطة وحواضرها ..... 84
II. أهمية إقليم برغواطة ..... 97
1. جغرافية الإقليم وتضاريسه ..... 97
أ. الأنهار ..... 97

ب. السواحل والمرافئ ..... 102
ج. السهول ..... 104
2. مقومات الحياة الاقتصادية ..... 108
أ. الصيد ..... 108
ب. الفلاحة ..... 110
ج. تربية ورعي المواشي ..... 112
د. العمران ..... 113
هـ. التجارة ..... 113
III. نسب قبائل برغواطة ..... 115
1. الحاضنة الثيولجية، نسبها وبطونها ..... 121
أ. جراوة ..... 122
ب. زواغة ..... 123
ج. منجصة ..... 124
د. بنو واغمر ..... 125
هـ. مطغرة ..... 126
و. بنو دمر ..... 128
ز. مطماطة ..... 130
2. الحاضنة الإثنية، نسبها وبطونها ..... 131
أ. زناتة الجبل ..... 131
ب. نمالتة ..... 132
ج. بنو يفرن ..... 134
د. أصادة ..... 135

**الفصل3: البعد الديني والعقائدي لإمارة برغواطة**

I. ديانة قبائل برغواطة قبل الإسلام ..... 140
1. القسم الأول: الديانات الأرضية ..... 141
أ. عبادة الأوثان ..... 141

ب. المجوسية ..... 146
2. القسم الثاني: الديانات السماوية..... 148
أ. الديانة اليهودية ..... 148
ب. الديانة النصرانية ..... 153
II. إسلام قبائل برغواطة ..... 156
1. فتح إقليم برغواطة..... 156
2. اعتناق برغواطة للخارجية..... 159
3. ارتداد برغواطة عن الإسلام ..... 162
III. تأثيرات العقيدة البرغواطية ..... 166
1. الآثار العقدية ..... 166
أ. عقيدتهم في الله تعالى..... 167
ب. عقيدتهم في النبوة والرسالة..... 171
ج. عقيدتهم في القرآن ..... 178
2. الآثار الفقهية ..... 184
أ. الوضوء ..... 185
ب. الصلاة ..... 187
ج. الصيام والزكاة..... 192
د. إقامة الحدود ..... 197
3. العادات والمعاملات..... 199
أ. الزواج والطلاق ..... 199
ب. الطعام واللباس ..... 200
ج. الجنائز ..... 201
د. أحوال أخرى..... 201

**الفصل4: الواقع السياسي لإمارة برغواطة وآثاره على بلاد المغرب**

I. تأسيس إمارة برغواطة..... 206
1. أسباب قيام الإمارة ..... 206

أ. الأسباب السياسية ..... 207
ب. الأسباب الفكرية ..... 208
ج. الأسباب الاجتماعية ..... 209
2. أصل طريف بن مالك ..... 210
3. قيام إمارة برغواطة. ..... 215
II. أمراء برغواطة ..... 218
1. خلال طور القوة ..... 218
أ. المرحلة السرية ..... 218
ب. المرحلة العلنية ..... 225
2. خلال طور الضعف ..... 233
أ. انقطاع أخبار حكام برغواطة ..... 233
III. العلاقات الخارجية للبرغواطيين ..... 237
1. خلال طور القوة ..... 237
أ. مع دولة الخلافة الأموية ..... 237
ب. مع دولة الأدارسة ..... 238
ج. مع دولة بني أمية بالأندلس ..... 240
د. مع دولة بني المدرار ..... 242
هـ. مع بني عبيد وخلفائهم الزيريين ..... 243
و. مع القبائل المجاورة لهم ..... 244
2. خلال طور الضعف ..... 245
أ. مع دولة المرابطين ..... 245
ب. مع دولة الموحدين ..... 247
الخاتمة ..... 251
الملاحق ..... 259
الملخص ..... 264
الفهارس ..... 268

ثبت المصادر والمراجع ..... 296
فهرس الموضوعات ..... 324